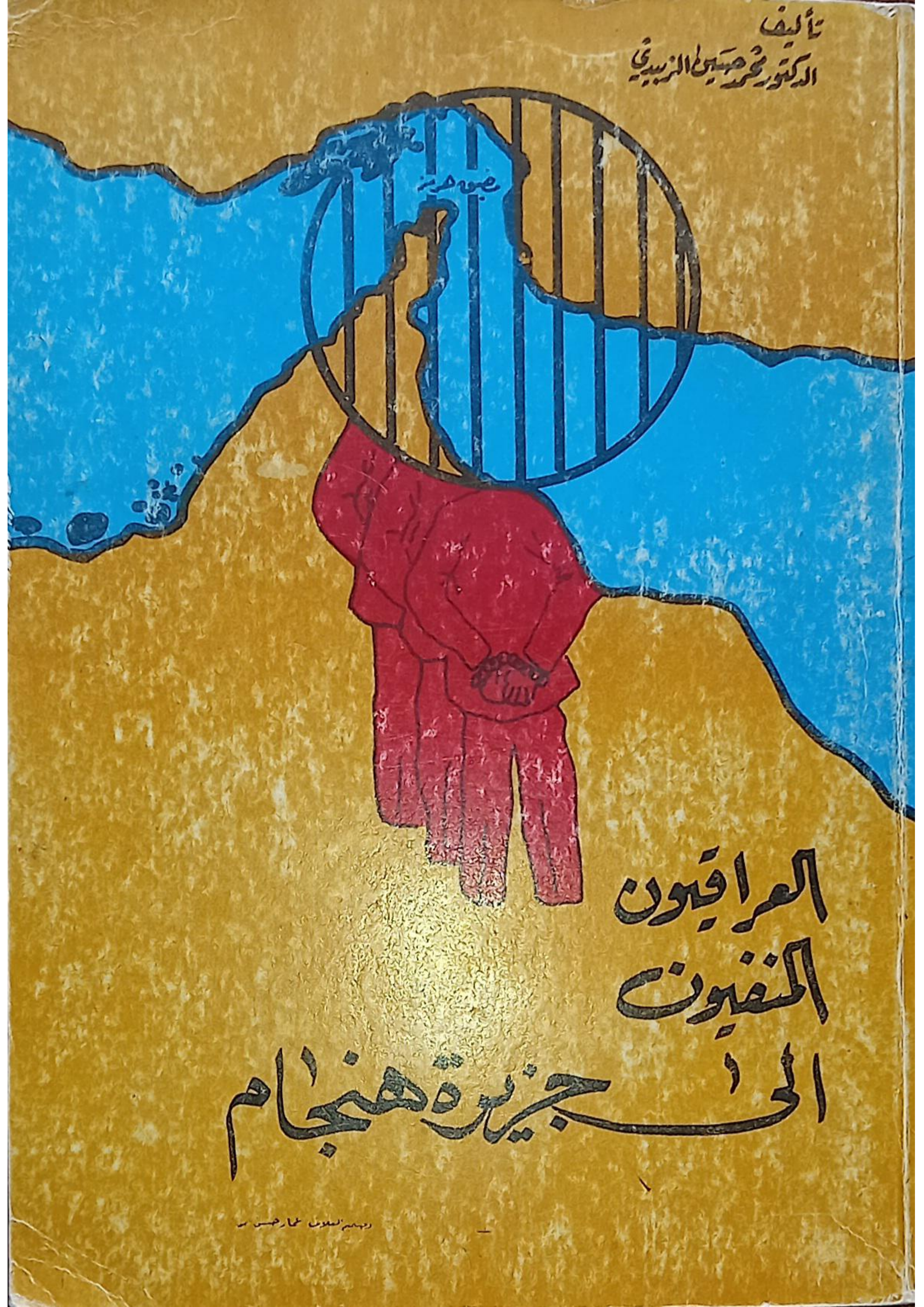
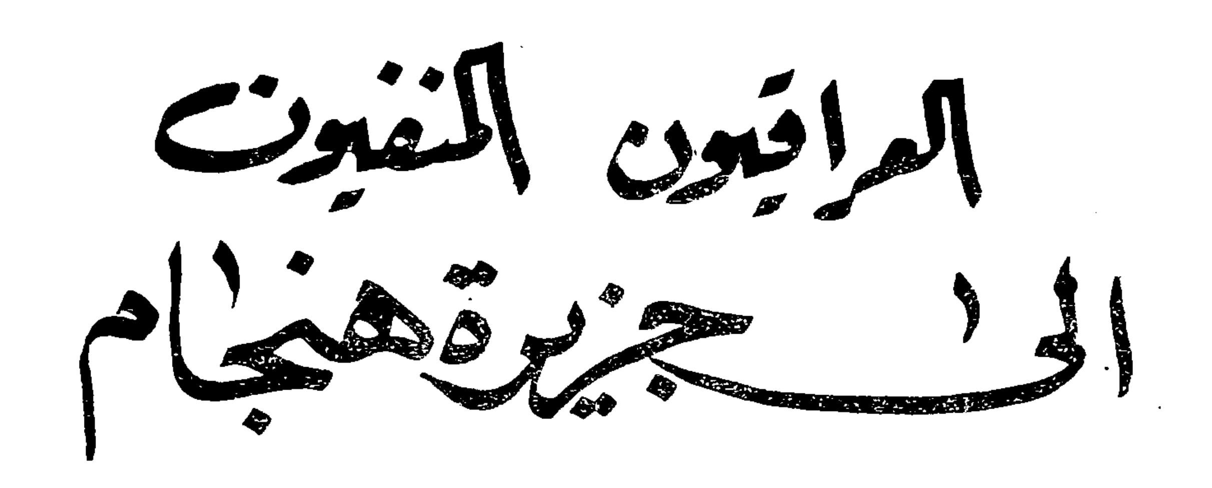
تأليف
الدكتور محمد حسين الزبيدي



العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام

تصميم الغلاف عمار حسن



تأليف

الدكتور محمد حسين الزبيدي

بغـــــداد

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

الطبعة الاولى : ١٩٨٥

الطبعة الثانية : ١٩٨٩

صمم الغلاف

عمار حسن مهدي

مقدمـــة

بين يدي القارى الكريم كتابي هذا الموسوم بـ (السياسيون العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام سنة ١٩٢٢) ٠

وجزيرة هنجام هذه تقع في مدخل مضـيق هرمز تحت جزيرة قشـم في الخليج العربي ٠ وقد اتخذته السلطات البريطانية مكـانا لنفي الوطنيين العراقيين المعارضين لسياسـتها الجائرة في العراق ٠ منـذ ان احتلته احتلالا عسكريا ٠ وقد سيقت اليها اعدادا كبيرة من المجاهدين لينالوا جزاءهـم في تلك البلاد النائية الموحشة على صدق وطنيتهم واخلاصهم لامتهم ٠

وفي الحقيقة انني لم اتطرق في كتابي الى جميع الذين نفتهم السلطات الاستعمارية الى هذه الجزيرة وانما اقتصرت في الحديث على سبعة اشخاص ضمتهم المجموعة الاخيرة التي سيقت في سنة ١٩٢٢ وهم :

١ ــ جعفر ابو التمن

٢ ــ حمدي الباجهجي

٣ ــ عبدالرسول كبة

٤ ــ امين الجرجفجي

٥ ــ محمد مهدي البصير

٦ ــ الشيخ حبيب الخيزران

٧ ــ سامي خوندة

وقد ادركت ثلاثة منهم وهم :

١ ــ الشيخ محمد مهدي البصير (الدكتور)

٢ ــ والشيخ حبيب الخيزران

٣ ــ والسيد سامي خوندة

ومن حسن الصدف أن يكون الاول (استاذا جامعيا) والثاني شيخ قبيلة (العزة) والثالث (صحفيا) صاحب جريدة (الرافدين) •

وعلى الرغم من تشابه المعلومات التي استقيناها عن حياتهم في المنفى للمدة التي قضوها سوية الا أن ذكريات كل واحد منهم تختلف عن غيره كل حسب تكوينه وبيئته وثقافته •

لقد أعتمد الكتاب في منهجه على استدعاء الذكريات التاريخية لدى هؤلاء الذين لازمتهم مدة طويلة من الزمن • وقد قارنت ذكريات كل واحد منهم بالاخر بغية الوصول الى الحقيقة التي نسعى لادراكها •

وقد قابلت كل ذلك على المصادر الموثوقة والروايات المدونة الاخرى لانني كنت حريصا كل الحرص على أن لا اقحم نفسي في خضم معلومات صناع الاحداث ومعاصريهم واكتفيت بتوثيق تلك المعلومات وتحقيقها •

وتكمن اهمية هذا الكتاب في انه ضم عرضا دقيقا وأمينا لذكريات مفصلة فيها كثير من المعلومات التاريخية الجيدة والطريفة في نفس الوقت الذي لم يحوها كتاب ولم تر النور حتى اليوم ولم تجد لها الى النشر سبيلا رغم مرور اكثر من ستين عاما عليها •

ان هذه الذكريات سطرها رجال من المناضلين العراقيين الذين واجهوا الاستعمار البريطاني بصدق وايمان وشجاعة نادرة فتعرضوا للنفي والتشريد والحرمان في حقبة حالكة الظلام من حقب التسلط الاجنبي على العراق •

وبما ان معظم اولئك المناضلين قد انتقل الى جوار ربهم فان ما سجله هـذا الكتاب من ذكرياتهم وانطباعاتهم وارائهم يبقى مهما لانه لا يمكن ان تجده في أي مصدر آخر •

اما مقدمة الكتاب فان منهجها يختلف عـن منهج سـائر الكتاب فهو (مدخل) تاريخي للكتاب رجعت الى المصادر التاريخية المطبوعة المعروفة بغية التمهيد للقارىء ان يدخل في خضم الاحداث •

والله من وراء القصد

الدكتور محمد حسين الزبيدي

بغـــداد

اذا علـم الانسـان أخبار مـن مضـى
توهمته قـد عـاش مـن أول الدهـــر
وتحســبه قـد عـاش آخـر عمـره
اذا كـان قد أبقى الجميل مـن الذكـر
فقد عاش كل الدهـر من كـان عالمـا
حليمـا كريمـا فاغتنم أطـول العمـر

القاضي الارجاني

مقدمة الطبعة الثانية

طبعت كتابي هذا (الطبعة الاولى) سنة ١٩٨٥ • وقد اقبل عليه القراء بشكل يبعث على السرور وتناولـه المؤرخون والنقاد بالتعليق والتثمين ، وصارت تردني رسائل كثيرة من القراء ولاسيما الذين وردت اسماء اهلهم وذويهم في الكتاب يضيفون معلومات جديدة الى الكتاب او تصويبات لبعض الاسماء التي ورد ذكرها او القاء المزيد من الضوء على احداث وقعت في العراق وتناولها الكتاب بشكل مختصر كذلك عثرت على وثائق سياسية قيمة تثري الكتاب وتغنيه في الوقت نفسه وبذلك تكون قد تكدست لدي معلومات تاريخية مهمة وكثيرة عز علي ان تظل هذه المعلومات طي الكتمان وحبيسة الصدور دون ان يعرفها القاريء او يطلع عليها • كما ان نفاذ الطبعة الاولى في الاسواق بسرعة ومنذ زمن ومطالبة الاخوة القراء باعادة طبعه ، وها انني البي رغبة القارىء ، وارجو مخلصا ان ينال القبول والرضا •

والله ولي التوفيق ••

الدكتور محمد حسين الزبيدي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد
١٩٨٨ ـ بغداد

السياســيون العراقيــون المنفيــون
الى جزيرة هنجــام سنة ١٩٢٢

الدكتور محمد حسين الزبيدي

جامعة بغداد ــ كلية الاداب

المنفيـون السـياسيون

تمهيـد :

بعد أنحيل بين ثورة العشرين وتحقيق اهدافهـا الوطنية الكبرى في (الحرية والاستقلال) زجت السلطات البريطانية باعداد كثيرة من زعمـاء الثورة ومؤيديها في غياهب السجون ونفت اعدادا أخرى الى مناطق نائيـة ومنها جزيرة هنجام •

وقد أخذت الصحف العراقية تبدي قلقها الشديد نحو ابنائها وتطالب السلطات بعودتهم الى وطنهم • وكانت الصحف في قلقها هذا تعبر عن رغبات الشعب تجاه ابنائه المنفيين •

ومما نشرته هذه الصحف ما جاء بجريدة الاسـتقلال في عددهـا ٢٣ الصادر في ١٧ كانون الاول ١٩٢٠ تحـت عنوان (المنفيون السياسـيون) قالـت فيـه :

لقد كتبنا غير مرة عن المعتقلين في جزيرة هنجام واوضحنا ان اعادتهم الى اوطانهم هي من الامور الاولية التي تطلبها الامة لتكون فاتحة التفاهـم اذ أن الامة لا تعتقد بحسن نوايا الحكومة ما لم تطلق سراح هؤلاء الذوات المحترمين وتعلن العفو العام العاري عن كل قيد وشروط • حتى لقد كنا نعتقد أن اعادة المنفيين أول مشروع يقوم به فخامة المندوب السامي بل كان قسم من المتطرفين بالاعتقاد بحسن نوايا الحكومة المحتلة يظن ان فخامته يقلهم مـن المنفى الى اوطانهم بالسفينة التي اقلته الى البصرة ، ولكن نقول بكل صراحة

أن الامة لم تصادف عملا من فخامته يدل على التساهل والعمل وفق رغائب الشعب باسرع وقت لهذا تسرب اليأس الى النفوس المتعطشـة الى العمـل السـريع ٠

قال فخامة المندوب في اول يوم وصوله الى بغداد أنه انتدب من قبـل حكومته ليعمل وفق آمال الشعب العراقي ومطالبه وقال في احدى المجالس الرسمية التي عقدها (لا يمكنني العمـل والتفاهم ما لم تثق الامة بصـدق بياناتي) ٠ قلنا فاتحة مباركة لابد ان توصلنا الى التفاهم وقد بينت الامـة مطاليبها التمهيدية ، واولها ، العفو العام واعادة المنفيين السياسيين ، وقـد مضت أيام وشهور فلم نجد أي عمل يدل على حسن نوايا الحكومة اذ لحد الان لم ترجع فعلا المنفيين مع أن هذا اصغر الامور التي طلبتها الامة واسهلها وان محل اعتقالهم لا يبعد عن بغداد اكثر من ١٢ يوما ٠ وبعد الانتظار الطويل الذي عيل في خلاله صبر الامة ونفذ ، قرأنا في رصـيفتنا العراق ان الهيئـة المؤقتة قررت اعادة ثلاثة ذوات من المنفيين المذكورين وهم : ١ ــ حضـرة الشيخ احمد افندي الشيخ داود ٢ ــ جناب جعفر جلبي الشبيبي ٣ ــ حضرة محمد افندي المصطفى الخليل ٠ وان اعادة الباقين على بساط البحث ٠

نحن نعلم الصلاحية التي زودت بها الهيئة الجديدة ونعرف ايضا القصد من تشكيلها ووضع المسؤولية على عاتقها ، وبذلك تتأخر الاعمال التي يطلب الشعب اجرائها شهور واعوام بين الرد والجـواب والمذاكرة والاسـتئذان والمخابرة والبحث والمناقشة الى ما هنالك من الامور ولاجله نحن نطلب من فخامة المندوب السامي الذي هو صاحب القول الاخير ، أن يأمر باعادة جميع المنفيين السياسيين باقرب وقت دون أن يستثنى منهم احدا ، فليس من العدل وحسن السياسة ان نعيد البعض ونترك الباقي يقاسي عذاب السجن والالام والفراق ، كما ان الامة اصبحت اليوم لا تكفي بالكتابة على صفحات الصحف بأن تحرر كذا ، والمسألة الفلانية على بساط البحث لاننا سـمعنا سـماع

الجزيرة المسجونون فيها هي مركز للتلغراف واللاسلكي والبواخر تمر عليها كل يوم فلم يبق لاعادتهم مانع سوى اصدار الاوامر •

ان الحكومة تستعجل بعمل كل ما تريده ولكنها تتوانى بتنفيذ ما تطلبه الامة وحتى الحت الامة واصرت بطلب تنفيذ ما ترغب به قالوا لزعمائها انهم ثوار مشاغبون مفسدون الى ما هناك من التهم ليبرروا اعمالهم بها •

فنحن ـ والشعب من ورائنا ـ نطلب من الحكومة ان تسرع بتنفيذ ما يطلبه الشعب وتتوانى بتنفيذ ما ترغب اليه • لان ارادة الامة فوق كل شيء وأن الامة اصبحت في موقف لا تعبأ فيه بالاقوال والوعود بل تريد العمل ولا يمكننا ان نستثمر اعمالنا الا اذا كانت خالصة ومستندة على السرعة •

ونتيجة للمطالبة المستمرة من الشعب العراقي والصحف اضطرت الحكومة البريطانية أمام هذا الضغط المتواصل أن تذعن لرغبات الشعب فتعلن عن عودة الكوكبة الاولى من المنفيين في هنجام فكتبت جريدة الاستقلال هذا الخبر تزفه بشرى الى الشعب العراقي في عدد ٤٦ الصادر في ٩ شباط ١٩٢١ على صفحتها الاولى بالخط العريض تحت عنوان (نهنيء الامة العراقية بقدوم بعض منفيينا الكرام ونطلب ارجاء جميع المنفيين بلا استثناء كما اننا نواصل الطلب في تنفيذ سائر المواد السبعة) • وأدرجت الشروط في نفس الصفحة وهي :

١ ـ اطلاق حرية الصحافة وتطبيق قانون المطبوعات العثمانية الى ان يسن غيره (وفقا لنظام الاحتلال) •

٢ ـ اطلاق حرية الاجتماعات وتشكيل اندية سياسية رسمية •

٣ ـ اصدار العفو العام الخالي عن كل قيد وشرط عن جميع المجرمين السياسيين واطلاق سراح المسجونين •

٤ ــ ارجاع المبعدين والمنفيين والسماح للمشتتين بالرجوع الى اوطانهم •

٥ ــ رفع الادارة العرفية والعسكرية والاحكام الكيفية التي اناخت على الشعب العراقي منذ الاحتلال حتى الان لتتمكن الامة من التفاهم مع السلطات بكل حرية واطمئنان •

٦ ــ رفع المحاكم العسكرية والقضاة العسكريين والقوانين التي رتبت اخيرا وتطبيق القوانين الجزائية والحقوقية السابقة (بمقتضى نظام الاحتلال ايضا) •

٧ ــ الاسراع في الانتخاب الحر وتشكيل المؤتمر العام من دون مداخلة رجال الاحتلال وبدون اي تضييق على أفكار الاهالي بخصوص الانتخابات •

ثم قالت الجريدة في ختام المقالة : هذا ما يطلبه الشعب العراقي وسيواصل الطلب به بكل الحاح لانه يعتقد انه لا يمكن اي مفاوضة تؤدي الى التفاهم ما لم تنفذ هذه المواد السبعة •

وفي نفس الصفحة نشرت جريدة الاستقلال اسماء القادمين الى بغداد فقالت تحت عنوان (القدوم المبارك) •

على الطائر الميمون يا خير قادم واهلا وسهلا بالعلى والمكارم

قدم البارحة (والجريدة ماثلة للطبع) بعض منفيينا الكرام بالقطار من الكوت في الساعة العاشرة عربية وكان ينتظرهم في محطة الهنيدي ومحطة باب الشيخ جمع غفير من نخبة من الوطنيين والاشراف والاباء واستقبالهم استقبالا باهرا وبعد الترحيب والمصافحة ركبوا السيارات التي اعدت لحضراتهم وتوجهوا قاصدين بغداد ومروا من الشارع الجديد (شارع الرشيد) حتى وصلوا الى منازلهم تشيعهم جماعات من ابناء العاصمة على اختلاف طبقاتهم واليك اسماء القادمين المحترمين :

١ ــ حضرة المندوب الاكرم السيد احمد افندي آل الشيخ داود .

٢ ــ حضرة الوجيه المندوب المحترم محمد افندي آل مصطفى الخليل .

٣ ــ حضرة الوجيه رؤوف افندي احد اشراف الحلة .

٤ ــ حضرة الاديب الفاضل محمد جعفر جلبي آل الشبيبي .

٥ ــ الشاب الغيور نور بك آل فتاح باشا .

٦ ــ حضرة الفاضل أمين افندي رئيس بلدية الاعظمية ، ومتولي مسجد الامام أبي حنيفة .

٧ ــ حضرة الشاعر الوطني سيد خيري افندي الهنداوي .

٨ ــ حضرة المحترم جبار حساني .

٩ ــ جناب السيد احمد مختار محلة الجامع فتحي .

١٠ــ الشاب الوجيه السيد خليل افندي آل مصطفى الخليل .

١١ــ حضرة الماجد صبري افندي قومسير سابقا .

ثم قالت الجريدة : وقد تأخر حضرة الشاب الوطني عارف بك السويدي في البصرة بضيافة الاكرم عبدالكريم بك السعدون ، واقلع من البصرة حضرة عبود افندي زيدان متوجها الى العاصمة وتوجه ثلاثة من منفيي الحلة اليها عن طريق الفرات .

الفصـــل الاول

الحالــة السياسية في العــراق

من سنة ١٩٢٠ ــ ١٩٢٢

سيطر الانكليز على مقاليد الامـور وحكموا البلاد حكمـا مباشـرا وتدهورت حالة البلاد المالية والاقتصادية وتردى الوضع العام بها •

وعندما تم تنصيب الامير فيصل ملكا على العراق دخلت البلاد في طور جديد مهد لعودة الهيمنة البريطانية مرة أخرى على العراق وشجعت أوضاعه المتدهورة بريطانيا على ربط العراق بمعاهـدة جديـدة أفقدته فيها حريته واستقلاله • ففي ٢٩ أيلول ١٩٢١ م (أي بعد مرور ٣٨ يوما) على تتويج الملك فيصل قدم السير برسي كوكس الى الملك مسودة معاهدة وصفها بأنهـا مسودة ليست نهائية ، بل هي مجرد محاولة تجريبية من اجل البدء بالمفاوضة وقد أخذت هذه المسـودة تتنقل بـين دار الاعتمـاد البريطـاني ومجلس الوزراء والبلاط •

وكان الملك يحاول في كل مرة ان يجري بعض التعديل على المسـودة فيرجعها الى مجلس الوزراء لترجع الى دار الاعتماد مرة أخرى وهكذا •

وقد تضمنت مواد هذه المعاهدة أسس الانتداب ومطالبه وأغراضـه دون النص على ذكر الانتداب نفسه أو بعبارة أخرى كانت المعاهدة (صورة مقنعة لصك الانتداب) ففي متنها تضمنته أسس الانتـداب وفي ملاحقهـا الاربعة تضمنت مصالح واسعة النطاق للجانب البريطاني في حين كان ما يعود منها من نفع على الجانب العـراقي هو في الحقيقة ما يتلاءم مع مقتضـيات الانتداب والمصالح البريطانية والالتزامات التي التزمت بها بريطانيـا امـام عصبة الامم في صك الانتداب[١] •

---

(١) زكي صالح : مقدمة في دراسة العراق المعاصر ص ٦٤ •

وقد جسدت هذه المعاهدة صورة من صور الهيمنة للنفوذ البريطاني في العراق ولكنها كانت مصاغة بلغة مرنة وبطريقة تناسب الوضع العراقي بعد ثورة العشرين .

وعلى هذا أدركت الحركة الوطنية في العراق أن الانتداب وصكوكه صيغ في قالب جديد في شكل معاهدة تكبل بها ارادة الشعب العراقي وحريته، فقررت رفض المعاهدة رفضا قاطعا وتصدت لمقاومتها فسلكت جميع الوسائل السلمية والسبل المتاحة يومها لاحباط هذا المشروع الاستعماري والقضاء عليه .

وكانت هذه المعاهدة عاملا كبيرا في اشتداد النضال الشعبي واثارة المشاعر القومية والوطنية وسببا في تجمع القوى الوطنية وقد عقدت سلسلة من الاجتماعات السياسية القيت فيها الخطب الحماسية وحشدت المظاهرات الصاخبة في الشوارع والميادين العامة ، وأرسلت كذلك برقيات الاحتجاج ومذكرات الرفض الى الملك فيصل الاول والمندوب السامي البريطاني ، وحررت المقالات السياسية في الصحف والمجلات العراقية لتنبيه الشعب العراقي الى خطر المعاهدة الداهم وتوعية الجماهير وتقوية شعور المعارضة والرفض عندهم .

وقد وقفت الجرائد الوطنية الى جانب الوطنيين فأخذت تنشر أخبار الاحتجاجات وبرقيات الاستنكار كما أنها ساعدت على بلورة الشعور الشعبي وحشد طاقاته بما كانت تنشره في مقالات وقصائد حماسية تلهب المشاعر وتثير الحماس .

ومن الصحف الوطنية التي كان لها دور بارز في هذه الاحداث جريدة (المفيد) ، وقد كتبت هذه الجريدة مقالات عديدة أوضحت أخطار المعاهدة العراقية البريطانية وشرحت مساوئها وأشارت الى عيوبها ، ودعت الشعب

العراقي الى رفضها ومقاومتها • ومـن بين تلك المقالات مقالة كانت بعنوان (قلق الامة ومصيرها)[٢] جاء فيها :

« في كل يوم تقيم الامة العراقية برهانا على عنايتها البليغة بمستقبلها وحرصها على مصيرها ، فهي ما فتئت اليوم كأمس تنظر بشوق ولهفة في مكانها السامي الى ما يجري حولها من مفاوضات ••• لم يبق أحد لا في العراق ولا في أوربا وخصوصا في انكلترا لم يعرف رأي الامة العراقية في مستقبلها ••• انها امة تطالب بالحياة الحرة وتنشد الاستقلال الكامل وترفض أية سيادة أو نفوذ يتمسك به المحتلون • ان العراق لا يرضى الا بالاستقلال التام والغاء الانتداب فعلا واسما في أول مادة من مواد المعاهدة • وان أية وزارة تقدم على مخالفة الرأي لا يمكن أن تكسب ثقة الامة •• وما تبرمه اليوم ينقضه الشعب غدا » •

وكتبت جريدة المفيد مقالة أخرى بعنوان (افتحـوا عيونكـم ••• قصاصة ورق •••!)[٣] قالت فيها :

« لا حكم اليوم في أنظار الشعوب للمعاهدات والمواثيق اذا لم تبن على أسس المصالح المتبادلة بين المتعاقدين وهي اذا طبقت اليوم فلن تطبق غدا ••• وان المعاهدات يجب ان تعقد مع قلوب الشعب لا مع أفراد لا يمثلون الا أنفسهم ••• » •

وقد ضربت الجريدة في هذه المقالة عدة أمثلة لمعاهدات جائرة عقدت برغم ارادة ابنائها وشعوبها • واوضحت ان هذه الشعوب سرعان ما انتفضت عليها في أول فرصة سنحت لها • ومما قالته الجريدة :

« عقدت انكلترا مع ايران المعاهدة الايرانيـة الانكليزيـة ، وبذلت انكلترا في سبيل ذلك حوالي ٥٠ مليون باون على تسليح الجيش الايراني

---

(٢) العدد : ٦٠ : تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٢٢ •
(٣) العدد : ٦٢ : تاريخ ٢٨ حزيران ١٩٢٢ •

ولكن الشعب الايراني رفضها وقضى عليها ، ونشبت الثورة الايرلندية فاضطر الانكليز مصالحة الشعب الايرلندي ، واستحالت فريقا من رجاله فحملتهم على التوقيع في معاهدة لاتحقق مطاليب الأكثرية ... فقام الجمهوريون جميعهم يسفهون المعاهدة وقد شهروا السلاح بوجه انكلترا حتى تخلصوا منها . وهذه مصر أمامنا ايضا دخلت مع بريطانيا في مفاوضات مع سعد باشا فأخفقت في مساعيها بعد أن وجدت أمامها طودا شامخا لايرقي وعودا صلبا لايغمز ، فاصطنعت لها عدلي باشا مفاوضا باسم مصر ، فالغت الحماية اسما وحققتها فعلا في بنود المعاهدة في أساليب خبيثة برع فيها الانكليز . وكان اللورد كرزن يظن أن مجرد اعلان الغاء الحماية يبهج المصرين ويحملهم على الهدوء والسكينة ولكن مصر أحبطت هذه الخدعة كما أحبطت ايران وايرلندا قبلها » .

ومضت الجريدة تقول : (كانت هذه أمثلة على سبيل تحذير المفاوضين العراقيين والبريطانيين من عواقب اهمال هذه الحقائق الملموسة وعدم الاعتبار بها والاتعاض بما جرى في ايرلندا وايران ومصر) .

واضافت تقول : (والحقيقة ان الشعوب الضعيفة التي يساق بعض أبنائها ترغيبا وترهيبا الى التوقيع في صك عبوديتها وذلها لاتعدم وسيلة في التخلص منها وافهام الملأ (انها قصاصة ورق) ليست لسؤولة عن تطبيقها ومعذورة في عملها للضرر البليغ الذي يلحقها في مستقبلها وجدير بالأقوياء أن يفهموا أن لاقوة غير قوة الحق وان الشرف كل الشرف في امتلاك القلوب لا في امتلاك البلاد ومن السهل أن يميت قوي ضعيفا ولكن ليس من السهل أن يميت حقه وقد كانت الروح التي وضعت المعاهدة العراقية ـ الانكليزية غير روح كرزن والبرنس فيروز في ايران ، وروح لويد جوج والمستر جريفت في ايرلندا وغير عدلي يكن وكرزن في مصر) .

ومما زاد في هياج الرأي العام تصريحات المستر تشرشل وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني جوابا عن سؤال احد النواب في ٢٣ مايس ١٩٢٢ عن موقف الملك فيصل وحكومته في الانتداب فرد عليه بأن الملك فيصل وحكومته لم يخبرا معتمد بريطانيا لدى العراق عن رفض الشعب العراقي للانتداب(٤) .

وما كاد يذاع في العاصمة خبر وصول الاقتراحات الانكليزية الجديدة من لندن وبسطها أمام مجلس الوزراء الا وهبت الامة دفعة واحدة ، مظهرة شعورها وارادتها في الاصرار على الاستقلال التام وتحذير الحكومة من عواقب التوقيع في مايشم منه رائحة التنازل عن المطاليب الوطنية ، وقد اغلق معظم الاهالي حوانيتهم ومخازنهم وأضربوا عن العمل احتجاجا على ما قيل (عدم ورود تصريح في المقترحات الانكليزية بالغاء الانتداب) . وقد ذهبت وفود مختلفة ممثلة للزعماء ورؤساء القبائل والعلماء والطبقات المثقفة وغيرها . وعلى رأسهم الشيخ احمد الداود ، وكاظم ابو التمن وعبدالحسين الجلبي وجعفر ابو التمن وحمدي الپاچه‌چي ومحمد مهدي البصير . وقابلوا رئيس الوزراء عبدالرحمن النقيب وأبلغوه رغبة الامة في عدم الخوض في معاهدة لم يصرح فيها بالغاء الانتداب . وبينوا قلق الشعب على مصيره من جراء المعاهدة وحذروه من الكوارث التي تنتج من توقيعها . فوعدهم بأنه لا يوقع على معاهدة لا تحمل رغائب الشعب(٥) .

وأرسلت برقيات عديدة الى الزعيم الديني السيد محمد الصدر من طوائف مختلفة من الشعب وقعها الزعماء ورؤساء القبائل يرفضون فيها الانتداب ويحتجون على عقد كل معاهدة تمس كرامة الشعب العراقي وكيانه السياسي(٦) .

---

(٤) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية حـ ١ ص ٨١ .
(٥) جريدة العراق : ٢٦ حزيران ١٩٢٢ .
(٦) جريدة المفيد : ٦٢ ، تاريخ ٢٨ حزيران ١٩٢٢ .

وكذلك قامت مظاهرات في انحاء مختلفة من العراق • ففي يوم ٤ آب ١٩٢٢ قامت مظاهرات في النجف وبعض مدن الفرات الاوسط مندّدة في المعاهدة ومعلنة رفضها بأي شكل من الاشكال •

الاحزاب السياسية :

استقر رأي زعماء الحركة الوطنية على تنظيم صفوفهم وجمع قوى الشعب في تنظيمات سياسية تتيح لهم فرصة العمل المنظم وصولا الى الهدف المنشود • فقرروا تشكيل أحزاب سياسية علنية لمواجهة المشاريع الاستعمارية التي يراد تكبيل البلاد بها •

وقد أسهمت الصحف الوطنية بنشر المقالات العديدة موضحة فيها حاجة البلاد الى أحزاب سياسية وطنية وأخذت تروج لهذه الفكرة • وبينت أن البلاد مقبلة على الشروع في انتخابات المؤتمر الذي يتوقف على انشائه مستقبل البلاد وسياسته الداخلية والخارجية لان الانتخابات لا يمكن ان تسير على قاعدة مضمونة اذا لم يكن في البلاد حزب سياسي واحد في الاقل يراقب سيرها ويقف بوجه التدخل فيها[٧] •

ونتيجة لهذه المناقشات قدم جعفر ابو التمن طلبا الى وزارة الداخلية ـ ٨ آذار ١٩٢٢ بتأسيس حزب سياسي بأسم (الحزب الوطني العراقي) وفق المادة السادسة من قانون الجمعيات العثماني وكانت الهيئة المؤسسة للحزب مكونة من سبعة أشخاص كما أرفق مع هذا الطلب النظام الداخلي للحزب •

ولكن وزارة الداخلية لم تجب مقدم الطلب على طلبه وأخذت تماطل وتسوف لتمييع الموضوع[٨] •

---

(٧) جريدة لسان العرب : ٢٧ شباط ١٩٢٢ .

(٨) مهدي البصير : القضية العراقية : حـ ٢ ص ٤٠٦ .

ان التسويف الذي لقيه الطلب لتأسيس الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية قبله ، وعدم السماح لهما بالعمل دفع رجالهما الى ممارسة نشاطهما سرا فأنشأوا حزبين سريين بهذين الاسمين الحزب (الوطني العراقي) وحزب (النهضة العراقية) وظلا يعملان في الخفاء ينظمان صفوف الحركة الوطنية ردحا من الزمن .

وفي الوقت نفسه بدأت الصحافة تدعو الحكومة الى اجازة الاحزاب السياسية ولاسيما أن الملك فيصل قد صادق على قانون انتخاب المؤتمر ومن الضروري أن يكون هناك حزب سياسي لمراقبة سير الانتخابات والدفاع عن حرية القول والاجتماع اثناء مباشرة الانتخابات وحفظها من التدخل والتلاعب[٩] .

وتساءلت (جريدة الاستقلال) عن الاسباب التي أخرت تشكيل الاحزاب السياسية مع شدة حاجة البلد اليها واعتبرت عدم وجود الاحزاب في العراق جريمة بحق ابناء البلاد لا يمكن غفرانها[١٠] . وقد أوضحت (جريدة دجلة) حاجة البلاد الى الاحزاب كحاجة الجيش للقائد المقتدر والمريض الى الطبيب الحاذق المتمكن[١١] .

وأمام هذه المطالبة المستمرة والاصرار الكبير على تأسيس الاحزاب اضطرت الحكومة العراقية على وضع قانون للجمعيات ، فأصدرت بتاريخ ٢ تموز ١٩٢٢ قانون الجمعيات . وكانت نصوص هذا القانون ثقيلة جدا حتى أنه قوبل بالنقد الشديد[١٢] . فقد قيد هذا القانون حرية الاجتماع ، ومنع عقد أي اجتماع لم تصدر به اجازة رسمية[١٣] . وفي ضوء هذا القانون تقدم

(٩) جريدة المفيد : العدد ٤ مايس ١٩٢٢ .
(١٠) جريدة الاستقلال : ٩ مايس ١٩٢٢ .
(١١) جريدة دجلة : ٢٠ حزيران ١٩٢٢ .
(١٢) مهدي البصير : تاريخ القضية العراقية حـ ٢ ص ٤٠٨ .
(١٣) الحسني ، عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية حـ ١ ص ٩١ .

هؤلاء الساسة بطلباتهم الى الحكومة في طلب السماح لهم بتكوين أحزاب سياسيه علنية • فوافقت الحكومة على طلباتهم وأجازتهم في تكوين ثلاثة احزاب : حزبين وطنيين هما (الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة العراقي) والحزب الثالث (حزب الحر العراقي) وهو مؤيد للسلطة الحاكمة •

١ ـ الحزب الوطني ومؤسسوه : جعفر ابو التمن واحمد الشيخ داود، وحمدي الپاچه‌چي ، ومولود مخلص ، ومحمد مهدي البصير ، وعبدالغفور البدري ، وبهجت زينل ، وقد أجيز بتاريخ ٢ آب ١٩٢٢[١٤] •

٢ ـ حزب النهضة ومؤسسوه ، أمين الجرچفجي ومحمد حسن كبة ، ومهدي البير ، واحمد الظاهر ، وعبدالرزاق الازري ، ومهدي الجرچفجي ، وواصف قاسم اغا ، وعبدالرسول كبة ، واسدالله الحسيني ، وعبدالجليل عوني • وقد أجيز بتاريخ ١٩ آب ١٩٢٢ •

٣ ـ الحزب الحر العراقي : وكان محمود النقيب رئيسا له ، واعضاء اللجنة التنفيذية هم : جميل صدقي الزهاوي ، وعبدالمجيد الشاوي ، وفخري الجميل ، وحسن غصيبة ، وداود النقيب[١٥] وتوفيق الخالدي ، وطه ياسين ، ويوسف رزق الله غنيمة[١٦] ، وقد أوجدت الحكومة هذا الحزب لكي توازن بين القوى السياسية من جهة واسناد ودعم الوزارة النقيبية من جهة أخرى ، ولاسيما ان رئيس الحزب هو الابن الاكبر لرئيس الوزراء عبدالرحمن النقيب وقد حظى هذا الحزب بتأييد رؤساء القبائل الموالية للانكليز وقد تجلى واضحا في احدى رسائل المس بيل المؤرخة بتاريخ ١٥ آب وهي تعلق على هذه الاحزاب الثلاثة فتقول :

« ان ابن النقيب السيد محمود قد أصبح رئيسا لحزب معتدل بعد الكثير من الدفع والحث • أما القوة المحركة الحقيقية فهي الشيخ علي

(١٤) جريدة المفيد : ٨ آب ١٩٢٢ .
(١٥) مهدي البصير : تاريخ القضية العراقية حـ ١ ص ٤٠٨ .
(١٦) فاروق صالح العمر : الاحزاب السياسية في العراق ص ١٤٤ .

السليمان . وقد شكل المتطرفون حزبا لهم أيضا ولكنه لم يحقق تقدما كبيرا على ما سمعت ، وقد جاءني علي السليمان ومعه كل شيوخ العشائر الكبار وجعلهم يوقعون على الانتماء لحزب السيد محمود فملأوا مكتبي بالامس حتى ضاقت بهم غرفتي على سعتها ، وأوضحوا لي أنهم مستعدون لتنظيم البلاد عن بكرة ابيها في صالح العلاقات الانتدابية مع بريطانيا العظمى . انه لشيء مدهش للغاية أن ترى حماس التطوع في الالوية لصالحنا ، غير أن هناك حزبا معارضا يمكن أن يسبب اساءة واضحة ، وربما ثورة مالم نستطيع اقناع الملك بضبطهم »[١٧] .

وعندما أصرت بريطانيا على عقد المعاهدة العراقية ـ البريطانية غير المتكافئة نشط الحزبان في معارضتها ومهاجمتها مهاجمة شديدة وعقد زعماؤهما اجتماعات عديدة مشتركة للاتفاق على سياسة موحدة وتوحيد مواقفهما فزادت الحركة الوطنية في معارضتها ضد المعاهدة وتجلت معارضتها واضحة في الاجتماعات التي عقدت في الجوامع ولاسيما جامع الحيدرخانة . وعرائض الاحتجاج التي رفعت الى الملك والمندب السامي . وكتابة المقالات في الصحف المحلية التي تعارض فيها الانتداب وتندد به .

ومما ساعد الحركة الوطنية من أن تزيد في نشاطها ضد المعاهدة الخلاف الشديد الذي حدث في هذه الفترة بين الملك فيصل والمندوب السامي السير پرسي كوكس بسبب تلكؤ الملك بالموافقة على المعاهدة وفي السياسة الموالية للانكليز التي ينتجها الملك والتي لا تحقق اطماع بريطانيا واهدافها .

ومما زادت في شقة الخلاف هذا معرفة المندوب السامي البريطاني ان الملك فيصل يتصل بقادة الحركة الوطنية وبالصحف المعارضة ويحرضها ويؤلبها على مهاجمة المعاهدة العراقية الانكليزية ومقاومة ابرامها وبخاصة بعد مؤتمر كربلاء .

---

(١٧) رسائل المس بيل : ترجمة جعفر خياط : ص ٤٣ .

وفي الحقيقية كان الملك فيصل يؤيد هذه الحركة الوطنية في مطاليبها ويتصل بالمعارضة اتصالا مستمرا بشكل سري ويعقد اجتماعات مع قادتها ليلا، فعقد اجتماعا مع جعفر ابو التمن ومحمد مهدي البصير وهما من الهيئة المركزية للحزب الوطني العراقي ، وكانت هذه الاجتماعات بمثابة الاتصال الوثيق مع القوى الوطنية المعارضة وان الملك فيصل كان يحرض على تنمية هذه القوى حتى تقف موقفا من السياسة البريطانية لاستخلاص بعض المكاسب الوطنية للعراق حتى ولو كانت جزئية(١٨) .

والحقيقة ان سياسة الملك فيصل في العراق اعتمدت مبدأ (خذ وطالب) وقد حدثنا المرحوم عوني عبدالهادي عن لقاءات عدة جرت بينه وبين الملك فيصل الاول : اوضح له فيها الملك أهدافه التي يسعى للحصول عليها وحقوق العراق التي يهدف الى تحقيقها فقال :

« قال لي جلالة الملك فيصل الاول لقد أقنعت الانكليز بكلامي وأعمالي ان مصلحتهم ومصلحة العراق تتمشى جنبا الى جنب ، فاقتنعوا باني مخلص فيما أقول ، وأخذت أتشدد بعد ذلك في المطالبة بما ينفع العراق وتحقيق بعض الاعمال التي أنشدها ومن جهة أخرى كنت أجتمع ليلاً مع المعارضين في العراق لنخطط معا أعمال المقاومة واحوالها . وحين تشتد المعارضة اكسب أنا حقوقا جديدة للعراق من السلطات البريطانية لتسكين المعارضة »(١٩) .

وقال عوني : ومما قاله الملك فيصل ايضا في هذا اللقاء :

« ان السياسة في نظري ليست هي الاصرار على تحقيق كل ما يهدف اليه السياسي بل العمل على تحقيق ما هو ممكن . والسياسي هو ليس من يعرف مايريد بل هو من يعرف حدود امكاناته ويقف عندها ، وانني مؤمن بسياسة

---

(١٨) ساطع الحصري : مذكراتي في العراق : جـ٢ ص٥٢٨ .
(١٩) عوني عبدالهادي : اوراق خاصة ص٥٥ .

(خذ وطالب) وتعني هاتان الكلمتان كل فنون السياسة المرنة وهي السياسة المثلى التي أريد اتباعها في العراق »[20] .

وأضاف الملك فيصل يقول :

« هكذا أضاع السوريون الاستقلال لاصرارهم على سياسة اخذ الكل او ترك الكل . لقد طالب السوريون باستقلال سورية موحدة (بما فيها فلسطين) مستقلة استقلالا تاما ولم يكن هذا الطلب والاصرار عليه في امكانيات العرب في ذلك الوقت ومثلهم في ذلك كالمريض الذي يطلب شفاءه في الحال او موته في الحال » .

« فأنا لا أريد أن احكم العراق في ظلال أيد أجنبية لاني وضعت في مقدمة أهدافي التخلص تدريجيا من حكم هذه اليد ليعيش اهل العراق وانا معهم تحت حكم عربي مسلم » .

ويضيف عوني عبدالهادي فيقول : « وفي اثناء نزولي مع الملك فيصل من الطابق الاول من فندق شبرد في القاهرة سمع دوي قوي انبعث من داخل قاعة الطعام ، صوت ناري اخترق الجدران .. انه صوت زعيم مصر سعد زغلول يخطب ويملأ جنبات القاعة بعباراته الملتهبة التي يتناقلها أبناء مصر في حماس وايمان لقد خيل الي وانا استمع الى سعد انني استمع الى كليمنصو او جوريس الخطيبين الفرنسيين العالميين كلماته بمثابة النار التي تحرق وتدمر ويضيء وهجها قلوب الحاضرين الذين استمالوا الى رجل واحد تجسم في سعد زغلول .. استحوذ على حب وتقدير المصريين والعرب له على السواء .. ان فيصلا احب سعدا كما أحب المصريين وتحدث الي كثيرا عن اعتزازه بمواقفه السياسية ضد الاستعمار البريطاني وتمنى ان تنعم بلاده بالحرية والاستقلال »[21] .

---

(٢٠) عوني عبدالهادي : اوراق خاصة ص ٥٤ .
(٢١) عوني عبدالهادي : اوراق خاصة : ص٥٦ .

وقد أيد هذه الحقيقة الصحفي المعروف سامي خوندة • فقال لي :
« عندما كانت تحدث أزمة بين الملك فيصل الاول والانكليز كان الملك يستعين بالصحف المعارضة يطلب منها مهاجمة الانكليز والانتداب • ففي أواخر سنة ١٩٢٢ • أرسل الملك في طلبي بصفتي رئيسا لتحرير جريدة (الرافدين) وفي طلب الاخ علي محمود الشيخ علي بصفته من محرري الجريدة ومن الصحفيين اللامعين المعروف بقلمه السيال • وعند مقابلتنا له ، قال لنا (اكتبوا وطالبوا في جريدتكم وتحدثوا عن حقوق البلاد وهاجموا الانتداب ، والمعاهدة • اننا نستفيد من كتاباتكم ومطالبتكم في تحقيق مطاليب الشعب • وتحملوا ما تلاقون من الصعوبات والأذى في سبيل أمتكم ووطنكم وان الامة لا تستطيع أن تحصل على مطاليبها واستقلالها بغير الاذى والتضحيات)[٢٢] •

وفي ١٩ آب ١٩٢٢ استقالت الوزارة النقيبية الثانية[٢٣] • وقد وجد الحزبان (الوطني العراقي والنهضة العراقية) في استقالة الوزارة التي اعتبروا سقوطها تلبية لمطاليبهما • وفي تردي العلاقات والخلاف الحاد بين الملك فيصل والمعتمد السامي البريطاني فرصة ملائمة لمهاجمة المعاهدة وتجريحها والاحتجاج بشدة ضد الانتداب البريطاني • فوحدا مساعيهما ونسقا مواقفهما فعقدت قيادة الحزبين اجتماعا برئاسة السيد محمد الصدر[٢٤] في مقر (الحزب الوطني) في يومي الاحد والاثنين ٢٠/٢١ آب ١٩٢٢ وناقشوا اوضاع البلاد الراهنة ، واحتمالات تطورها ، ووضع الحلول لها • وقرروا القيام بمظاهرة سلمية يوم ذكرى التتويج يعربون فيها عن اماني الشعب ورغباته وتقديم مذكرة الى الملك يعرضان فيها مطاليب الشعب ثم انتخبت لجنة من أربعة اشخاص لصياغة المذكرة ، مثل الحزب الوطني العراقي فيها جعفر ابو التمن وبهجت زينل • ومثل حزب النهضة العراقية ، محمد حسن كبة ، واصف قاسم اغا • وقد وضعت

---

(٢٢) مقابلة في منزله مساء يوم ١٩٧٨/٨/٨ •
(٢٣) الحسني ، عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية جـ١ ص٩٠ •
(٢٤) مهدي البصير : تاريخ القضية العراقية جـ٢ ص٤١٣ •

المذكرة ونوقشت في جلسة مشتركة وكانت المذكرة عنيفة شديدة اللهجة[٢٥] ورشحت الهيئة جعفر ابو التمن ممثلا للحزب الوطني العراقي وأمين الجرجفجي ممثلا لحزب النهضة العراقية ان يحملا المذكرة الى الملك فيصل في البـــلاط وقد تعرضت المذكرة الى الآلام والمآسي التي يكابدها الشعب العراقي مـــن سوء الادارة الجائرة التي تمارسها السلطات الانكليزية بروح عدائية بعيدة كل البعد عن أماني الشعب وعن روح الاستقلال الذي نادى به شعب العراق . واستعرضت المذكرة : سياسة التفريق والرشوة والاعمال غير المشروعة التي درج عليها الحاكم المستبد والتي أضرت بالبلاد ومصلحتها . واكدت المذكرة ، عدم جدوى الشكاوي العديدة التي رفعت الى الملك والحكومة والتي لـــم يسمح للامـــة شكوى . وتطرقت المذكرة : الى ابعاد الموظفين المخلصين الذين كان يؤمل منهم الخير كل الخير للبلاد والاستعاضة عنهم بأسوء الاشخاص . وهذا نص المذكرة[٢٦] .

لأعتاب صاحب الجلالة الهاشمية دامت شوكته

بما أن الامة كانت تنتظر بعد تتويج جلالتكم واعلان استقلال العـــراق تأليف الحكومة المقرر شكلها (حكومة دستورية نيابية) وانتخـــاب المجلس التأسيسي لسن الدستور وتأليف المجلس التشريعي لتكون الوزارة مسئولة أمامه حسب القواعد الجارية في الحكومات الدستورية وحيث إن جميع ماذكر قد بقى في عالم المواعيد ولم يخرج من القول الى حيز الفعل ، فقد بقيت الامة تكابد انواع الاضرار الناتجة من سوء الادارة المتغلب عليها نفوذ البريطانيين المنافي لروح الاستقلال لانهم اتخذوا سياســـة التفريق وغيرها من الاعمال غير المشروعة التي تحط بالامة الى حضيض الجهل والفناء وتؤدي بهـــا الى

(٢٥) جريدة المفيد : العدد : ١٥ : التاريخ آب ١٩٢٢ .
(٢٦) م . ح . و : البلاط الملكي : الملف ج ، مطالب الاحـــزاب السياسية : ورقـــة : رقـــم ١ .

الاضمحلال رائدا لهم ، ورغم جميع الشكاوي المرفوعة الى السدة الملوكية والمقامات العالية لحكومة جلالتكم لم يسمع للامة اي شكوى ولا استغاثة فكأن هناك سبق عداء مع الامة يقصد من ورائه الانتقام منها • فاستبدل المأمورون المرجو منهم الخير والاصلاح للبلاد بغيرهم وابقي الآخرون هم آلة صماء تحت أيدي المستشارين ، ولا شك من أن هذه النتيجة بعد ذلك الانتظار هي التي أوجبت استياء الامة وجزعها من دوام هذه الادارة السيئة والسياسة المستهجنة ، ادارة التخريب وسياسة التفريق فاضطرت الامة الى عرض حالها التعس وطلبت اصلاحه الذي جاء من جملته اسقاط الوزارة التي لعتقد بأنها كانت العامل الاعظم في عدم تحقيق أمانيها ودوام حدوث الاضطرابات التي لا تحمد عواقبها للبلاد •

وبما أن المجلس التشريعي لم يتألف حتى الآن كما قد عرضنا وإن حق مراقبة أعمال الوزارة والاعتماد عليها هو عائد للامة رأسا •

فأن هيئتي المركز العام للحزب الوطني العراقي والمركز العام لحزب النهضة العراقية رأتا ان الواجب الوطني يقضي عليهما بعرض الكيفية على اعتابكم مترحمين صدور الارادة الملوكية بتطبيق المواد الاتية :

اولا : الكف عن الاعمال المار عرضها ولاسيما التدخل البريطاني في الامور الادارية •

ثانيا : تأليف وزارة من الاكفاء المخلصين لكي تطمئن الامة باصلاح الحالة فيزول الاضطراب وتهدأ الخواطر وتعم السكينة والراحة في البلاد •

ثالثا : أن لا تعقد اية معاهدة ولا تجري أية مفاوضة فيها قبل تأليف المجلس التأسيسي الذي ينتخب اعضاؤه بحرية كاملة •

وقد وقع المذكرة هذه جعفر ابو التمن الكاتب العام لهيئة المركز العام للحزب الوطني العراقي نيابة عن هيئتي الحزب •

وفي يوم ٢٣ آب ١٩٢٢ يوم ذكرى تتويج الملك جرى الاحتفال في بلاط الملك المطل على النهر (في القشلة الحالية) حيث كان الملك يستقبل المهنئين •

قام الحزبان بمظاهرة سليمة كبيرة سارت في شوارع بغداد وهي تهتف بحياة الملك فيصل ، وبسقوط الانتداب البريطاني وتطالب بتشكيل حكومة وطنية مستقلة ، وكان يتصدر المظاهرة جعفر ابو التمن والشيخ احمد الداود • وواصلت مسيرتها حتى وصلت البلاط فامتلأت ساحة القشلة بهم • فاستقبلها فهمي المدرس ، وأدخل الزعماء الاربعة على الملك وبعد التحية والتبريك تقدم جعفر ابو التمن الى الملك ورجاه أن يخرج الى الجموع المتحشدة التي جاءت تحييه هذا اليوم ويستمع الى مطاليبها بخطاب يلقيه أحد اعضاء الحزب الوطني في ساحة البلاط • فاعتذر الملك عن الخروج معهم لانه على موعد مسبق مع المندوب السامي البريطاني السير پريسي كوكس • وطلب الملك من فهمي المدرس كبير أمنائه القيام بهذه المهمة بالاستماع الى الخطب والمطاليب وتبيلغها اليه • فخرج فهمي معهم الى الشرفة المطلة على الساحة التي تحشدت فيها الجموع • فوقف محمد مهدي البصير في الشرفة والقى خطبة حماسية باسم الحزب الوطني وقد استهل خطابه بتقديم التهاني الى الملك بهذه المناسبة السعيدة وأبدى سروره واغتباطه بتبؤ الملك فيصل العرش •

وقال : (اننا : كنا نأمل ان نقف في صبيحة هذا اليوم التاريخي العظيم الى جانب رجال مجلس النواب وقد انتظمت الامور واستقامت الاحكام وتألفت الهيئات النيابية الحرة التي تمثل الامة العراقية المحترمة لدى صاحب الجلالة تمثيلا تاما ولكن لم تفلح هذه الآمال عندنا لحد الان مع الاسف) •

« وتذكرون ايها السادة ، ويتذكر صاحب الجلالة أننا رفعنا أصواتنا قبل هذا اليوم في العام المنصرم وقت ابرام البيعة فطلبنا جمع المجلس التأسيسي وتأليفه خلال ثلاثة شهور تبدأ من نظير هذا اليوم في العام الماضي وقد انقضت المدة المذكورة وانقضت السنة كلها ولم يلب ذلك الطلب » •

« اننا طلبنا جمع المجلس التأسيسي لسن المعاهدة المزمع عقدها بيننا وبين حكومةبريطانيا ، طلبنا عقد المجلس التأسيسي لنفرغ بلادنا بشكل دولي وليصبح كل شيء بهذه المملكة حقا مكتسبا وأمرا واقعا . طلبنا جمع المجلس التأسيسي ليتألف على أثره البرلمان ولتكون حكومة جلالة الملك مسؤولة أمامه بكل ما تنقض وتبرم وينصرف الناس الى ممارسة مهنهم وأعمالهم وليقوم كل فرد بواجب ازاء وطنه علميا كان او ادبيا » .

وقال ايضا : « ان تأخير جمع المجلس التأسيسي وحده هو الذي جر الينا كل هذه الكوارث والآلام وعلى عاتق الوزارة السابقة تقع تبعة تأجيله وتأخيره فقط . ولقد عدنا تتسائل هل من المرجح تأليف هذا المجلس مع الحالات الادارية الراهنة أم لا . والرأي السائد ان عقده غير مرجح اليوم لان الايدي المتغلبة تلاعب بالارادة وتصرفت بالاحكام حتى استاءت الخاصة ويئست العامة واستحوذ القلق ، على بال كل من يهمه مصير هذا القطر » .

وقال : « اما الان وقد استقالت الوزارة كلها فاننا نطالب من صاحب الجلالة صدور أمره الكريم بتأليف وزارة صالحة مخلصة مقتدرة حائزة على ثقة الجمهور لتطمئن اليها القلوب وتسكن اليها الخواطر ، ومتى تحققت امنيتنا هذه عدنا الى المطالبة باجراء كان يجب اجرائه » .

وختم قوله بالهتاف بحياة الملك فيصل فقال : « وليحي صاحب الجلالة الهاشمية فيصل الاول ولتحي الامة العراقية مستقلة حرة »[٢٧] .

كما تلا محمد حسن كبة بعده صورة البيان الذي أعده الحزبان باسم حزب النهضة العراقية[٢٨] وطلب الى فهمي المدرس نقل محتواها الى الملك . وفي الوقت الذي كان فيه مهدي البصير يلقي خطابه حضر المندوب السامي

(٢٧) جريدة المفيد : ٢٥ آب ١٩٢٢ . مهدي البصير : المرجع السابق جـ٢ ص ٤١٦ .

(٢٨) جريدة المفيد : ٢٥ آب ١٩٢٢ .

السير پرسي كوكس ومعه المس بيل وافراد حاشيته الى البلاط لتقديم التهاني الى الملك بهذه المناسبة . فلما وصلت السيارة الى مكان الاحتفال كانت الجماهير محتشدة ، فلم تستطع سيارته اجتياز الحشود الا بصعوبة بالغة . وتقول مس بيل[٢٩] :

« بينما كان پرسي كوكس يرتقي السلم نحو قاعة استقبال الملك لتقديم التهاني ، هتف صوت من بين الجموع بشيء لم يصل الى سمعه ولم أتبينه أنا ، فأعقب ذلك عاصفة من التصفيق . وقد دخلنا غرفة الاستقبال ونحن مرتبكون جدا ، وكان الانفعال يكاد يظهر على وجه الملك . ولما رجعنا الى المكتب طلب اليّ پرسي كوكس أن أتولى الامر في الحال لاهتدي الى ما حدث فاستلمنا الخبر الذي كنا نريده . وهو ان الحزبين المتطرفين (الحزب الوطني وحزب النهضة) قاما بمظاهرة والجملة التي اثارت الاستحسان والتصفيق هي (فليسقط الانتداب) .

لقد أثار هذا الهتاف استياء اعضاء الحزبيين لاعتقادهم أن ذلك يضر بمقاصدهم الوطنية . وذكر لي سامي خوندة في لقاء معه[٣٠] ان (حسون ابو الجبن) هو الذي هتف بهذه العبارة بوحي من الاحزاب الوطنية[٣١] .

أساء هذا الموقف السير پرسي كوكس واعتبر هذا الحادث اهانة كبيرة موجهة اليه والى دولته ، واعتقد أن ذلك لم يكن قد جرى مصادفة وانما كان مدبرا من قبل أمناء الملك وخاصة فهمي المدرس . وألقى تبعة ذلك على الملك .

وارسل كوكس تقريرا عن الحادث الى لندن يقول فيه :

---

(٢٩) رسائل مس بيل : مرجع سابق . ص ٤٣٥–٤٣٦ .
(٣٠) مقابلة معه في منزله بالوزيرية في ١٩٧٨/٨/٨ .
(٣١) مقابلة مع سامي خوندة في منزله في ١٩٧٨/٨/٨ .

« ان أمناء الملك تعمدوا تعيين موعد لزعماء المعارضة لكي يحضروا لتهنئة الملك قبيل حضوري ، وكذلك تعمدوا اطالة بقائهم هناك • فلما وصلت أخذ مهدي البصير الذي كان من مهيجي ثورة العشرين يلقي خطبة نارية في اهانة الانكليز وهو قد فعل ذلك بتوجيه أو بموافقة من فهمي المدرس »[٣٢] •

اراد المندوب السامي استغلال هذا الموقف لضرب الحزبين الوطنيين فأرسل في اليوم التالي يوم ٨/٢٤ رسالة شديدة اللهجة الى رئيس الديوان الملكي رستم حيدر ، يصف له ذلك المشهد ويحتج فيه بشدة على ما لقيه من معاملة غير لائقة عند حضوره ممثلا لملك بريطانيا في تقديم التبريك وحسبها اهانة شخصية له وهدد الملك فيصل بأنه أخبر لندن بالحادث • وطالب بالاعتذار اليه كما يطلب بيانا بالاجراءات التي ينوي الملك اتخاذها ضد الخطيبين اللذين القيا خطبا مهيجة • وهذا نصها :

سعادة رئيس الديوان الملكي المحترم[٣٣]

نرجو أن تخبروا جلالة الملك بأن فخامة المعتمد يحتج بعنف ضد ما لقيه من المعاملة ، في وقت كان فخامته يمثل حكومة ملك بريطانيا العظمى مارا بباب غرفة الاستقبال ليؤدي مراسيم التبريك ، وأن فخامته أخبر لندن بهذه الحادثة ويطلب أن يعتذر اليه ، وأن يعزل فهمي افندي المدرس اذ كان هو المسؤول رسميا ، ويطلب فخامته بيانا عن الاجراءات التي ينوي جلالة الملك اتخاذها ضد الخطيبين اللذين أحقرا مقام الملك بالقائهما خطبا مهيجة •

٢٤ اوكست سنة ١٩٢٢

التوقيع
جانين بيرسي

---

(٣٢) مهدي البصير : مرجع سابق ، حـ٢ ، ص٤١٥ .

(٣٣) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات : حـ١ ص٩٥ .

وعندما وصلت الرسالة الى الملك أمر حالا بعــزل فهمي المدرس مــن منصبه كما أمر سكرتيره رستم حيدر بكتابة جواب الــى المندوب السامي يعرب فيه عن أسفه العظيم وتأثيره للحادث الذي وقع يوم ذكرى تتويجه ، وتأكيد الملك في أنه سيعمل كلما هو ضروري لاصــلاح الحادث حســب رغائب المندوب السامي • وابداء رجاء الملك بان لا يبقى أثر لهذا الحــادث في ذاكرة المندوب السامي التي لم توجه اليه شخصيا[٣٤] •

وهكذا أدت هذه الأحداث الى اقالة فهمي المدرس كبير الامناء مــن منصبه • وقد اكد لي سامي خوندة في مقابلة معه[٣٥] •

---

(٣٤) الحسني : تاريخ الوزارات حـ١ ص٩٥ •

(٣٥) مقابلة معــه بتاريخ ١٩٧٨/٨/٨ •

ولد في بغداد عام ١٢٨٨ رومية ١٢٩١ هـ . ابوه عبدالرحمن افندي المدرس ، احد القضاة الشرعيين والعضو الدائم في محكمة بغداد التجارية وبيــت المدرس من بيوتات العلم القديمة في العراق درس مقدمات العلوم على والده واكمل الجادة في المدارس العلمية على اكبر علماء العصر ، واخذ الفنون عن الاختصاصيين واتقن اللغة التركية واللغة الفارسية وبرع في ادابهما كمــا تعلم اللغــة الانكليزية .

ولما بلغ الحادية والعشرين مــن عمره انتدب في وظائف الحكومة بالنظر الى ما ذاع من نبوغه فعين مديرا لمطبعة الولاية في بغــداد . مع تحــرير القسمين العربي والتركي في جريدة الزوراء . وعهد اليه تدريس اللغات الثلاث الفارسية والتركية والعربية في المدرسة الاعدادية الملكية . وانتخب عضو في مجلس معارف بغداد ودخل في عــداد خلفاء قلم مكتوبي وعــين ناظر لمدرسة الصنائع علاوة على وظائفه .

ووشى به الواشون لدى السلطان عبدالحميد الثاني فصدرت فيه الارادة السنية في ١٠ تشرين الاول سنة ١٣٢١ رومية بنقله الى جزيرة (رودوس) وفيها اسندت اليه مديرية مطبعة الولاية .

وفي ٩ تشرين الثاني ســنة ١٣٢٢ روميــة صدرت الارادة السنية برجوعه الى بغداد الى نفس الوظائف التي كان يشغلها قبل النفي وانتخب عضوا في مجلس اصلاح المعارف .

وسافر في ٢٠ نيسان ١٣٢٤ رومية الى استانبول بالاجازة وبعــد شهرين من وصــوله اعلن الدستور العثماني . فانتخب استاذا لاصــول الكتابة في اللغتين العربية والتركية في كلية « الالهيــات » مــن جامعــة

« ان المندوب السامي ادعى أن فهمي المدرس لم يفسح له المجال في الدخول الى الملك ولكن الحقيقة هي أن هناك اشخاصا يريدون ابعاد فهمي المدرس عن منصبه فضخموا الامر وجسموه . وكذلك كان المندوب السامي نفسه يرى ضرورة اخراجه من منصبه لاعتقاده أن فهمي له علاقة وطيدة بالوطنيين وينقل اليهم أسرار البلاط ويعتقد سامي خوندة أن لرستم حيدر ضلعا في الامر أوغر صدر المندوب السامي عليه » .

وممن يؤيد رأي سامي خوندة في أمر فهمي المدرس خيري العمري فيقول :

« ان فهمي المدرس كان منذ بداية تعيينه في البلاط يعمل سرا في تأييد المعارضة ، وقد أحسن الانكليز بذلك ولذا رأينا كوكس ينتهز فرصة المظاهرة وما جرى فيها لكي يتخلص منه . وكان فهمي المدرس يعتقد من جانبه ان رستم حيدر يختفي وراء هذه المناورة وظل هذا الشعور مسيطرا عليه »(٣٦)

الاستانة . ثم استاذ للاداب العربية في كلية الاداب واللغة العربية في كلية الالسن في الجامعة المذكورة . وقد استمر على التدريس في هذه المدارس اثني عشر عاما .

وفي ١٨ حزيران سنة ١٣٣٥ رومية غادر اسطنبول الى الشام في عهد الامير فيصل . وفي ١٤ ايلول ١٣٣٥ رومية سافر الى اوربا فقصد باريس ولندن ومدريد وبقي في اوربا سنة ونصف .

ولما تأسس الحكم الوطني في العراق عاد الى بغداد وتقلد في ٢١ آب ١٩٢١ رئاسة الامناء في البلاط الملكي .

واختير في ١١ كانون الثاني ١٩٢٢م عضوا في لجنة التأسيس لجامعة ال البيت . وفي ١ ايلول سنة ١٩٢٢ فصل من رئاسة الامناء بناء على طلب دار الاعتماد البريطانية .

يوسف عزالدين : فهمي المدرس ، ص١٨ .

(٣٦) ولما تحسنت الاوضاع خرج المدرس من داره واراد ان يجد له عملا يقوم به فاتصل بالسيد محمد حلمي صاحب المكتبة العصرية وعرض عليه السفر الى القاهرة لفتح مكتبة فيها يمولها محمود بماله ويسندها هو بعلمه وقلمه ومؤلفاته . ولكن فهمي المدرس خشي من السلطة الحاكمة فرفض المشروع رغم ثقته بنجاحه : (يوسف عزالدين : فهمي المدرس ص ١٤٤) .

وهكذا أضاعت الجبهة الوطنية شخصية وطنية صادقة في موقع حساس • وبقي في داره شبه محجوز لا يزوره الا الجريء من اصدقائه •

وفي اليوم التالي ليوم التتويج يوم ٢٥ آب ، أصيب الملك فيصل بالتهاب الزائدة الدودية وقرر الاطباء ــ وكان من بينهم امين المعلوف وسندرسن وصائب شوكت ــ اجراء عملية جراحية مستعجلة • وحين علم كوكس بقرار اجراء العملية للملك طلب من سندرسن قائلا له : « يجب ان أرى الملك قبل اجراء العملية أرجوك أن تخبره سأكون في القصر في الساعة السابعة والنصف »(٣٧) •

وفي الصباح الباكر ليوم ٢٥ آب حضر القصر الملكي الجراح ابراهام ومعه جراح آخر اسمه (ودمان) معاونا له في اجراء العملية وقد عهد الى سندرسن بمهمة التخدير • ثم جاء حنا خياط مدير الصحة العام ليشهد العملية ممثلا عن الحكومة العراقية ، كما جاء عدد من الاطباء العراقيين ليشهدوا العملية(٣٨) • ويقول سندرسن : ان ستة من عبيد الملك المسلحين كانوا واقفين على الشرفة المطلة على النهر ، ثم يعلق على ذلك قائلا : لو حدث للملك شيء لكانت فرصتنا في النجاة بعيدة جدا(٣٩) •

وقبيل اجراء العملية وفي الساعة السابعة والنصف وصل برسي كوكس وكور نواليس مفتش وزارة الداخلية ودخل على الملك فخرج الاطباء البريطانيون الثلاث من الغرفة ووقفوا في الشرفة ينتظرون • فسلم وأخرج من جيبه أمرا قدمه للملك ليوقعه وهو أمر اعتقال سبعة من الزعماء الوطنيين ونفيهم من العراق ••• فقال الملك ــ والامر بيده يخاطب السر بيرسي ــ بعد دقائق قليلة اكون بين ايدي هؤلاء الاطباء وقد لا اعود من غيبوبتي الى

---

(٣٧) الحسني : تاريخ الوزارات حـ١ ص١٠٠ •
(٣٨) امين الريحاني : فيصل الاول • ص١١٨ ــ ١١٩ •
(٣٩) سندرسن : الف ليلة وليلة (الطبعة الانكليزية) ص٦٦ ــ ٦٧ •

الحياة فهل تطلب مني يا سر برسي ان يكون هذا الامر آخر أعمالي في الدنيا؟، هل تنتظر مني ان انفي هؤلاء الناس ، اهل البلاد من بلادهم قبل موتي؟، لا والله انه غير ممكن ، قال هذا ، ودفع الامر الى المندوب السامي فأخذه ووضعه في جيبه • وخرج من القاعة دون أن يفوه بكلمة واحدة(٤٠) واجريت له العملية بنجاح •

وبعد اجراء العملية اصبحت البلاد بغير وزارة ولا رئيس دولة لان الوزارة النقيبية الثانية كانت قد استقالت كما ذكرنا سابقا • فلم تبق في البلد سلطة سوى سلطة المندوب السامي فتولى زمام الامور بنفسه ، وبادر في الحال الى اتخاذ اجراءات قمعية قاسية فأصدر بيانا في يوم ٢٦ آب ١٩٢٢ أوضح فيه حالة البلاد الراهنة وبين فيه أن مسؤولية حفظ الامن والنظام هي مسؤولية مشتركة بين الحكومة العراقية والمندوب السامي وطالما أن الوزارة قد استقالت وأصبحت البلاد بغير حكومة كما أن الملك اصيب بالتهاب الزائدة الدودية وأن الوضع اصبح في حالة خطرة بسبب سلوك بعض السياسيين ومنشوراتهم في العاصمة ، ولذلك فقد رأى المسؤولون عن حفظ القانون والنظام وجوب اتخاذ اجراءات سريعة للحفاظ على الامن •

وكذلك تعرض بيان المندوب السامي الى البيان المشترك الذي أصدرته هيئتا حزبي الوطني والنهضة العراقية في ٢١/٢٠ آب الذي نشر في جريدتي المفيد والرافدين في ٢٣ آب فوصفه بأنه يتضمن عداء صريحا للحكومة والدعوة للاضطراب ثم اعتبر المندوب السامي هذه الامور قد اضطرته الى اتخاذ التدابير الاتية :

اولا : اقفال الحزب الوطني وحزب النهضة •

---

(٤٠) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية . جـ١ ص٩٩ .

ثانيا : تعطيل جريدتي (المفيد والرافدين) والقبض على مديريهما سامي خوندة وابراهيم حلمي العمر وابعادهما خارج العراق .

ثالثا : القاء القبض على الاشخاص الآتية اسماؤهم وابعادهم عن بغداد الى الى خارج العراق وهم :

جعفر ابو التمن ، حمدي الپاچه‌چي ، الشيخ محمد مهدي البصير ، وأربعة اخرون .

رابعا : الزام السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي (نجل العلامة مهدي الخالصي) بالخروج من العراق خلال ٢٤ ساعة .

اما الاربعة الآخرون التي ذكرهم بيان المندوب السامي فهم : احمد الشيخ داود ، عبدالغفور البدري ، من هيئة حزب الوطني العراقي وقد اختفيا ولم تصل اليهما يد السلطة وامين الچرچفچي وعبدالرسول كبة ، من هيئة حزب النهضة العراقية اللذان اعتقلا ونفيا الى هنجام .

ثم ألحق بهما الشيخ حبيب الخيزران رئيس قبائل العزة في لواء ديالى ، أما ابراهيم حلمي العمر صاحب جريدة المفيد فقد فر الى ايران والقى القبض على سامي خوندة صاحب جريدة (الرافدين)[٤١] .

وفي ٢٨ آب أرسل كوكس واحدا من موظفيه الى الشيخ مهدي الخالصي والسيد حسن الصدر في الكاظمية ينذرهما بوجوب سفر ولديهما السيد محمد والشيخ محمد الى خارج العراق خلال ٢٤ ساعة واذا لم يفعلا ذلك سيضطر المندوب السامي الى اتخاذ اجراءات ضدهما لا تتناسب مع احترام رجال الدين ، فاضطر السيد محمد الصدر والشيخ محمد مهدي الخالصي الى السفر الى ايران ، صيانة لمقامهما الديني من نفيهما عن طريق القوة ، فغادروا العراق في ٢٩ آب ١٩٢٢ .

---

(٤١) مهدي البصير : تاريخ القضية العراقية جـ٢ ص٤٢٩ .

اما كيفية اعتقال جعفر ابو التمن ونفيه الى هنجام ، فقد كانت السلطات قد صادرت اوراقا يحملها نقيب أشراف سامراء كان قد زوده بها الحزب الوطني العراقي في ٢٦ آب ١٩٢٢ وكانت اللجنة التنفيذية يومها مجتمعة وأخبرهم بما جرى ، فقررت اللجنة الاحتجاج على هذه التصرفات الشاذة لدى مدير الشرطة العام وعهد الى جعفر ابو التمن وحمدي الپاچهچي ابلاغ مدير الشرطة العام بذلك القرار • فذهب جعفر ابو التمن وحمدي الپاچهچي الى دائرة الأمن العامة ولكنهما لم يجداه في محل عمله ، فزارا أحد موظفي دائرته الميجر جرارد ، فتعهد هذا باجراء التحقيقات اللازمة وابلاغ الجزب بنتيجة ذلك ولكنه خرج قليلا من غرفته ثم عاد وهما في انتظاره وقال لهما انه سوف لا يدخر وسعا بالتحقيق في أسباب الحادثة وعند خروجهم من الدائرة واذا بسيارة فيها ثلاثة من رجال الشرطة كانت واقفة بانتظارهما فأركبا بها(٤٢) •

كما القي القبض على محمد مهدي البصير وهكذا فقد أرسل المعتقلون جميعا الى جزيرة هنجام في الخليج العربي •

وأصدر كوكس أمره بعزل متصرف لواء الحلة علي جودت الايوبي وعزل قائمقامين من انصاره هم (خيري الهنداوي وشاكر الملا حمادي) •

كما أرسلت الطائرات لقصف العشائر المؤيدة للحركة الوطنية ، كعشيرة آل فتلة في المهناوية ، وعشيرة خفاجة في الشطرة ، وعشيرة الاقرع في الدغارة، وعشيرة العزة في المنصورية وصودرت أراضي رؤساء العشائر الموالية للحركة الوطنية وسلمت الى المؤيدين للسياسة البريطانية • وأمر رؤساء العشائر المؤيدة للحركة الوطنية أن يسلموا أسلحتهم الى السلطة(٤٣) •

وقد وصفت المس بيل اعمال كوكس القمعية هذه « بانه عمل جريء أنقذ الموقف » • وقالت : ان المتطرفين قد انهارت قواهم ، وان كوكس قدم

(٤٢) الحسني : عبدالرزاق : مرجع سابق حـ١ ص٩٦ •
(٤٣) مس بيل : الرسائل ص ٤٣٨-٤٣٩ •

تسلك ثغرة يستطيع من خلالها ان يمشي حينما يكون قادرا على المشي بعد المرض • وعند ذاك يمكن تطويل مدة نقاهته عند الضرورة سنكون قد تسلمنا جوابا صريحا من لندن • أما المعتدلون فقد اخذوا يرفعون رؤوسهم عاليا • وآخذ حزب السيد محمود الكيلاني يتوسع بصورة ملحوظة • واعتبرت المس بيل مرض الملك صدفة عجيبة جاءت في الوقت المناسب فقالت

« جاء مرض الملك في الوقت المناسب فكان شيئا مفيدا باكثر مما تعنيه الكلمات »[٤٤] •

وتشير المس بيل الى هذا الاعتقال فتقول : « فقد كان (مثيرو الفتن) على درجة من الاعتماد على دعم الملك ومساندته لهم بحيث أبدوا شجاعة في مواجهة الامر • وفي صبيحة السادس والعشرين من الشهر حضر جعفر ابو التمن وحمد الپاچه‌چي ، وكانا على رأس المرشحين للاعتقال الى دائرة التحقيقات الجنائية ليحتجا على التعقيبات الجارية فاستقبلا بحماسه وسلما الى الشرطة »[٤٥] •

كانت السلطات البريطانية قلقة مما قد يحدث من ردود فعل لهذه الاجراءات كقيام المظاهرات والاحتجاجات ، فاتخذوا الاحتياطات اللازمة لذلك •• ووضعوا بعض القوات العسكرية في حالة استعداد واستنفار والى هذا تشير المس بيل فتقول :

« كانت هناك شائعة ان أصدقاء جعفر ابو التمن كانوا يستعدون للقيام بمظاهرة ، لانه وهو اشد الجميع خطرا قد تم توقيفه ، وقد كان جنودنا وسيارتنا المصفحة مرابطة في مداخل المدينة ولكننا لم نحتج اليها » •

---

(٤٤) مس بيل : الرسائل ص ٤٤١ •
(٤٥) مس بيل : المرجع السابق ص ٤٣٨ •

أرسل المعتقلون الى معسكر القوة الجوية في الهنيدي (معسكر الرشيد حاليا) ثم منه الى السجن العسكري في المعقل في البصرة الذي أقاموا فيه حوالي الشهر ثم حملتهم الباخرة (باندرا) الى منفاهم في جزيرة هنجام في الخليج العربي •

يقول علي محمود الشيخ علي في مذكراته المخطوطة[٤٦] : في هذا الوقت اخذت السلطات البريطانية ترصد الوطنيين وتتعقب الاحرار لتقضي على كل أثر للنشاط السياسي الذي كان قد بدا لها هائلا مخيفا وفي تلك الحالة ووسط هاتيك الظروف عقدت معاهدة ١٩٢٢ لمدة عشرين عاما •

« فهذه الضربة السياسية قد زعزعت الثقة بحكومة الملك فيصل وهذه الاجراءات الاستبدادية قد ضعفت من مركز الملك نفسه حتى أن وزارة عبدالمحسن السعدون في عام ١٩٢٣ حاولت أن تجري الانتخابات لجمع المجلس التأسيسي ولكنها فشلت لان الجهات الوطنية وفتاوى العلماء والمجتهدين كانت تبشر بمقاطعتها بالرغم من أن هذه الوزارة قد عقدت ملحقا للمعاهدة خفضت به مدة المعاهدة من عشرين عاما الى اربعة اعوام » •

لم يكتف الانكليز بضربتهم التي جاءت على يد السير پرسي كوكس للتمهيد لعقد المعاهدة ، فقد مهدوا لها بضربات سياسية أخرى أعظم خطرا على كيان العراق واشد بلاء على وحدته ومن شيمة الانكليز في جميع البلدان التي يكون لهم فيها نفوذ يريدون ارغامها على تنفيذ أمور معينة يطمعون في تحقيقها أن يمهدوا لمطالبهم بحوادث سياسية أو وقائع تمس الامن العام أو تهدد حياة المملكة وتحت ستار هذه الحوادث والوقائع والتهديدات يبتزون ما يريدون ابتزازه ويختطفون ما يردوا اختطافه ، والعراق قد لاقى منهم ضروبا في هذه الحوادث والوقائع الوانا من هذه التهديدات • لقد حاول بواسطة أذنابهم ومأجوريهم أن يبثوا في الاوساط البصرية فكرة

(٤٦) مذكرات علي محمود الشيخ علي حـ١ ص ٢٥٠ .

الانفصال التي بثت في الاوساط البصـرية وماتت الفكرة وهي في مهدهـا ، وزالت من الوجود ومما تقـدم بجلاء ان الوزارة العراقيـة حينما عقـدتها والبلاد تجتاحها أهواء سياسية تهـدد كيانها وتعرض وحدتها الى الخطـر وتسودها ادارة قوية في استبدادها عنيفة في اجراءاتها قاسية في ضربتها •

وعلى هذا استطاع پرسي كوكس أن يحقق سيطرته التامة على البلاد بعد أن ضرب الحركة الوطنية ضـربة قوية حتى يتمكن من امرار المعاهـدة العراقية البريطانية دون معارضة تذكر •

وفي ١٠ أيلول ١٩٢٢ وبعد شفاء الملك من مرضه زاره كوكس وهنّأه بالشفاء ، وأخذ يتحدث اليه بصراحة ، قائلا له : ان الحكومة البريطانية سوف لا تتحمل بعد الان اتصاله بأية حركة وطنية ولا تتسـاهل في أي تأخير قـد يحدث في شأن تصديق المعاهدة وطلب منه أن يكون ملكا دستوريا • ويترك التدخل غير الضروري في شؤون الادارة والموظفين •

وذكر ايرلاند : أن الملك فيصل اعتذر عن اعماله السـابقة بأنه انمـا قام بها لعدم وجود الدستور ولان الوزارة كانت غير متجانسة وانه حالمـا يحصل على الدستور والمعاهدة سوف يقوم بتنفيذ ما يطلب منـه بطيبـة خاطـر(٤٧) •

وقد قدم كوكس الى الملك فيصل مسودة كتاب يصـادق فيه علـى الاجراءات القمعية التي قام بها كوكس مـن نفي وسـجن وقصف للقـرى والمدن ويشكره عليها ، وقد فعل الملك ما اراد كوكس وهذا نص الكتاب :

عزيزي السر پرسي

الآن وقد تم شفائي بحمد الله تعالى ، وسمح لي اطبائي أن اسـتأنف اشغالي في الدولة ، أرى من واجبي قبل أن اتولى هذه التبعة أن أقدم الى

---

(٤٧) فيليب ايرلاند : العراق ، ص٢٨٣ •

فخامتكم تشكراتي القلبية ، وأن أعبر لكم عن اعجابي الشديد للسياسة الحازمة والتدابير الضرورية التي اتخذها فخامتكم ، بصفتكم ممثلا لحكومة صاحب الجلالة لصيانة المصالح العامة والمحافظة على النظام والامن أثناء مرضي المفاجيء الذي صدف وقوعه بغتة في المدن التي تنقضي عادة بين استقالة الوزارة وتأليف وزارة غيرها ، وختاما أكرر تشكراتي الخالصة لفخامتكم على مساعدتكم الثمينة .

بغداد : ١١ أيلول ١٩٢٢ صديقكم المخلص : فيصل[٤٨]

وبعد هذا صارت العلاقة بين الملك وكوكس علاقة ودية ، ولما حان وقت النظر في أمر تشكيل وزارة جديدة كان رأي كوكس ان يعيد النقيب تشكيلها للمرة الثالثة وان يكون اكثر اعضاؤها من الذين كانوا وزراء في الوزارة النقيبية السابقة ، فوافق الملك على جميع ما طلبه كوكس منه[٤٩] .

وبناء على طلب المندوب السامي البريطاني برسي كوكس عهد الملك فيصل الى عبدالرحمن النقيب بتشكيل الوزارة الجديدة فشكلها في ٣٠ ايلول ١٩٢٢ وفي ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ صادقت هذه الوزارة على المعاهدة على ان تقترن بموافقة المجلس التأسيسي المنتظر . فأستصدرت في ١٩ تشرين الاول ارادة ملكية بتأليف المجلس التأسيسي بناء على قرار مجلس الوزراء . وحددت مهام المجلس هي ان يقر دستور البلاد (القانون الاساسي) وقانون انتخاب مجلس النواب والمعاهدة العراقية ــ البريطانية ــ وعين موعد بدء الانتخابات في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٢ ، وعهد الى عبدالمحسن السعدون وزير الداخلية تنفيذ هذه الارادة[٥٠] .

---

(٤٨) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية حـ١ ص٩٧ .
(٤٩) الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب : حـ٢ ص ٢٧ .
(٥٠) الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب حـ٢ ص٢٧ .

وقد اعتقد المندوب السامي السير برسي كوكس انه استطاع القضاء على الحركة الوطنية قضاء تاما وبذلك سوف ينجح في انتخابات المجلس التأسيسي وسوف تسير الانتخابات بشكل سليم وهادئ •

ولكن الحركة الوطنية خيبت آمال كوكس فأصدرت بيانا تدعو فيه الشعب الى مقاطعة الانتخابات ما لم تجب طلباته وهي :

١ ـ الغاء الادارة العرفية في البلاد •

٢ ـ اطلاق هوية المطبوعات والاجتماعات ليتسنى لابناء الشعب بث افكارهم

٣ ـ سحب المستشارين في الالوية لان وجودهم قد شل ايدي الموظفين الوطنيين •

٤ ـ اعادة المنفيين السياسيين في هنجام الذين ابعدهم المندوب السامي في حادثة ٢٣ آب ١٩٢٢ •

٥ ـ السماح بتأليف الجمعيات وكانت قد تعطلت في الحادثة المذكورة[٥١]

وفضلا عن ذلك تدخل رجال الدين في الكاظمية والنجف وكربلاء في امر المقاطعة فأفتى الشيخ مهدي الخالصي في تحريم الانتخابات نيابة عن العراقيين كافة • وتبعه السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني والمرزا حسين النائيني من علماء النجف ، وتبعهم باقي العلماء في تحريم الانتخابات فزادت الفتاوى الامر تعقيدا في وجه الوزارة النقيبية والمندوب السامي •

وبعد ان تأزم الموقف بوجه الوزارة النقيبية الثالثة رأي المندوب ان من الضروري تبديل هذه الوزارة بوزارة جديدة قوية تستطيع جمع المجلس التأسيسي لتصديق المعاهدة ووضعها موضع التنفيذ • ولكن النقيب كان حريصا على البقاء في الحكم ، وقد كتبت المس بيل بهذا الخصوص تقول :

---

(٥١) الحسني : تاريخ الوزارات حـ١ ص١١٣ •

« ان هناك امرا واحدا هو أن النقيب لن يتخلى عن رئاسة الوزارة الا اذا حمل حملا ورجلاه الى الامام »[٥٢] .

وعلى أي حال فقد بدأ الانكليز يشعرون بأن النقيب لم يعد صالحا لهم وان الموقف السياسي اصبح بحاجة الى رجل قوي حازم وليس لرجل ذي مهابة على اثر اشتداد حركة مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي .

وعلى هذا فقد اشعر المندوب السامي رئيس الوزراء برغبته هذه فتقدم باستقالته الى الملك فيصل في ١٦ تشرين ثاني ١٩٢٢ فقبلها وعهد الى عبدالمحسن السعدون بتشكيل وزارة جديدة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، فالفها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢[٥٣] .

وقد اعلن رئيس الوزراء الجديد ـ بعد موافقة المندوب السامي البريطاني ـ منهاج وزارته ، وقد حاول فيه ان يستميل الشعب الى جانبه ويتقرب اليه فأعلن ان السياسيين الذين نفوا الى هنجام بأمر المندوب السامي سوف يطلق سراحهم بعد تقديم تعهد خطي[*] بتأييد سياسة الملك وحكومته والمعاهدة العراقية البريطانية .

وفي الواقع أن عبدالمحسن السعدون كان صريحا لا يداجي ولا يميل ، الى المداراة والرياء وقد جاءه ذلك من تراثه البدوي الذي شب عليه في طفولته وفضلا عن ذلك كان قوي الشخصية مهابا ذا صلابة وثبات فاذا ابرم امرا سار فيه قدما لا يبالي ارضي الناس عنه أم غضبوا . فهو قوي مقتدر قادر على الوقوف بوجه الملك فيصل .

ومن ناحية أخرى كان السعدون يرى أن العراق محاط بالاعداء في كل جانب كأبن سعود والاتراك والايرانيين والفرنسيين ومشكلة الموصل مازالت قائمة ولهذا فأن مصلحة العراق ـ في رأي السعدون ـ مرتبطة ارتباطا وثيقا

(٥٢) مس بيل : الرسائل ص ٢٥٠ .
(٥٣) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية : حـ١ ص١١٥ .

بالتعاون مع الانكليز فليس من الحكمة ـ في رأيه ـ أن يواجه العراق اولئك الاعداء بمفرده وهو لا يملك من قوة تساعده على الصمود بوجه هؤلاء فلو ان الانكليز انسحبوا من العراق لاكله اعداؤه المحيطين به خلال زمن قصير • وكان السعدون يجاهر في آرائه هذه علنا امام اناس يظهرون غير ما يبطنون ، أضف الى ذلك انه كان لا يشعر بالضعف أمام الملك وكثيرا ما كان يقف منه موقف الند للند يعارضه في كثير من اراءه •

وكتبت المس بيل في ذلك تقول : أن محسن بك السعدون من الذين أحبهم اكثر من غيره ، فهو رجل سديد الرأي غير هياب ولا يتردد مطلقا من ان يقول للملك انه لا يتفق معه في الرأي ان اقتضى الامر وكثيرا ما كان يفعل[٥٤] •

لقد وقف الملك فيصل الاول الى جانب الحركة الوطنية في موقفها ضد المعاهدة ، وكان يرمي من موقفه هذا دعمه بوجه الانكليز من جهة وكسب تأييد الحركة الوطنية من جهة أخرى • ولكن عندما وجه برسي كوكس ضربته القوية الى الحركة الوطنية ادرك الملك فيصل ان عليه ان يساير الانكليز للحفاظ على عرشه •

وقد وصف الشيخ محمد الخالصي ، موقف الملك فيصل هذا فقال[٥٥] :

« كأنه لا يهمه سوى اظهار اهميته للانكليز وقدرته على اخضاع العراقيين وافهام الانكليز انهم محتاجون اليه لقهر العراق ، فعندما يخلو بالوطنيين كان يحثهم على التظاهر والاحتجاج لرفع الحماية والوصاية حتى اذا تظاهروا عاد الى الانكليز فأفهمهم انه قادر على تسكين الشعب الهائج اذا توسلوا به ، ثم يوحي الوطنيين بالسكوت مؤقتا لمصلحة البلد ، ان موقفه هذا قد جر الكوارث على البلد » •

---

(٥٤) مس بيل : الرسائل ص : ٤٦٠ •
(٥٥) محمد الخالصي : بطل الاسلام • ورقة ١٦٤ •

اما الصحف الوطنية التي وقفت الى جانب الحركة الوطنية في العراق هي :

(١) جريدة الاستقلال البغدادية

قرر فرع حزب العهد في العراق مع بقية الاحزاب الوطنية السرية التي كانت تخطط للثورة على المحتلين ــ الانكليز ــ اصدار جريدة لايقاظ الشعور وبعث الهمم في نفوس الشعب والحوا على حكومة الاحتلال في طلب الموافقة على اصدار جريدة باسم (الاستقلال) وبعد ترد ومماطلة منحتهم السلطات امتيازها وقد اخذ الامتياز باسم احد اعضاء الحزب عبدالغفور البدري ، من الضباط السابقين المشتغلين بالقضية العربية •

وقد صدرالعدد الاول منها في ٢٨ ايلول ١٩٢٠ وكتب على صدرها انها « جريدة يومية عربية حرة»[٦٥] •

وقد بينت الجريدة سياستها في العدد الاول الذي اصدرته فقالت : بعد تمهيد طويل قيمت فيه الجرائد الحرة والصحف الوطنية ودورها في الحركة الوطنية •

« الاستقلال منشور وطني حر ، يخدم افكار العرب عامة والعراقيين خاصة ، يدافع عما يدافعون ، ويطلب ما يطلبون ولا يبالي اذا انزعج منه الخائنون ولا ينتسب الا الى الوطنية الصادقة ، ولا يتكلم الا بما يطابق افكار الشعب ••• كما انه سيبذل قصارى جهده في تقويم المعوج واصلاح الفاسد ويصغي لنداء الوطنيين بملء اذنيه »[٧٥] •

وقد تولى رئاسة تحرير الجريدة قاسم العلوي ، واسهم في الكتابة كثيرون منهم : علي محمود الشيخ علي ومحمد مهدي البصير ، وسلمان الصفواني ،

---

(٥٦) كانت ادارتها على شاطىء النهر في جانب الرصافة قرب المحكمة الشرعية الحاليــــة •

(٥٧) روفائيل بطي : الصحافة العراقية ص٥٨ •

وسلمان الشيخ داود ، وسامي خوندة ، وطالب مشتاق ، ورشيد الصوفي وعوني بكر صدقي وحسين الرحال وباقر الشبيبي ، واحمد جمال الدين وفهمي المدرس وعبداللطيف حبيب وخيري حماد الفلسطيني الجنسية ومصطفى علي وباقر الشبيبي واحمد جمال الدين •

وقد جاهدت جريدة الاستقلال في شرح اسباب الثورة وهي مشتعلة وتحليل اهدافها وتوضيح عوامل الاستياء والنقمة من حكومة الاحتلال • ومما تذرعت به ، شعر حماسي تنشر ابياته يوميا وينظمه محمد مهدي البصير ، وطالبت حكومة الاحتلال بحرية الصحافة وحرية الاحزاب وفوائدها ودافعت عن مكتسبات الشعب العراقي الذي ارادت ان تشوهه بعض الصحف الاجنبية •

ويقول روفائيل بطي : (كان المرء يحس وهو في ادارة هذه الجريدة انها مؤسسة وطنية وناد سياسي مكتظ بالمكافحين ، حركة نشيطة يشترك فيها جماعات من الاهلين من طبقات الشعب) هذا يتبرع بالمال وذاك يكتب واخرون يتبرعون بتسيير ادارة الجريدة ، وذلك يبدي الافكار ويوجه وتلف الجميع حماسة جارفة ••• وكان كل ما في الجريدة وادارتها يرمز الى هدف الاستقلال العربي حتى ان (لافتة) الجريدة على باب الادارة كتبت بالالوان المربعة (الابيض والاسود) و (والاخضر والاحمر) وهي الوان العلم العربي الذي حمل ابان الثورة في الحجاز قبل ان يرفرف في سماء العراق علم عراقي • ويضيف بطي الى ذلك قائلا :

« ومن آيات خدمة الصحيفة مقالاتها في التسامح والاخاء بين اهل العراق على اختلاف اديانهم ومذاهبهم وتوثيقها عرى الاتحاد الوطني بينهم »[٨٥] •

كل هذه الامور اثرت في اقبال القراء على جريدة الاستقلال بعد ان وجدوها تعبر عن احساسهم وتفيض بارائهم وتنطق بأمانيهم •

---

(٥٨) روفائيل بطي : الصحافة في العراق ص٦٠ •

وقد وصفت المس بيل[٥٩] وصفا سيئا المجموعة التي كانت تدعم الجريدة وتلتف حولها فقالت (ان القوميين التقدميين هنا هم الذين لا يريدون الاتراك ، ولكنهم غير راضين عن وضعهم الحاضر ، يستعملون اسطورة البعبع التركي على امل ان يأتي الاتراك لاخراجنا من البلاد ، ثم يأتون بدورهم ليخرجوا الاتراك منها . ان الذين يفكرون بمثل هذا التفكير هم جماعة صغيرة ولكنها ذات صخب وعندهم جريدة تنطق بلسان حالهم تسمى (الاستقلال) وان معظم كتابها واتباعها اشخاص لا تستطيع اية حكومة ان تعينهم موظفين عندها واذا ماتركنا البلاد نحن فانهم سيقفون في وجه من سيخلفنا ايضا ..).

فلما كان يوم ٩ شباط سنة ١٩٢١ وقد عاد بعض المنفيين الوطنيين الى بغداد الذين نفاهم ولسن الى جزيرة هنجام صدر عدد خاص من جريدة الاستقلال يحمل التهنئة للامة بعودة رجال الجهاد ويؤيد اعلان البرنامج السياسي للكفاح بعناوين وحروف ضخمة بارزة في صدر الصحيفة وهذا نصه :

« نهنىء الامة العراقية بقدوم منفيينا الكرام . ونطلب ارجاع جميع المنفيين بلا استثناء ، كما نواصل الطلب في تنفيذ سائر المواد السبع وهي :ـ

١ ـ اطلاق حرية الصحافة وتطبيق قانون المطبوعات العثماني الى ان يسن غيره وفقا لنظامات الاحتلال .

٢ ـ اطلاق الحرية الاجتماعية وتشكيل اندية سياسية رسمية .

٣ ـ اصدار العفو العام الخالي من كل قيد وشرط عن جميع المجرمين السياسيين واطلاق سراح المسجونين .

٤ ـ ارجاع المبعدين والمنفيين والسماح للمشتتين بالرجوع الى اوطانهم .

٥ ـ رفع الادارة العرفية العسكرية والاحكام الكيفية التي اناخت على الشعب العراقي منذ الاحتلال حتى الان لتتمكن الامة من التفاهم مع السلطات بكل حرية واطمئنان .

(٥٩) مس بيل : الرسائل ص٢٦٣ .

٦ ـ رفع المحاكم العسكرية والقضاة العسكريين والقوانين التي رتبت اخيرا وتطبيق القوانين الجزائية والحقوقية السابقة بمقتضى نظم الاحتلال ايضا .

٧ ـ الاسراع في الانتخابات الحرة وتشكيل المؤتمر العام من دون مداخلة رجال الاحتلال وبدون اي تضييق على افكار الاهالي بخصوص الانتخابات هذا ما طلبه الشعب العراقي وسيواصل الطلب بكل الحاح لانه يعتقد انه لا يمكن لاية مفاوضة تؤدي الى التفاهم ما لم تنفذ هذه المواد السبع[٦٠] .

فلما صدر هذا العدد من جريدة الاستقلال كان له تأثيره المدوي في البلاد فأصدرت السلطة اوامرها بتعطيلها ولم تتجاوز العدد السادس والاربعين بعد، ولم تكتف السلطة بتعطيل الصحيفة بل اوقفت مديرها وأحد عشرة رجلا اخرين بينهم محررها وزملاؤه . وبعد مدة قصيرة اطلق سراح سبعة من هؤلاء الموقوفين ونفي اثنان منهم وحكمت المحكمة على الباقين وهم صاحب الجريدة عبدالغفور البدري بالسجن لمدة سنة واحدة ورئيس تحريرها قاسم العلوي بالحبس لمدة ستة اشهر[٦١] ومحمد مهدي البصير من محرريها بالحبس لمدة سنتين وبغرامة قدرها ثلاثة الاف ربية ، ولكن الاستئناف اسقط الغرامة وجعل مدة الحبس سنة واحدة . وفي ٨ تموز من السنة نفسها افرج عنه بكفالة نقدية على ان يبقى تحت رقابة البوليس سنة كاملة[٦٢] .

وقد عبرت المس بيل في رسالتها الى ابيها المؤرخة ١٣ شباط ١٩٢١ عن مشاغل السلطة الانكليزية في بغداد ذلك الاسبوع في هذا الحدث وأعتبرت القائمين على اصدار جريدة (الاستقلال) مشاغبين ، وذكرت ان تعطيل هذه الجريدة موضوع بحث ونقاش المسؤولين منذ مدة من الزمن ، وكان

---

(٦٠) جريدة الاستقلال البغدادية ص٩ شباط ١٩٢١ .
(٦١) روفائيل بطي : الصحافة في العراق ص ٦٢ .
(٦٢) يوسف عزالدين : شعراء العراق ص٢١٣ .

رأي السير برسي كوكس ان تقوم وزارة الداخلية بذلك واعتبرت العملية قد نجحت نجاحا تاما[٦٣] .

وقد وجدنا في مقررات مجلس الوزراء للحكومة المؤقتة للجلسات المنعقدة بين ٢٢/١١/١٩٢٠ و ١٧/١/١٩٢١ . ان مجلس الوزراء قرر ان يطلب من المندوب السامي اعادة المنفيين التالية اسماؤهم الى مواطنهم واطلاق سراحهم .

١ - يعاد الحاج مخيف (الديوانية) بعد اخذ التأمينات اللازمة منه .

٢ - يعاد الشيخ احمد الداود ، ومحمد جعفر الشبيبي ، ومحمد مصطفى الخليل ، ويؤخذ عهد خطي منهم بحسب رأي المندوب السامي .

٣ - يعاد عارف السويدي والشيخ احمد[٦٤] مختار (محلة الحاج فتحي) وصبري افندي بن قاسم آغا ، وامين الافندي رئيس بلدية الاعظمية ، ونوري بك فتاح باشا ، والسيد صالح الحلي ، وذلك بعد ان يؤخذ منهم عهد خطي ، على ان يؤجل امر السيد صالح الحلي لحين وصول المعلومات اللازمة عنه .

---

(٦٣) مس بيل : الرسائل ص٢٦٥ .

(٦٤) هو السيد احمد بن السيد محمود ولد في بغداد سنة ١٨٥٨ في محلة الحاج فتحي . ينتمي الى البومليس من سامراء . عاد من جزيرة هنجام سنة ١٩٢١ وفي نفس السنة ذهب الى الحج ولكنه توفى في الطريق في الباخرة التي نقلته واراد قبطان الباخرة ان يرميه في البحر حسب تقاليد البحارة ولكن الحجاج العراقيين الذين معه رفضوا واحتجوا على هذا القول . ومن حسن الصدف انه كان قد توفي مقابل جزيرة (قمران) التابعة لليمن وطلبوا من القبطان دفنه في الجزيرة فوافق ودفن هناك . (مقابلة مع ابنه سيد ابراهيم بن سيد احمد المختار في الوزيرية في ٦/٨/١٩٨٦) .

٤ ــ يعاد منفيو الحلة وهم : رؤوف افندي علي الحمادي ، جبار الحساني والسيد الهنداوي ، والسيد عبدالسلام ، السيد احمد سالم بعد اخذ العهد الخطي منهم ايضا • وقد توفي السيد احمد السالم بسكتة قلبية في منفاه في جزيرة هنجام •

٥ ــ يعاد السيد محمد السيد صافي (كربلاء) تلبية لطلب ولده السيد علي الصافي بكتابه المؤرخ في ١٩٢٠/١٢/٢٧ اسوة بالذين اعتقلوا معه ثم عفي عنهم •

٦ ــ يعاد السيد احمد البرزنجي •

٢ ــ جريدة المفيد

اسسها الصحفي الشهير ابراهيم حلمي العمر[٦٥] • وقد ايدت وساندت هذه الصحيفة الحركة الوطنية وصارت تنتقد سياسة الانتداب البريطاني

---

(٦٥) ولد في بغداد سنة ١٨٩٠ م بجانب الكرخ .. وتدرج في مدارسها حتى دخل كلية الحقوق . وعندما تخرج فيها تولى رئاسة تحرير (الرياض) ١٩١٠ وجريدة (النهضة) لسان حزب العهد في سنة ١٩١٣ . كما عمل مراسلا وكاتبا صحفيا في صحف ومجلات عربية من بينها (المؤيد) لرائد الصحافة المصرية علي يوسف وجريدة (اللواء) للزعيم المصري المعروف مصطفى كامل و (المقتبس) السورية الى جانب جريدة الاهرام والمقتطف العربيتين ، اصدر في دمشق جريدة (لسان العرب) بعد الحرب العالمية الاولى وتوقفت عن الصدور بعد سقوط حكم الملك فيصل الاول في سورية . فعاود العمر اصدارها ببغداد في ٢٣ حزيران ١٩٢١ • ثم اصدر جريدة المفيد في ١١ نيسان ١٩٢٢ وقد انتقد فيها سياسة الانتداب البريطاني وناصر الحركة الاستقلالية وتعرض للنفي والتشريد ، وتعرضت صحفه للتعطيل والالغاء بسبب مواقفها الوطنية ومناوئتها السلطة الاستعمارية .

في آخر ايامه لجأ الى الوظيفة بعد ان ضاقت به سبل العيش كانت اخرها (مدير الدعاية والنشر العامة) ولكنه ظل على اتصال دائم بالصحافة فأسهم في كتابة افتتاحيات الصحف باسماء مستعارة منها (كاتب وطني معروف) و (كاتب سياسي معروف) .

توفي في المستشفى الجمهوري (الملكي سابقا) يوم الاثنين ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ •

ووصفت المعاهدات والعهود غير المتكافئة بأنها (قصاصات ورق) وكتبت افتتاحية عن عصبة الامم تقدح شرا بعنوان (سوق النخاسة في جنيف) اهتزت لها الاندية السياسية واخــذت تناقش بعض الكتاب والنــواب الانكليز في القضايا السياسة العراقية والقضية العربية وايدت (جريــدة المفيد) حركة المقاومة لسياسة الانتداب ونشـــرت في ٢٣ آب ١٩٢٢ منشـــور الحـــزبين المتضامنين (الحزب الوطني) (وحزب النهضة) وكتبت عدة مقالات في وضع البلاد المضطرب .

وقد اغلقت بقرار من المندوب السامي البريطاني على أثر تسلم السلطة بعد مرض الملك فيصل والامر باعتقال صاحبها .

ولكن ابراهيم حلمي العمر قد اختفى ثم فر الى ايران ثم عاد الى اصدار جريدة المفيد في ٢٥ ايار سنة ١٩٢٤ بعد ان قاسى سنتي هجرة وتشريد(٦٦) .

لقد وجدت من المفيد ونحن بصدد اعادة كتابة التاريخ ان البحث عن هؤلاء الرجال الذين لعبوا دورا بارزا في تاريخ العراق الحديث وتحملوا عبء الحياة ومسؤوليتها في فترة من اخطر الفترات التي مر بها العراق والذين لاقوا في سبيل وطنيتهم الصادقة الكثير من الاضطهاد والظلم والتشريد والنفي .

وبعد البحث والتفتيش بشكل متواصل ، وبعد التحري الطويل عنهم وجدت ان اربعة منهم قد توفوا وانتقلوا الى جوار ربهم بنفس راضية مرضية ولم يبق منهم غير ثلاثة هم :

الدكتور محمد مهدي البصير والاستاذ سامي خوندة والشيخ حبيب الخيــزران .

---

(٦٦) روفائيل بطي : الصحافة العراقية ص٨٤ .

وكنت قد اتصلت بالدكتور البصير قبل هذا بمدة طويلة وكتبت من احاديثه وحكاياته السياسية الشيء الكثير . فبقي عليّ ان اتصل بسامي خوندة والشيخ حبيب الخيزران . وقد علمت ان الاول يسكن في بغداد ويسكن الثاني في مدينة دلي عباس في المنصورية في محافظة ديالي .

وكان الاتصال بسامي خوندة بالنسبة لي اسهل وايسر وقد اهتديت الى منزله فزرته فيه . كان ذلك ليلة الخامس من شهر رمضان سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨/٨/٨ . وقد قضيت معه ساعات طويلة خرجت منها بحصيلة طيبة جدا من المعلومات وقد استمرت الزيارات حتى قبل وفاته .

وبعد لقاءاتي مع سامي خوندة ذهبت لزيارة الشيخ حبيب في مدينة دلي عباس وقضيت معه عدة ساعات ثم تكررت الزيارات له .

الفصل الثـاني

الشيخ محمد مهدي البصير

عرفت الدكتور محمد مهدي البصير منذ ان دخلت دار المعلمين العالية سنة ١٩٥٥ ، وكنت اسمع عنه قصصا طريفة مـن طلابه الذين يتلقون عنـه الدروس في تاريخ الادب العربي ، وكنت اشاهده في ممرات الكليـة خارجا من الصف بعد ان اعطى محاضرته او داخلا اليه وهو يسير بخطاه السـريعة يقوده مساعده الخاص ورأسه مرفوعة وأنفه شامخ ، ولكن في تواضع ودعـة يوحي بها وجه لا تفارقه البسمة حتى اذا اكتأب •

وعلى مر الايام وتوالي السنون تعرفنا على انسـان كان يعطي لانـه لا يعرف غير العطاء ، لقد اعطى لوطنه وامته في ثورة العشرين أقصى ما يمكن ان يمنحه رجل فقد نعمة البصر ، ولم يأخذ عشر معشار ما اعطاه لانه لم يطلب ولم يعتد على الطلب ، كان كريما مع غيره كريما مع نفسه ، واجلى ما في نفسه هـذه الكرامـة وهذه العـزة •

لقد واصلت دراستي العالية خارج العراق وعندما عـدة الى الوطـن وجدت الدكتور البصير قد احيل على التقاعد وخلد في هذه الفترة الى الراحة والهدوء ، فقررت ان اتصل في داره الكائنة في محلة الوزيرية وفعلا كانت اول زيارة له في شهر شباط سنة ١٩٧١ ، وصرت اغتنم كـل فرصـة تسنح لـي لزيارته والتحدث معـه حتى توفي ــ رحمه الله ــ في صـباح يوم السـبت ١٩ تشرين الاول ١٩٧٤ •

كنت في كل زيارة اقوم بها اليه نتحدث عن حياة العراق السياسية قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وكان نصيب ثورة العشرين في هذا الحديث النصـيب الاوفى والاكثر • وكنت ادون كثيرا مما يقوله بحضرته او عندما اعود الى

البيت بعد الزيارة مباشرة حتى تجمع لدي سفر كبير ما زلت احتفظ به حتى اليوم • وما اقدمه اليوم الى القراء هو ثمرة من ثمار تلك اللقاءات المتعددة ،

كان الدكتور محمد مهدي البصير فضلا عن علمه وادبه وسعة اطلاعه صاحب نكتة ، تتخلل احاديثه من حين الى حين • والغريب انه ينكت على العميان ، والذي اذكره بهذا الخصوص انه ذكر لي نكتة عن شخص اعمى فقال :

التقى رجل اعمى برجل اعمى آخر ، واخذا يتفاخران فسأل الاعمى الاول صاحبه : كم تحفظ من الشعر ، فقال الاعمى الثاني احفظ عشرين الف بيت من الشعر ، فسأله الاعمى الاول : تحفظ عشرين الف بيت من شعر النساء أم من شعر الرجال ، وكان رحمه الله يعقب كل نكته بقهقهته العالية المعودة •

ومن نكاته الاخرى : قال رحمه الله :

كنت وصاحب لي في المقهى ايام ثورة العشرين وكان صاحبي يتحدث بأمور تتعلق بالثورة واحداثها ، وكنت احس ان ثمة عينا تراقبنا ، وآذانا تسترق السمع فأردت اسكاته دون ان أثير انتباه من كان يرصدنا ، فتمتمت :

بالقرب منا اناسٌ   لحكينا يسمعونا

الا ان صاحبي لم ينقطع عن الحديث فصرخت في وجهه :

مستفعلن فاعلاتن   ويستباح ابونا

وبعد هذه المقدمة القصيرة نعود الى تقصي حياة هذا الرجل الطويلة والعريضة التي تركت شخصيته بصماتها على الكثير من الاحداث التي عاصرها أو أسهم فيها •

ينحدر محمد مهدي البصير من عائلة عربية تنتسب الى قبيلة بني كلاب• وقد سكنت هذه العائلة الحلة في القرن التاسع عشر ، والمعروف من هذه

الاسرة هو الشيخ شهاب الدين بن عبيد بن احمد بن حسن الكلابي وهو مؤسس الاسرة • وكان هذا واعظا وخطيبا على المنابر الحسينية في مدينة الحلة وظل (الشيخ شهيب) الذي تسميه العامية وبهذه عرفت الاسرة في مدينة الحلة ، ظل في مهنته هذه حتى توفي سنة ١٣١١هـ ــ ١٨٩٣م •

وبعد وفاة الشيخ شهيب ورث عنه اولاده الخطابة وارتقاء المنابر فكان ولده الشيخ عبدالحسين من مشاهير خطباء الحلة في عصره • وكذلك اخوه الشيخ محمد رضا شهيب كان هو الاخر خطيبا وشاعرا •

وكان الشيخ محمد[1] بن الشيخ عبدالحسين (والد مهدي البصير) خطيبا وواعظا استمر في الوعظ والارشاد على المنابر الحسينية ما يقارب ثمانين عاما مما جعله هذا ان يحظى بمنزلة كبيرة ومحترمة عند اهل الحلة ، وبعد عمر قارب المائة عام توفي الشيخ محمد في ١٣ تموز ١٩٦٢م ودفن في النجف الاشرف •

وهنا يحدثنا الدكتور محمد مهدي البصير عن حياته الاولى فيقول(*) :

ولدت في غرة المحرم سنة ١٣١٣ هـ ــ ٢٤ حزيران ١٨٩٥ في محلة الطاق في مدينة الحلة القديمة ، وفي زقاق ضيق وفي بيت من بيوت ذلك الزقاق الذي تعاقبت عليه احداث السنين التي تركت اثارها عليه •

ولقد ارخ المرحوم الحاج مجيد العطار احد شعراء نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر يوم ولادته بقوله :

(آ) ولد في الحلة عام ١٢٨٢هـ وقد نزح جده الاعلى محمد رضا من بغداد الى الحلة وقد فتح فيها حانوتا يبيع به مختلف انواع العطارية • توفي في الكوفة في العشرة الاولى من ذي القعدة عام ١٣٤٢ هـ وحمل الى النجف ودفن فيها •

(١) كان الشيخ محمد معتمد الامام محمد تقي الشيرازي في الحلة وهو الذي تلا رسالة الشيرازي عام ١٩٢٠ على اهل الحلة يحثهم فيها على المطالبة بحقوقهم الوطنية بالطرق السلمية •

* نقلت من مشروع مذكرات (من انا) ولم يكتب منه إلا هذه الصفحات وكتبتها هنا حفظاً لها من الضياع •

محمد وافتك البشـــائر بالهنـــا ولاح هلال الســعد في مطلع المجد
لئن غاب بـدر من سـماك فان ذا هدى ارخوه نلت بالخلف المهـدي

في البيت الثاني اشارة الى وفاة اخ لي كان قد توفي منذ زمن قصير . ووالدي هو الشيخ محمد الذي وعظ الناس ، وتحدث اليهم عن الســيرة النبوية الشريفة ، وايام الراشدين وعن الكثير من احوال الامويين والعباسيين وعن نسب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلـم) وما روى عــن ابائه الطاهرين . وروى الكثير من خطب الامام علي عليه السلام متخلصا من ذلك كله الى رثاء الحسين عليه السلام .

اقول انه فعل ذلك مدة تقرب من ثمانين عاما . وكان شاعر مقلا تفجرت شاعريته على الخصوص في اثناء حجه سنة ١٣٣٢ للهجرة ، فقد كان يرســل البرقيات شعرا ويتلقى في الغالب اجوبتها شعرا كذلك .

ارسل الينا من (عنة) على ما اظن برقية يقول فيها :

يــا آل عبدالحســـين[٢] عوذتكـــم بالحســين
هــل مــن جـــواب لطيف يكـــون قـــرة عينـــي

فاجبته ببرقية اقول فيها :

يا ســاريا للحـــج لا نشـــتكي اليـــك الا الـــم البعـــد
ذا تسـلمنا منتظـــم عقـــده بشـــراك يا واســطة العقــد

وارسل من (دير الزور) الى المرحوم السيد محمد القزويني برقيــة يقول فيهــا :

---

(٢) عبدالحسين هو جد مهدي البصير .

في الديـــر شـــوقي تجـــدد لـــذي المعـــالي محمـــد
فكـــاد لابـــن أخيـــه شـــوقا فـــؤادي ينقـــد(٣)

لا اتذكر نص برقيته من الشام ، ولكني اتذكر جواب المرحوم السيد محمد القزويني عليها ، وهو :

مددت الطـرف نحو الشام شـوقا وزاد لذكرهـا شـغفي وحبـي
غـداة محمـد قد حـل فيهـا « وما حـب الديـار شغفن قلبي »

وقد تزوج ابي اربع نساء اولاهن والدتي التي اعقبت منه عشرة اطفال ذكورا واناثا • ولم يبق منهم الان سوى ثلاثة ، انا اكبرهم • وعندما وضعت أمي طفلها العاشر وكانت اسنت وذوت نضرتها تزوج امرأة شابة لم تعش معه سوى اعوام قليلة • فلما توفيت تزوج شقيقتها وكانت في الثانية عشرة مـن عمرها ولم تعش معه ايضا سوى اعوام قليلة ، وقد رزق من كل منهما طفـلة توفيت احداهما وما زالت الاخرى على قيد الحياة وهي أم عدد لا بأس به من البنين والبنات وعندما توفيت زوجة ابي الثالثة تزوج امرأته الرابعة التي رزق منها اربعة بنين واربع بنات كلهن على قيد الحياة وقد زارتني هي قبل عـدة سنين وكانت على جانب لا بأس به من النشاط والحيوية وتوفي والدي رحمه الله في ١٣ تموز ١٩٦٢ وقد جاوز المئة في الحساب الهجري واكمل الثامنـة والتسعين في الحساب الميلادي •

والشيخ عبدالحسن الذي تقدمت له الاشارة هو جدي • وقد سبق ابي الى الوعظ والارشاد وذكر اهل البيت واعدائهم ونحيبهم والى رثاء الحسين

---

(٣) ابن اخي السيد محمد القزويني المشار اليه ، هو السيد محمد علي عضو مجلس الاعيان سابقا والمتوفي بالاربعينات من هذا القرن •
يقول البصير كان المرحوم السيد محمد القزويني قد فارق احدى زوجتيه قبل مدة قصير وفي ظروف محزنة ، فلما سمع هذا المطلع اجهش بالبكاء وكان ابي الى جانب السيد عبدالمطلب ، فهمس في اذنه (هذا البكـاء على فلانة وليس على ابيك) •

عليه السلام وكان رحمه الله مزواجا في بيته اربع نساء ثالثهن فارسية ولكنه لم يعش معها طويلا لان زوجاته العربيات قاطعنه بسببها واجبرنه على طلاقها فطلقهـا .

وكان رحمه الله ضعيف البنية معتل الصحة توفي في اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هـ عن ثلاث وستين سنة ورثاه معظم شعراء الحلة ، ورثاه السيد عبدالمطلب بقصيدتين احداهما صهره وابن عمه سـيد عباس السـيد حيدر ، منها قولـه :

أومـا وقـاك الحتـف درع تنسـك
فانشـبت فيـه الذنـوب رماحهـا

وقولـه :

لـولا محمـد قلـت مـن يئسـن لمن
من بعـدك العليـا تجيـل قداحهـا

وظهرت الثانية باسمه وانشدت في مجلس المرحـوم السـيد محمـد القزويني لان مجلس الفاتحة كان قد انتهى وهذا طرف من القصيدة :

من ضعـون الاحبـاب واحتقبوا نفسـا عليهـم آذانهـا الوصب[٤]
اتبعتـهم يـوم ضـعتهم شـطرا يذهـب بالـدوا أيـة ذهبـوا
فـرد للعـين وابـن مقلتهـا دم يفيـض الفجـع مختضـب

ورثاه الشيخ يعقوب والد الشيخ محمد علي الذي تسمى باليعقوبي عندما أسن ، وهو واعظ ذاكر لاهل البيت شاعر مكثر ، بقصـيدة مطولـة قـال فيهـا :

(٤) كان له عندما توفي سبعة اولاد وخمسة منهم متزوجون وسـبع بنات ، اربع منهن متزوجات .

قـد اوحشـت منـك المنابـر وزهـت بمرقـدك المقـابر
عثـر الزمـان وفي نظـيرك لـم يكـن في النـاس عاثـر
وبرغـم انفـي ان خـدك في الثـرى قـد بـات عافـر

ورثاه الشيخ حسين البصير بقصيدة مطلعها :

مـا للجوانـح بينهـن لهيـب كادت بجمرتهـا القلوب تـذوب

ومنهـا :

لو كان شق الجيب يرجـع ميتا شقت عليـك مرائـر وقلـوب

ورثاه الحاج مجيد العطار ، بقصيدة ارخ فيها وفاته بقوله :

ان سـحاب العفو لمـا ارخـو سـقى ضريحـا لابـي محمـد

والشيخ عبدالحسين هو ابن الشيخ شهاب الدين الواعظ الخطيب الذاكر لاهل البيت وهو مؤسس اسرتنا ولست اعرف عنه الكثير توفي سنة ١٣١١ هـ فرثاه احد شعراء الحلة بابيات ارخ فيها وفاته بقوله « غاب شهاب » ورثـاه المرحوم الحاج حسن القيم(٥) بقصيدة مطلعها :

صـبرا وان طـرقت عظيمـة فالمـرء قـد يسـلوا همومـه
ويـروح علـم عـن امـور وهـي قـد هـدت حلومـه
نادمـه بالسـلوان عـن تلك الرزيـة يـا نديمـه
امس ابـو الحسـن فقيـد نظـيره فيهـا عديمـه
فيـه المكـارم كلهـا تمـت ومـا شـدوا تميمـه

ويقول فيهـا :

---

(٥) ولد في بغداد ١٢٧٦ هـ ونشأ بها حيث كان ابوه مقيما هناك . هاجر الى الحلة وكان يحترف بتطريز الاحزمة والمناطق من الابريسم . وكان يجلس الى دكانه جمعا من الادباء والشعراء كان لهم الاثر الاكبر على ايقاظ روحه الادبية. توفي سنة ١٣١٨ هـ ودفن في النجف .. شعراء الحلة حـ٢ ص٣.

يا ثاويا والصالحات بجنبه		امست مقيمه
عاقدت دهرت لا تلاقي		فيه يوما او تصومه
وسدت قبرا قد غدا		صدفا ودرته يتيمه

يشير فيها الى ابنائه الذين ورثوا عنه الوعظ وما اليه فيقول فيهم :

عنه ورثتم منبرا		فيكم تزن ، يا نجومه
من كل وجه فيه تجلى		ظلمة الليل البهيمة(٦)

واذا كانت هذه اسرتي افيكون عجبا ان انشأ نشأة دينية ؟!

وما كدت ابلغ الخامسة حتى ابديت رغبة شديدة في الذهاب الى الكتاب لا لاتعلم القراءة فحسب ، ولكن لاتفوق على عم لي يكبرني قليلا وهو يتعلم القراءة في كتّاب تديره امرأة سنها في الستين تمت الينا بصلة قرابة بعيدة ، لها ستة اولاد ، اربعة منهم متزوجون وابنتان متزوجتان ولها منزلة محترمة تماما في عائلتها فكناتها يقبلن يدها كلما خرجن من الحمام او ما يشبه الحمام. وكان ابناؤها يقيمون مجلس التعزية صباح كل سبت وقارئهم هو ابي ، وكنت استيقظ مبكرا جدا كعادتي ، وكنت قد لقحت منذ بعض الوقت ضد الجدري ، وخرجت الى الشارع فابصرت كلبا اسودا ضخما للغاية فخفت خوفا شديدا ورجعت الى الفراش فنمت نوما عميقا لم استيقظ منه الا وقد انتشر الجدري في جسمي وشفيت من الجدري في الوقت المناسب ولكني كنت قد فقدت بصري ، وهنا نذر ابي — وهو الرجل المتدين — لئن اعاد الله اليّ بصري ليزرن كربلاء ماشيا على قدميه ، ولم يعد الله اليّ بصري ، ولكن الفقهاء المتزمتين الزموا ابي ان يفي بنذره ، فوفى به ، وبعد سنة تقريبا اخذت الى كربلاء وقرنت الى شباك ضريح العباس (عليه السلام) بيشماغي ولقنت كلمات اطلب بها الى العباس ان يرد علي بصري ، ولكن العباس لم يفعل ذلك . وعندها صمم ابي على ان احفظ القرآن فكنت احفظ مرة وانسى تارة وكان

(٦) انظر : القصيدة كاملة في شعراء الحلة (البابليات) جـ٢ ص ٢٤—٢٥ .

النسيان يكلفني ثمنا باهظا . وكان جدي ـ رحمه الله ـ ارأف افراد اسرتي بي ، فكان يدنيني منه ويحفظني بعض مختارات من الشعر وينقدني قرشا مقابل كل عشرة ابيات احفظها حفظا جيدا . وربما كانت الابيات التالية من اول ما حفظته من قصيدة للمرحوم الشيخ صالح الكواز :

ويـلاه مـن قـوم اسـاءوا صحبتـي
مـن بعـد احسـان لكـل قـرين
قـد كـدت لـولا الحـلم مـن جزع لما
القـاه اصـفق بالشـمال يمينـي
قلبـي يفـلّ مـن الهمـوم جبالهـا
وتسـيخ عن حمـل الـرداء متونـي

واستمر جدي في تحفيظي الشعر واعطائي القروش على غير علم من ابي مدة لا بأس بها . وذات يوم سمعت جدتي تتحدث عني وانا في نحو العاشرة فتقول انه كثير العبث شديد الصلف لا يسمع نصحا ولا يحفظ درسا ، انه لن يكون كأبن خالته السيد حسن الذي كان شاعرا ، والسيد حسن هذا هو احد انجال المرحوم السيد محمد حسين ربيع الطبيب الكحال المعروف في وقته ، وعم صادق ربيع صهري على ابنتي الوحيدة (مي) وكان شاعرا مكفوفا ، فقلت في نفسي انها تفضل ابن اختها عليّ لانه شاعر . كان الشعر شيئا صعب المنال انني سأكون شاعرا في هذه الليلة . وجاء الليل وخلوت بنفسي فصرت اسطو على بعض ما حفظه جدي وما سمعته من الشعر في مجالس التعزية على النحو التالي : قال المرحوم السيد حيدر في مطلع قصيده يرثي بها الحسين عليه السلام .

لتلوِ لـويٌّ الجيـدَ ناكسـة الطـرفِ
فهاشـمُها بالطـف مهشومةُ الانـفِ (٧)

---

(٧) ديوان السيد حيدر الحلي : منشورات دار البيان . ط ١٩٥٠ ص٥ .

فافرغته بالشكل التالي :

لتلـوِ هاشـم بالـذل اعناقهـا
منكسـة للارض من شـدة الحـزن اطرافها

ومضيت في هذا الهذر حتى اكملت ما حسبته قصيدة وتلوته في اليوم التالي على اقراني ، فسخر اكثرهم مني ، ورفق بعضهم بي ، فلم يسمعوني ما اكـره •

وفي ليلة اخرى سطوت على مطلع قصيدة للمرحوم السيد عبدالمطلب في رثاء الحسين ايضا هو :

قـم بنـا نستنشـط العيس الطلاحـا
عن بـلاد الـذل نأيـا وانتزاهـا

فافرغته بالشكل التالي :

قـم بنـا نمضـي عـن الضـيم فـرارا
عن بلاد لا تمنـع مـن الـذل جـارا

ومدحت بها الامام عليا عليه السلام ، فسطوت على بيـت مـن قصيدة للمرحوم السيد باقر الهندي يمدح بها الامام عليا • فيقول في ترشيح النبي ايـاه للخـلافة :

ما ارتضاه النبي من قبل النفس ولكنما الاله ارتضاه

فمسخته هـكذا :

مـا اصطفاه النبي مـن قبـل نفسـه
ولكنما الالـه اصـطفاه (بالاختيارا)

ولنعد الى القرآن الذي كنت اجد صعوبة في استظهاره ، فقد تنقلت في سبيل ذلك من كتّاب لاخر حتى انتهى بي المطـاف الى كتّاب يديـره بالاشتراك المرحومان الشيخ حسين البصير والشيخ ارزوقي الذي عرف فيما

بعد بالشيخ عبدالرزاق سعيد ، وكلاهما شاعران اديبان من الدرجة المتوسطة• وقد عين الشيخ عبدالرزاق سعيد فيما بعد مديرا لمدرسة الحلة الابتدائية التي انشأتها الحكومة البريطانية المحتلة • ثم عين بعد ذلك استاذا للعربية في احدى ثانويتها وكان من خير من درس العربية في الحلة وكان بعض ادباء البلد يختلفون الى زيارة الشيخ ارزوقي عندما كنت تلميذه وبينهم اديب يدعى الشيخ امين الحمزاوي كان معجبا بالمتنبي كثير الحفظ لشعره •

وكان اذا زار الشيخ ارزوقي استعمل حريته كما لو كان في بيته واخذ ينشد ما يخطر بباله من شعر المتنبي بصوت مرتفع ونغمة مؤثرة وكنت اصغي اليه ، صغاءً شديداً ، وارجوه ان يستمر في الانشاد اذا كف عنه او ادعوه اليه اذا هو لم يبادر اليه حتى لقد قال لي يوما ما معناه • انا اخذ بحجزة المتنبي وانت اخذ بحجزتي[٨] •

وذات يوم قلت لزميلي المرحوم السيد مرزة القزويني اعندكم ديوان المتنبي : قال نعم ، قلت : فأتني به ، واتاني به فاقبلت عليه احفظ منه ما سمعته من الشيخ امين الحمزاوي وما لم اسمعه منه • وعرفت مهيارا ايضا في الكتاب بواسطة اديب اسمه الشيخ امين عوض رحمه الله ، فحفظت من نسيبه ما يصور به قصيدته التي اولها :

بكر العارض تحدوه النعامى   فسقيت الغيث يا دار اماما

وتمشت فيك ارواح الصبا

والتي يقول فيها متغزلا :

يا لواة الدين عن ميسرة   والضنينات •• وما كنا لآما

لا يبالي من سقيتن اللمى

ورويت طرفا صالحا من مرثيته للشريف الرضي التي مطلعها :

---

(٨) الحجزة : معقد ازار •

من جب غـار هاشـم وسـنامها   ولـوى لويـا فاسـتزل مقامهـا

ولكنني وزملائي من آل قزوين اخذنا ننظم بالشعر الذي نقتبس فيه آيات او بعض آيات من القرآن ونسميه (شعر الاقتباس) كقول السيد جعفر الحلي وقد استسلم للسيد ابراهيم الطباطبائي الذي توعده بأن يوجعه ضربا ان لقيه لانه كان قد ذكره بالسوء :

قلـت لابراهيـم لمـا بـدا   والغيـظ مـن وجنتـه يقطـر
هـا انـذا جئتـك مستسلمـا   (يا ابت افعل بي ما تؤمـر)[٩]

وكقول احدهم متغزلا :

بابـي شـامات حسـن   قـد اطالـت حسـراتي
كلمـا سـاءت فعـالا   قلـت (ان الحسـنات)

والجملة القرآنية هي (الحسنات يذهبن السيئات)[١٠]

وذات يوم طلب الى المرحوم محمد ضـياء القزويني ان املي عليه مـا احفظ من « شعر الاقتباس » فامليت عليه ما وعـت ذاكرتي منه واستزادني فارتجلت له البيتين التاليين :

سـلسـال ثغـرك يـا رشـا   لـم يـرو منـه العاشـقونا
وبريقـك المعسـول فَلْ   (يتنافس المتنافسـونا)[١١]

واعلنت ان البيتين لي وختمت بها املائي على الزميل وكنـت في نحو الرابعة عشرة ومنذ ذلك الحين ، اخذت أقرض الشعر .

فكنت اقول البيتين او اكثر في مختلف فنون الشعر التقليدية ، وقبيل السابعة عشرة من عمري رأى أبي أن الوقت قد حـان لان البس عمة وان امضي في دراسة علوم العربية والدين فكان ذلك ، وصرت اختلف الى مسجد

---

(٩) سورة الصافات . الاية : ١٠١ .
(١٠) سورة هود : الاية : ١١٣ .
(١١) مقتبسة من الاية : ٢٥ من سورة المطففين .

في الحلة يعرف بمسجد (ابو حواض) تشغله جماعة مـن الشيوخ تتدارس علوم العربية والدين • وكان في هذا المسجد حوضان يتصلان من جهة ببئر ويفصل بينهما حائط • ومن جهة اخرى بساقية ينساب فيها الماء الى بستان مجاورة للمسجد ، وكانت هذه البستان ملتصقة بديوانية آل السيد حيدر • بل كانت مقرا لهم في كثير من الاحيان يعقدون فيها مجالسهم ويستقبلون زوارهم وقد اتاحت لي دراستي في مسجد (ابو حواض) فرصة الاتصال بآل السيد حيدر ، وهم سادة كرام ، طيبو الاخلاق حسنو المنزلة ، وعندهم نسخة من ديوان جدهم السيد حيدر المطبوع • وديوان الشريف الرضي وديوان مهيار كاملا في مجموعتين مخطوطتين ، ونسخة مخطوطة من ديوان ابن هانيء ومختارات جدهم السيد حيدر المخطوطة طبعا في جزءين متوسطي الحجم وقد حفظت ما شاء الله ان احفظ من تلك الدواوين والمجاميع • وكان السيد عبدالمطلب الشاعر المعروف وابن اخي السيد حيدر مقيما في النجف الاشرف منذ سنين ، فقدم الحلة في تلك الاثناء ، واتصلت به وحفظت عدة قصائد من شعره • وتتلمذت عليه بعض الوقت فشجعني كثيرا ورفع من شأني •

وفي سنة ١٣٢٩ للهجرة تزوج السيد باقر ثالث انجال السيد هادي القزويني شقيقة المرحوم علاءالدين القزويني ، فنظمت بهذه المناسبة قصيدة مطلعها :

سقتك ذات اللمى من ريقها العذب ... ريا فبل" عليلا منك ذا لهب
وظبية بضبي الالحاظ فاتكة ... ما روعت ضبية يوما من الطلب[١٢]
فاتنة اللحظ تحمي ورد وجنتها ... بفاتر منه امضى من سنا القضب
كأنما من ابي الندب[١٣] المعزله ... مضاء حد حسام المقول الذرب

---

(١٢) يقول البصير : زارني السيد عبدالمطلب عصر اليوم الذي زفت في ليلته عروس السيد باقر اليه فاستنشدني السيد .
(١٣) المقصود : بابي الندب المعز : السيد محمد القزويني رحمه الله .

ومع ان القصيدة ركيكة وسخيفة كما هو ظاهر ، فان الذين سمعوها كانوا يقولون ان السيد عبدالمطلب نظمها لي ونحلني اياها .

وفي سنة ١٣٣٠ للهجرة اخذ آل قزوين يعدون العدة لزواج المرحوم علاءالدين القزويني(١٤) ، فقررت ان انظم في هذه المرة قصيدة لا تدع مجالا للشك في اني شاعر فحل ونظمت قصيدة صعبة العروض والقافية تقع في ثمانين بيتا مطلعها :

صال والجعد لواء مظفر   منه جيش الصبر قدفر

تخلصت من غزلها الى التهنئة بالزفاف في الابيات التالية :

رق لي يا من تملك رقي   ان حلو العيش بعدك قد مر
كم ليال سلفت فيك بيض   بي فيها طارق اللهو قد مر
انما تلك الليالي لأل   بطلي العمر انتضمن فازهر
حبها بيضا سناها من   سنا عرس ابن موسى بن جعفر

وقد انتشرت هذه القصيدة قبل ان يتم الزواج واثارت حسد بعض الزملاء حتى لقد قال لي بعضهم ان مطلع قصيدتك هذه مسروق من قول القائل :

لقد صال العقاص الا لواءه
ومذ رف جيش الصبر قد فر هاربا

فقلت له ومن هو ذلك القائل فلم يحر جوابا . وقرب موعد الزفاف اقيمت الولائم لاصحاب الحرف في الحلة . واخذنا نسهر في كل ليلة من ليالي الاسبوع الذي سبق الزفاف فنغني كما نشاء ، ونتبادل النكت بحرية تامة . ومما غنينا به في تلك السهرات موشحة ابن سناء الملك التي مطلعها :

كللي يا سحب تيجان الربى بالحلى
واجعلي سوارها منعطف الجدول

---

(١٤) علاءالدين القزويني هو نجل المرحوم مرزة موسى وحفيد الفقيه الشاعر الرفيع القدر مرزة جعفر القزويني .

وكنا انا والمرحوم الشيخ قاسم الملا الذاكر والشاعر المعروف ، فارسي تلك الحلبة • ومما نظمه الشيخ قاسم في تلك المناسبة قصيدة جارى بها احدى الاغنيات مطلعها :

وافى يهز خصره يختال مثل الصعدة

اما انا فقد قدمت خمس منظومات للغناء بين موشحة وقصيدة جاريت في احداها موشحة ابن سيناء الملك بموشحة مطلعها :

اطلعي : شمس المحيا من سما البرقع
واصدعي : شمل الدجى فيها وشملي اجمعي

وكنت اشير في اخر كل من هذه المنظومات الى الزفاف الميمون واتمنى السعادة للعروسين الكريمين • ولكن الايام التي تلت هذا الاسبوع المرح كانت على العكس منه ، بسبب الملابسات العائلية التي لا اجد من الضروري شرحها ولم يجلس آل قزوين لسماع قصائد المهنئين •

ومر الاسبوع الاول عاديا كما لو لم يسبقه ذلكَ المرح • ولكن السيد محمد القزويني قرر ان يعقد مجلسا لانشاد قصائد المهنئين ، وكان مفروضا ان الشعراء والمهنئين سيكافئون على تهانيهم فمنعني ابي من حضور ذلك المجلس وانشاد من قصائدي فيه •• ولكن الناس وفي مقدمتهم آل قزوين كانوا يسمعونها في المجالس الخاصة • وكان آل قزوين ولاسيما السيد حسن خال علاءالدين • ووالد عروسه يقدرونها اعظم تقدير ويثنون عليها احسن الثناء • وبهذا اثبت بالبرهان القاطع لمعاصري في الحلة ان شاعريتي مما لا يتطرق اليها الشك •

وفي نحو التاسعة عشرة من عمري ، عهد اليّ أبي ان اقرأ شيئا من رثاء الحسين عليه السلام • في حضرة المرحوم السيد محمد القزويني(١٥) عند فراغه

---

(١٥) كان السيد محمدالقزويني ابرز اساتذة البصير واكثرهم اثرا في نفسه فقد درس عليه جانبا من الحديث والفقه وقد صحبه نحو ثلاثة اعوام وقد اكتسب فيها الشيء الكثير من علمه وادبه وصفاته العالية .

من اداء فريضتي المغرب والعشاء في مسجده حيث يؤمه عدد لا بأس به من المصلين . فكانت هذه فاتحة صلتي بالسيد المشار اليه والاستفادة من علمه وادبه واخلاقه ، فقد كان واسع العلم وافر الادب ، غزير الحفظ ، يحفظ الكثير من روائع الشعر ونوادر الشعراء . بل لقد كان بحق مصداق قول السيد جعفر الحلي فيه :

علم المشارق والمغارب عنده ان المقيم بجنبه سياح

وذات مساء خطر له ان يحثني على درس ارجوزة السيد مهدي الطباطبائي في الفقه والتي يقول فيها :

الماء ما سمي ماء مطلقا فضلا على الناس طهورا خلقا
وانما ينجس أن تغيرا من نجس حل به فغيرا
في لونه أثر او في الريح أو طعمه حسا على الصحيح

فسارعت الى العمل بنصحيته وصرت ادرس عليه في كل ليلة شيئا من هذه الارجوزة . ثم بدا له ان ينصحني بقراءة كتاب يشتمل على الكثير من احاديث اهل البيت اسمه (خصال القمي) فسارعت الى العمل بهذه النصيحة ايضا . فكنت ادرس عليه ما ادرس في الارجوزة في المسجد بعد صلاة العشاء . ونقرأ معا ما نقرأ من خصال القمي بعد رجوعه الى البيت ، ولم يفرق بينه وبيني الا مرضه الاخير الذي دام عدة اشهر من سنة ١٣٣٥ هـ فموته في الخامس من محرم ١٣٣٦هـ . وكانت وفاته رحمه الله فاجعة كبرى في الحلة التي شيعته الى مثواه الاخير في النجف اعظم تشييع . وكان ابي في طليعة المشيعين .

وهنا ظهر اني موهوب[١٦] فقد قمت بما كـان يقوم به ابي في مجالس السبعة عشر التي تقام في الحلة في العشـرة الاول من المحـرم • فلما عـاد المشيعون من النجف واقيم مجلس الفاتحة على روح الفقيد رثيته بقصيدة مطلعهـا :

اقريش ابـن العـلم والاعلام أقضى محمد أم قضـى الاسـلام

وانشدتها في اليوم الثالث من ايام الفاتحة وكانت الخلع قد اعدت لمن يرثي الفقيد لكثير من الشعراء • وعندما تلوت مطلع قصـيدتي استحسنه السامعون وبوشر بحمل الخلع اليّ فقال ابي :

« القي بنفسي من السطح الى صحن الدار أكنا ننتظر ان يموت السيد محمد ••• ونأخذ انا وابني خلعا » فعادت الخلع الى مكانها • فشكر اصحابها ابي على صنيعه شكرا حارا •

ولكن لنعد الى ايام مسجد (ابو حواض) فقد كان بين المنتسبين اليه راوية شعر اسمه (السيد محمد محسن) وهو ابن اخي الشاعر المعـروف (السيد جعفر الحلي) وكان هذا الراوية يختلف الى مجلس طبيب على النمط القديم اسمه « مرزه حبيب » ويلتقي فيه شابين ذكيين من آل شبيب البغدادي هما : حسن آغا وعبدالله آغا وقد قال لي ذات يوم انه ذكرني لهذين الشابين وانهما رغبا في رؤيتي • فزرت مجلس الطبيب واجتمعت بالشابين المذكورين •

وكانا حقيقة ذكيين وظريفين ، قرأت معهما اول ما قرأت من الصـحف والمجلات • وكان حديثهما في الغالب حديثا عصريا •

---

(١٦) وعن البصير قال : صاحب كتاب الحصون « لقد شب متقد الذكاء والفهم وقد شاهدت من ذكائه وقوة حفظه واتقاد خاطره ما ذكرني شـاعر المعرة ابي العلاء واعجبني انه ما يملى عليه شيء من الشعر والنثر واستحسنه الا وعلق في خاطره وحفظه سريعا وثبت في ذهنه » • حـ٢ ص٣٠ • وقيل انه كان يحفظ عشرة الاف بيت او اكثر •

(وآل شبيب البغدادي)(*) اسرة عريقة في الحلة مضى عليها نحو من مئة وخمسين سنة الى ذلك الحين تتمتع بجاه عريض وثراء واسع ومجلسها من اعظم مجالس الحلة ، ولم يطل الوقت حتى صرت اختلف الى ذلك المجلس بصورة منتظمة وفيه عرفت كثيرا من الناس الذين لم اعرفهم من قبل بين هؤلاء المرحوم (حبيب بك) عميد (آل عبدالجليل) الذي قال لي متوددا اليّ (احنة مو عصملية ، احنة عرب) فقلت له : انتم على الراس والعين كيفما كنتم ولكن لم ازره فبعث اليّ مع محمد علي الشيخ يعقوب واليعقوبي فيما بعد ، يقول « يا ليت معرفتي اياك لم تكن » فزرته وكنت آنس بحديثه وبما يقرأ لي من شعر مدح به وغير ذلك ، وذات يوم صارحني انه يرغب ان امدحه بشيء من شعري فمدحته بقصيدة مطلعها :

آيـة الوجـــد والكـــلف ان دمعـــي لـــك انـذرف

ومنهـا :

يـا غـــزالا اذا رنـــا وقضـــيبا اذا انعطـــف
خـذ نســيبي فمـد يحـي لحبيـــب اخـي الشـــرف

فنفحني ليرة عثمانية كانت اول ليرة تدخل جيبي .

ارسلت السلطات العثمانية وفدا من الشخصيات المهمة الى منطقة الفرات الاوسط لتهدئة الوضع القلق هناك ولحث الناس على الجهاد ضد الانكليز الكفار ومناصرة العثمانيين .

وقد اختار الوفد مدينة الحلة مركزا لهذه المهمة وقد ضم الوفد محمود النقيب نجل عبدالرحمن النقيب (نقيب اشراف بغداد) وجعفر ابو التمن ورؤوف الامين وقد اعتبروا اكبر الوجهاء الذين يستطيعون القيام بهذه المهمة وفي الحلة عقدوا عدة اجتماعات وكان جعفر ابو التمن قد حل ضيفا على سيد

(*) الكركوشي : تاريخ الحلة : ص٧٨ .

محمد القزويني • وفي بيته تعرفت لاول مرة على جعفر ابو التمن وكان هذا اللقاء سببا في قيام صداقة وطيدة بيننا •

وعندما عهد اليّ ان اقرأ (سورة الدخان) ودعاء (الافتتاح) وابياتا من الشعر في رثاء الحسين عليه السلام بمسجدنا في ليالي رمضان المبارك ولا اتذكر في أية سنة كان هذا ، فوجئت ذات ليلة عندما انتهيت من قرآتي العديدة فاذا (بجيبب بك) قد جاء الى جانبي وهو يقول لي طيب الله انفاسك فاستولت عليّ الدهشة لاني لم اكن اتوقع هذا بالمرة • فشكرت مطيبي ، واعربت له عن امتناني لتكلفه مشقة الحضور لزيارتي في هذا المكان وفي هذه الساعة ولكنه لم يفعل هذا الا مرة واحدة •

كنت اقرأ الصحف والمجلات ولكن بصورة غير منتظمة ، كما كان اهتمامي بالسياسة محدودا • ولكني اقبلت على السياسة اقبالا شديدا عندما اعلنت فرنسا وانكلترا في منشور ٨ تشرين الثاني ١٩١٨م انهما تنويان منح السوريين والعراقيين الحرية التامة في اختيار الحكم الذي يريدونه ولا تنويان ابدا وضع العراقيل في طريقهما فأخذت ادعو الى استقلال العراق بحماسة ، والتف حولي فريق من الكهول والشباب وفي مقدمتهم : رؤوف الامين وعبدالله شبيب ورشاد نورالدين ومحمد الباقر وغيرهم رحمة الله عليهم اجمعين وكان مفهوما ان الحكومة العراقية ستستفتي الشعب في نوع الحكم الذي يريده • وفي الاشخاص او الشخص الذي يمثل هذا الحكم •

ولكن ظهر بعد قليل ان الحكومة لا تنوي ان تستفتي سوى سبعة رجال ممن تثق بهم من الرؤساء والمسؤولين • وحقيقة اجتمع بتاريخ ١٩١٩ سبعة اشخاص منهم : السيد محمدعلي القزويني وعداي الجريان وعبدالرزاق شريف رئيس بلدية الحلة وطلبوا في مضبطة وشحت بتواقيعهم ان يكون (السر برسي كوكس) ملكا على العراق على أن يكون تحت وصاية انكلترا • فثارت ثائرتنا وامطرنا الحكومة وابلا من الاحتجاجات ، فردت على عملنا بحركة

غاية في السخف ذلك انها فتحت في مكتب رئيس البلدية سجلا يوقع فيه الاهلون على كلام لا يرون ما هو[١٧] ٠

وقد سأل بعض الاهلين عن هذا الذي يوقعه فقيل له ان عليك ان توقع وكفى ٠ فقال اذن فأنا اوقع ولكني لا اكون مسؤولا عما وقعت ٠

وقد بسطنا كل هذه الحوادث في عريضة ارسلناها مع عرائض كثيرة من امثالها اعدها رؤساء الفرات الاوسط مع المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي الى الملك حسين ليعمل ما يلزم بصددها ٠ واعتقد انه لم يعمل شيئا هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ارسلت المرحوم (مرزة ناصر) الذي كان احد الاعضاء العاملين في جماعتنا ٠ اقول ارسلته الى بغداد ليشرح ما حدث عندنا للمرحوم (جعفر جلبي ابو التمن) وليتزود منه ببعض المعلومات والتعليمات ولكن جعفر جلبي لم يزد على ان شرح لمندوبنا ما يجري في بغداد من تعسف الانكليز ٠ وكنا آنذاك شديدي الارتباط بالنجف ٠ وكان المرحوم محمد باقر الشبيبي خليفة اخيه (محمد رضا) في جماعة النجف المطالبة بالاستقلال ٠

ولكننا كنا نعتقد انه من المفيد ان نراجع بغداد من حين لاخر لنعرف ما يجري فيها ٠ وكان محمد الباقر اخر من ارسلته في هذه الفترة الى بغداد ٠ فعاد ومعه حديث التعرف بالسيد (محمد الصدر) وزيارته والاستجابة الى بعض اقواله ٠ وكان ذلك امرا مشجعا ولكن ماذا كان يعمل محمد الباقر الشبيبي في ذلك الحين ، انه كان معلما للعربية في مدرسة الحلة الابتدائية

---

(١٧) قال في حينها قصيدة كانت بعنوان (ايها الصديق) جاء فيها :

تنكر لي فحاربني زمان	يهون به حجا ويعز حمق
يحاسبني على الحسنات قوم	جزوني بالذي لا استحق
نصحتهم بالا يستكينوا	فهل في مثل ذا ابدا اعق
اريتهم والسعادة كيف تجنى	فاعمتهم ضلالتهم ليشقوا
ابوا ان يصبحوا الا عبيدا	وكم حاولت الا يسترقوا
فليس لهم كما املت عتق	هم المستعبدون كما ارادوا

الوحيدة وكان مركزه اذا صح هذا لتعبير فيها حسنا • ولكنه كان يتحزب لمدير المدرسة المسمى (عبدالمهدي التميمي) ضد احمد حامد الصراف الذي لا اتذكر ماذا كان يدرس بالضبط واحمد مختار بابان الذي كان يعلم الرسم• وكان هذان المعلمان يحقدان عليه حقدا شديدا ، فانتهز فرصة سنحت لهما وهاجما محمد الباقر فضرباه ضربا مبرحا • وكان من الممكن ان يشكو محمد الباقر هذا الاعتداء الى السلطات ولكنه اثر ان يقدم عريضة تذكر الاعتداء عليه وتدعى مرور جماعة من الناس في ذلك الحين بالمدرسة وتنسب العريضة الى هذه الجماعة القول بانها ارسلت اولادها الى المدرسة اعتمادا على وجود محمد الباقر فيها وانها لا تستطيع ان تستمر في هذا بعد الاعتداء على محمد الباقر • ولم يكن احد من هذه الجماعة بالطبع قد مر بالمدرسة في تلك الساعة المشؤومة • وانا الذي لم يكن لي ولد في ذلك الحين وربما ولا زوجة ، كان ختمي موجودا في تلك العريضة • ولم اعرف حتى الان كيف استطاع محمد الباقر ان يأخذ ختمي بدون علم مني ويضعه في تلك العريضة الى الحاكم السياسي البريطاني فقرر محاكمة موقعي العريضة وانا منهم فلما مثلنا بين يديه :

قال : ان عليكم ان تثبتوا ما تقولون لانه اذا صح ا نالمعلمين المذكورين في العريضة قد اعتديا على محمد الباقر فانهما سيطردان ويعاقبان عقوبات اخرى غير الطرد • وعندما عجزنا عن اثبات ما تقوله العريضة حكم على كل منا بمئة (روبية) غرامة بصفتنا شهود زور وحكم على محمد الباقر بالطرد من وظيفته وبالحبس مدة ثلاثة اشهر بصفته المزور الاول •

وحمل رؤوف الامين مئة روبية هي الغرامة المحكوم بها عليّ الى مرزة ناصر لادفعها الى المحكمة وقدم عبدالحليم الحاج عبدالرضا المعروف الان (بالماشطة) مئة روبية الى ابي ليسلمها لي ولادفعها بدوري الى المحكمة • ودخل محمد الباقر في السجن وكان يراسلني اثناء وجوده فيه •

فكتب لي ذات يوم ان السجان البريطاني طلب منه تسعين روبية وانه اذا لم يدفعها نقدا فانه سيدفعها ضربا واستحصلت له التسعين روبية من احد افراد جماعتنا المتوسطي الحال وهو صادق المعروف •

وانقضت ثلاثة الاشهر وخرج محمد الباقر من الحبس وعاد الى كتابة الحروز (التعاويذ) التي كان يصنعها قبل تعيينه معلم عربية في مدرسة الحلة كما كانت صناعة ابيه وجده من قبل •

وبعد انتهاء هذه الفضيحة بقليل زرت بغداد زيارة قصيرة غير سياسية رافقني فيها صديقان اعول احدهما ويعول الثاني نفسه(١٨) • كان الشاعر الموسيقار المرحوم (ملا عثمان)(*) اول من لقيته في هذه الزيارة ، وكان اللقاء في احد مقاهي بغداد القريبة من الجامع الذي يعيش فيه • كان الملا عثمان

---

(١٨) يقول البصير : كان الصديق الثاني من رواد الملاهي وقد نفذت نقوده بسرعة فباعني عباءته وكانت عباءته (كرامنية) نفيسة لينفق ثمنها على الملاهي • فأخذت ارتدي العباءة الكرمانية لانها كانت احسن من العباءة التي كنت ارتديها •

(*) الملا عثمان الموصلي :

ولد عثمان في الموصل في محلة باب العراق الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي من المدينة عام ١٨٥٤م في عائلة فقيرة كان والده الحاج عبدالله سقاء توارث هذه المهنة عن اجداده •

توفي والده قبل ان يبلغ السابعة من عمره تركه يتيما لا معيل له • ولم يلبث ان اصيب بمرض الجدري افقده البصر •

وقد سخرت له العناية الالهية السيد محمود بن سليمان العمري فأخذه الى بيته وضمه الى اولاده وجعله موضع عنايته • وعين له معلما يحفظه القرآن عن ظهر قلبه • كان المرحوم محمود العمري معجبا بصوت هذا الطفل الصغير فكان يصغي اليه ويأنس به ويطرب له • فخصص له معلما آخر يعلمه الموسيقى والالحان فنبغ بها وحفظ الى جانب ذلك كثيرا من الاشعار والقصائد حيث قيل عنه انه كان يحفظ عشرين بيتا من الشعر او اكثر بمجرد قراءتها عليه مرتين او ثلاث •

وعندما تعلم مبادىء العلوم الاولية واستظهر القرآن في صغره اخذ في تعلم بعض العلوم العربية كالصرف والنحو والمعاني والبيان على علماء عصره منهم الشيخ عمر الاربيلي والشيخ صالح الخطيب وغيرهم •

كريما معي حقا ، فبعد الترحيب الحار الذي لقيته منه صمت قليلا ثم انشدني شعرا : مؤرخا زيارتي لبغداد أي سنة ١٣٣٧هـ . فشكرت لطفه احر شكر واكبرت بديهته ايما اكبار . وبعد فترة قصيرة من هذا قال لي : اتـود ان تسمع صوتي فقلت بلهفة (أي والله) فارتفع صـوته الشـجي مغنيا مـن شـعر أبي نواس :

في سنة ١٨٦٥م توفي محمود العمري فكان لذلك اثر كبير في نفس عثمان واحس بفراغ سحيق مما دعاه الى ان يهجر الموصل ويأتي الـى بغداد بعد ان صار في العقد الثالث من عمره . وقد اقام في بغداد في دار احمد عزت العمري وهو ابن محمود العمري فتلقاه الرجـل بالحفـاوة والتكريم سائرا على سيرة والده تجاه عثمان .

وقد تعرف عثمان على عدد كبير من ادباء العراق وشعرائه فاعجبوا به واحبوه واحتفوا به في كل مجلس وقصدوه من كل ناحية (فتهاوتـه فيها اكف الاكابر وحفت به عيون الاصاغر فاصبح في بغداد فاكهة الادباء واشتهر بحسن قراءة المولد النبوي الشريف ، فاومض فيها برق اسمه وعلا مبارك كعبه) .

وفي بغداد صار يدرس صحيح البخاري على الشيخ داود افندي وحفظ نصفه ثم توفي الشيخ المذكور وعندها اكمل حفظ النصـف الثاني علـى بهاءالحق الهندي المدرس الثاني في جامع الامام الاعظم .

أن هذا الاتجاه الديني الذي اتجهه عثمان الموصلي اليه منذ حداثة سنه جعل الناس يطلقون عليه لقب (الملا) وهو لقب يطلقه العراقيـون على كل من يشتغل في قضايا الدين .

وبعد ان قضى فترة طويلة في بغداد عزم على اداء فريضـة الحج . وبعد رجوعه من الحج قصد الموصل عام ١٣٠٤هـ ١٨٨٦م وأسـتأنف هناك الدرس والتتبع وملازمة كبار شيوخ البلدة وعلمائها .

وبعد مدة من الزمن سافر الملا عثمان الى استانبول وتعرف هناك على عدد من العلماء الاعلام . ثم سافر بعدها الى مصر والتقى هناك مع عدد كبير من قرائها وتعرف ايضا على كثير من العلماء والادباء ومشايخ الطرق الصوفية . ثم رجع الى الموصل ولم يطل به المقام فرجع الى بغداد واتصل في هذه المرة بالسيد محمود شكري الالوسي .

وفي سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م سافر الى الموصل فوصلها في صبيحة يوم الاربعاء لعشرة بقين من رجب قادما من استانبول الى دمشق وحلب . بعد ان امضي سنين طويلة غائبا عن الموصل .

وكانت هذه متعة رائعة لي ولكل من كان في المقهى من الرواد ، وسألني المرحوم ملا عثمان عمن اريد ان اقابل في اثناء زيارتي في بغداد ، فذكرت لهم عددا من الافراد في مقدمتهم الاب انستاس الكرملي(*) وجميل صدقي الزهاوي ، فحذرني من لقاء الزهاوي (لانه عالم قدير وملحد شرير) ، فقلت له سأستعين عليه بالله ، وزرت الزهاوي في منزله بعد يوم او يومين يصحبني صديقي الحلي وموظف من شرطة بغداد

وفي شهر جمادي الاولى ١٣٣٢هـ الموافق نيسان ١٩١٤ سافر الى بغداد ونزل عند ولده فتحي بن ملا عثمان .

وقد ساهم الملا عثمان مع غيره من الخطباء والشعراء في بغداد في تحريض الناس على الثورة ضد الانكليز والمطالبة بالاستقلال وكان جامع الحيدرخانه مكانه المفضل في القاء خطبه .

* الاب انستاس الكرملي :

ولد الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي في اليوم الخامس من شهر آب من عام ١٨٦٦ من أب لبناني الاصل وأم عراقية .

وينحدر والده جبرائيل عواد اللبناني الاصل من اسرة عربية ترجع في اصلها الى قبيلة بني مراد العربية التي اشتهرت اخبارها في الجاهلية.

ساهمت في نشأته ثلاثة اقطار هي العراق ولبنان واوربا حيث تلقى علومه اللاهوتية في معاهدها .

لقد امضى الاب انستاس طفولته ببغداد ، ثم ما لبث ان ادخله اهله مدرسة الاباء الكرمليين فتلقى دراسته الابتدائية وبعد اجتيازه مرحلة الدراسة الابتدائية التحق بمدرسة الاتفاق الكاثوليكي ببغداد فتخرج فيها عام ١٨٨٢ .

ونبغ منذ ان كان طالبا مما جعله موضع ثقة معلميه ، وقد عهدت اليه ادارة مدرسة الاباء الكرمليين تدريس اللغة العربية الذي برع فيها ونبغ وهو لما يبلغ السادسة عشرة من عمره .

وفي سنة ١٨٨٦م سافر الى لبنان وكان عمره يومذاك عشرين سنة فدخل المدرسة الاكليركية ببيروت وكانت بادارة الاباء اليسوعيين وانكب على دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية سنة واحدة . اطلع خلالها على الكثير من مظاهر الحركة الادبية والنشاط الثقافي والعلمي في لبنان . كما اتصل بعدد من رجال الادب والثقافة مثل ابراهيم اليازجي وشقيقه ناصيف واحمد الفارس الشدياق وغيرهم من رواد النهضة العلمية والثقافية يومها فاستقى ما شاء له من منابع المعارف والعلوم وفي سنة

اسمه السيد (ذنون) كنت قد عرفته في الحلة التي كان مدير شرطتها في ايام الاتراك الاخيرة • وقامت بيني وبينه صلات وثيقة لانه كان شاعرا خفيف الروح فكه الطبع ، واسمعنا الزهاوي في تلك الزيارة من شعره ما شاء • واسمعناه ما يشتهي من الاستحسان • ثم صرنا نجتمع صباح كل يوم في (قهوة) الشط(*) ، وكان المرحومان كاظم الدجيلي وعبدالرحمن البناء من افراد حلقتنا هناك •

وذات صباح اقترحت على البناء ان يرافقني وصديقي الحلي الى زيارة الاب انستاس ماري الكرملي • فقبل البناء الاقتراح وذهبنا معا الى زيارة الكرملي وكان ترحيبه بنا حارا •

١٨٨٧م غادر بيروت الى بلجيكا فدخل هناك في دير الاباء الكرمليين وفي هذا الدير امضى سنتين في دراسة متواصلة ثم انتقل الى دير آخر في فرنسا في مدينة مونبليه حيث امضى فيه ست سنوات درس فيها العلوم الفلسفية واللاهوتية واصول اللغة .

وفي عام ١٩٨٤م رسم قسيسا (كاهنا) بأسم انستاس ماري الكرملي فغادر فرنسا عائدا الى بغداد ، فتولى بعد وصوله ادارة المدرسة الكرملية في بغداد .

ولما وجد التدريس يستغرق الجزء الاكبر من وقته ويصرفه عن البحث والاستقصاء ترك التدريس وعكف على البحث والتأليف .

اتقن الاب انستاس عدة لغات حية الى جانب اللغة العربية . كاللغة الافرنسية والايطالية والانكليزية واليونانية واللاتينية والاسبانية ، ومن اللغات الشرقية التركية والفارسية والحبشية . كما اتقن عدد من اللغات الاخرى كالسريانية والكلدانية والعبرية .

الف كتب عديدة بالاضافة الى عشرات المقالات التي نشرها في مختلف المجلات العراقية والعربية والاجنبية .

توفي في المستشفى التعليمي في بغداد صباح يوم الثلاثاء في اليوم من كانون الثاني ١٩٤٧ . فشيعته بغداد تشييعا حافلا .

* وتسمى اليوم مقهى (المصبغة) تقع في جانب الرصافة على نهر دجلة في نهاية شارع البنوك .

كانت علاقتي بالاب انستاس ترجع الى اعوام خلت قبل هذا التاريخ فقد كنت اراسله وهو رئيس تحرير جريدة (العرب) الرسمية وارسله وهو المدير المسؤول والمدير لمجلة (دار السلام) نصف الشهرية • وكنت اوقع ما انشر في (العرب) و (دار السلام) بـ (ابن بابل) وربما ذيلت بعض القصائد التي تنشر في دار السلام بتوقيعي الصريح •

وقد ذكرت للاب انستاس حاجتي الى بعض اعداد مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها قبل الحرب • فاهداني مجموعة كاملة من هذه المجلة •

ولم يلبث ان تشعب الحديث فانتهينا الى السياسة • وهنا اظهرت انا والبناء شعورنا نحو الملك حسين ورغبتنا في ان نادي باحد انجاله ملكا على العراق • فقال الاب انستاس : (هذا خادم امين للانكليز هو واولاده ، ولو ان الانكليز سحبوا نقودهم من يديه لما استطاع ان يصنع شيئا) •

ثم عدنا الى حديث الادب واللغة وبذلك انتهت هذه المقابلة وكنت اقضي امسياتي عند الشيخ كاظم الدجيلي الذي كان بيته قريبا من الخان الذي اسكن فيه • وكنا نقضي معظم الوقت بسماع شعره غير المنشور • واذكر انه انشدني قصيدة له تقع في مئة وثلاثين بيتا تمنى فيها ان يكون العالم كله اشتراكيا وان يكون الناس جميعا اخوانا سعداء متحابين • وبعد ان سرد الدكتور البصير عليّ هذه المعلومات التي استمر سردها اياما • سألته في أي وقت **مارست العمل السياسي ؟**

قال الدكتور البصير :

مارست العمل السياسي في وقت مبكر وبالضبط في شهر شباط سنة ١٩١٩ حينما تألفت في بغداد جمعية سرية سياسية اطلق عليها اسم (جمعية حرس الاستقلال) • ومن اهداف هذه الجمعية انها تسعى لاستقلال العراق واسناد منصب الملك الى احد انجال الشريف حسين ، وتدعو الى ضم العراق

الى لواء الوحدة العربية ، وتنادي في توحيد كلمة العراقيين على اختلاف مللهم ونحلهم • وقد طلب اليّ المرحوم السيد محمد الصدر ان أؤسس للجمعية فرعا في لواء الحلة فوافقت واسست الفرع • واسندت اليّ رئاسة الفرع وبقيت رئيسا للفرع حتى غادرت الحلة وسافرت الى بغداد •

وقد سألته عن دگة عاكف ، فقلت له ، من اهم الاحداث التاريخية التي حدثت في مدينة الحلة هي وقعة عاكف وما زال عدد من مسني المدينة يؤرخون بها فيقولون مثلا ولد فلان قبل دگة عاكف او يقول بعد دگة عاف ، هل تستطيع ان تروي لنا ذكرياتك عنها ، وكم كان عمرك يومها •

فقال البصير :

بدأت بوادر هذه المشكلة في الحلة عندما كان احد جنود الدرك يعقب بعض الفارين من الجندية وقد قتل هذا الدركي واراد القائمقام القبض على القاتل ولكنه التجأ الى قومه وعشيرته وتأزم الوضع في الحلة وتبودل اطلاق الرصاص بين الاهالي وجنود الحكومة • وقد اسرع عاكف بك قائد القوات التركية في الفرات وكان معسكره يومها في الكفل فدخل بقواته الحلة • وقد استدعى اليه المختارين والرؤساء والمتنفذين وطلب منهم ان يسلموا جميع الفارين من الجندية من ساحات القتال واعطاهم مهلة مدة ٢٤ ساعة فقط والا سوف يتخذ بحقهم اجراءات شديدة وقد ارعب هذا التهديد اهل الحلة لانها كانت ملأى بالفارين من ساحات القتال[١٩] •

---

(١٩) وقد ذكر هذه الواقعة يوسف الكركوش الحلي في كتابه تاريخ الحلة وكان قد شاهدها بنفسه وهو لم يزل طفلا . فقال :
اني مررت عصر ذلك اليوم في الشارع العام الذي يخترق الحلة من باب النجف الى شمالها ... فشاهدت الناس في حيرة واضطراب وهم

وفي ٢٧ آب ١٩١٥ نشبت معركة رهيبة بين اهل الحلة والقوات التركية استمرت يومين • واشتركت فيها العشائر القريبة من مدينة الحلة كاليسار وآل فتلة • ولكن قتل منها عدد كبير • ان هذه الحادثة التي ذكرناها سميت باسم (واقعة عاكف الاولى) وسميت بذلك تمييزا لها عن وقعة عاكف الثانية التي وقعت في خريف ١٩١٦ وقد استطاع عاكف في هذه الوقعة ان ينتقم من اهل الحلة انتقاما فضيعا •

مدججون بالسلاح فلما جن الليل ونام الناس وهدأت الاصوات فرق عاكف عسكره في طرقات الحلة وسورها ودوائر الحكومة وجعل بعضا من الجنود على منارة الجامع الكبير لارتفاعها على دور البلد .. ولما أصبح الصباح صادف أن خرجت لقضاء بعض الشؤون فلما انتهيت الى راس الدرب الذي فيه دارنا رأيت جنودا من الاتراك راكبين خيولهم مدججين بالسلاح ، فلم يتعرضوا بي لاني كنت يومئذ طفلا صغيرا ومشيت في طريقي حتى وصلت الى الشارع العام الذي ينتهي بباب النجف فرايت الجنود على طول ذلك الشارع وهم يتكلمون بلسانهم التركي وعند ذلك ذعرت ورجعت الى دارنا وأخبرت والدي بالذي رأيت فوضع يده على جبهته وقال (لقد هلكنا) وبينما نحن في هذا ومثله اذ سمعنا طلقة نارية دوت في سوق المنتخب وما هي الا ثوان حتى صار أزيز الرصاص يشق الاذان ونشب القتال بين أهل الحلة وعسكر عاكف المنتشر في الطرقات وكان الخبر قد وصل الى الاعراب فتهيأوا للزحف على الحلة كي ينهبوا ويسلبوا فصار هجومهم على النقطة التي كانت بالقرب من تل الرماد الذي يعرف بالجبَل فقتل الاعراب بعض من كان في النقطة وبعض الاخر من الجند فروا هاربين حيث رأوا ان لا طاقة لهم على محاربة اهل الحلة والاعراب ، وقتل اكثرهم أثناء فرارهم وانتشرت جثثهم على طول سوق العلاوي والاسواق الاخرى المتصلة الى القشلة . ثم دخل الاعراب الحلة ينهبون ويسلبون أسلحة العسكر وملابسه واشتركوا مع اهل الحلة في مكافحة العسكر وقد قضوا على اكثريته حيث كان متفرقا في انحاء البلد . ولم تستعص الا النقطة التي كانت في باب النجف فانها بقيت الى ما بعد الزوال ابدى الجنود في هذه النقطة عنادا شديدا وقد اعطاهم اهل الحلة الامان ان سلموا وكلموهم من اماكن قريبة بحيث يسمعون كلامهم بأن لا فائدة من المقاومة ... وكانوا يكلموهم بعدد لغات بالتركي والكردي والعربي واخيرا اقتحم اهل الحلة الجامعين النقطة بطريقة حربية وقتلوا

وقعة عاكف الثانية :

كانت الحكومة التركية عقب انتصارها في الكوت على الجيوش البريطانية تتحين الفرصة للانتقام من اهل الحلة جزاء فعلتهم بالجنود الاتراك في العام الماضي من قتل وجرح • فعينت قائمقاما جديدا للحلة اسمه مصطفى بك وكان يهين رؤساءهم ويزجرهم ويهددهم لاتفه الاسباب • وفي احد الايام حدثت مشاجرة عنيفة بينه وبين احد الرؤساء اسمه الحاج علي الحاج حسن • وفي صباح اليوم التالي ارسل جماعة من اتباعه المسلحين الى القائمقام في داره واخرجوه منها • وساروا به في الشوارع امام الناس تحقيرا له واذلالا وعبروا به الجسر الى الجانب الاخر ثم اركبوه احد العربات التي سارت به الى بغداد • وصار المقدم الحاج كمال قاسم (مدير المدرسة الجعفرية مؤخرا) آمر تجنيد الفرقة رقم ٣٧ التي مركزها الحلة يشغل منصب قائمقام الحلة وكالة وحينما وصل القائمقام الى بغداد صار يرسل البرقية تلو البرقية الى اسطنبول طالبا الاقتصاص له من اهل الحلة الذي أهانوا الدولة بشخصه • ويبدو ان الدولة استجابت الى هذا التحريض فأرسلت امرا الى عاكف بك بأن يسرع بالذهاب الى الحلة وتأديب اهلها • غادر عاكف بك بغداد في ٦ تشرين الثاني

من كان فيها ودفنوهم بجوار السور قرب هذه النقطة وهي اليوم داخلة في حديقة المستشفى الجمهوري من جهة الشمال .

وفي مساء هذا اليوم جاءت الى الحلة نجدة عسكرية من السدة فلما وصلت هذه النجدة في مشهد الشمس أحاطت القبائل بها والحليون يرقبون الليل للهجوم عليها فخاف عاكف بك العاقبة وطلب السلم من اهل الحلة . وقد توصل الى اتفاق بين الطرفين بتوسط من السيد محمد علي القزويني على ان تخلو الحلة من العسكر وفعلا خرج عاكف بك واصبحت الحلة خالية من اية سلطة حكومية . واخذ الحليون يعقدون المحالفات فيما بينهم فاستحكمت العرى واشتد التضامن بين الاهلين والدفاع عن المصلحة المشتركة . ودفعا للاخطار المحتملة الوقوع على بلادهم من الداخل والخارج اخذوا ينشؤون المعاقل والحصون على راس كل درب . وكانت الخصومات التي تقع بين الافراد او الجماعات تحل بطريقة التحكيم في دواوين الحلة .

١٩١٦ . فوصل المسيب بعد يومين وصار يحشد فيها قواته . وفي ١٣ منه تحرك من المسيب بقواته ومدافعه نحو سدة الهندية .

اراد عاكف بك ان يستخدم الحيلة في هجومه على الحلة فأرسل الى رؤوسائهم يخبرهم بانه لا يريد بهم شرا وانه انما يريد المرور من البلدة في طريقه نحو الجنوب وهو يرجو منهم ان يسمحوا له بذلك(٢٠) .

فاجتمع رؤوساء الحلة في بيت السيد محمد علي القزويني للمداولة في الموضوع واختلفوا في الرأي فمنهم من وافق على مرور القوات التركية من الحلة ومنهم من رفض السماح لهم بالمرور واشتد الخلاف بين الجانبين وساد الهرج والمرج .

---

(٢٠) فقد جاءهم في تشرين الاول ١٩١٦ رفعت الجادرجي (والد كامل الجادرجي) وكان ممن امتلك املاكا وبساتين في الحلة واخذ يقنعهم بوجوب مصالحة الحكومة لانها لا تريد بهم شرا لكونها مشغولة في حرب طاحنة مع الانكليز . وطلب منهم خلال ذلك ان يستقبلوا القوة التي سوف تمر في مدينة الحلة في طريقها الى السماوة لامداد الجيش العثماني فيها وبعد نقاش طويل من جانب رؤساء الاحياء الشعبية استطاع السيد محمد علي القزويني اقناع الاهليين باستقبال الجيش وحينما قارب الجيش مدينة الحلة نادى المنادون في الاسواق والمحلات العامة بالخروج للاستقبال فخرج الاهلون يتقدمهم العلماء والوجهاء . وبينما كان الناس مجتمعين في مشهد الشمس للاستقبال طوقهم الجيش واعلموا انهم اصبحوا رهائن وأن الجيش سيدخل الحلة فاذا لقي اية مقاومة منها فأنهم سيعدمون كلهم . وخطب عاكف بك قائد الجيش يذكرهم بالحوادث التي وقعت قبل سنة . ويبلغهم بأنه تلقى امرا من القائد العام في العراق خليل باشا بمحو مدينة الحلة من الوجود ولكنه حصر اعمال الشغب والفتنة في اربع نقط هي : الطاق وجبران والجامعيين والوردية . ولذلك قرر ان يهدم هذه المحلات بالمدافع وان يحرق بيوتها وبعد ان احتلت القوات المراكز المهمة في المدينة هاجموا احياءها وهدموا بيوتها ثم نهبوها واحرقوها . وعمدوا الى أسر النساء والاطفال فأخذوهم سبايا الى الاناضول .

مس بيل : فصول من تاريخ العراق القريب (ترجمة جعفر خياط) هامش ص٩٨ .

وكان على رأس الموافقين على المرور السيد محمد علي القزويني وقام في الحاضرين يخطب ويحثهم على الطاعة والموافقة واضهار الخضوع لاوامر الحكومة فأيده اكثرهم • وكونوا موكبا عظيما لاستقبال القوات التركية والتقى الموكب بها في مشهد الشمس • وتكلم السيد القزويني مع القائد معتذرا عما فات فلم ينطق القائد عاكف بشيء فبهت الناس واخذوا يشعرون بالخطر • فاحاط الجنود بهم من كل جانب ومنعوهم من العودة • ثم تحدث معهم عاكف بك فقال لهم : « ان اهل الحلة قوم متمردون على الحكومة وقد عرفوا قبل اليوم بأنهم عصاة جناة واننا نريد الدخول الى المدينة وضبطها وتخريب ملاجىء الاشقياء وقد ابقيتكم ودائع عندي حتى ندرك ما نريد فان تعرض المفسدون للجنود فما يجري عليهم يجري عليكم بكل شدة » وقد ارسل عاكف بك جنوده لاحتلال مدينة الحلة • فاحتلوا المخافر ودور الحكومة • وفي اليوم التالي ١٦ تشرين الثاني نادى المنادي في الحلة ان لا يخرج احد من داره ابتداءا من عصر ذلك اليوم لان المدافع ستضرب محلة الجامعين والطاق وجبران فانتقل من بها من الناس الى المحلات الاخرى ونصب المدافع على تل الرماد (الجبل) واخذت تطلق قذائفها نحو ساعتين وبعدها استباح الجيش مدينة الحلة وفعل فيها الافاعيل من الحرق والهدم والنهب والسلب والقتل وضرب فيها اربع محلات حيث شمل محلة الوردية ، اما محلة المهدية فلم يتعرض لها بسوء احتراما لاحد زعمائها عبدالكريم الشبيب وكان لدى عاكف بك قائمة باسماء عدد كبير من اهل الحلة فأمر بالقاء القبض عليهم وارسل مفارز عديدة من عسكره الى القرى المجاورة للبحث عن الهاربين منهم • ثم شكل محكمة عسكرية لمحاكمتهم فحكمت المحكمة بشنق ١٢٧ رجلا ونفي ٢٣١ رجلا • وكانت عمليات الشنق تجري على دفعات يوما بعد يوم وكان من بين المشنوقين الحاج علي الشيخ حسن الذي تخاصم مع القائمقام السابق وكذلك شنق اخويه وهيب ومحمد سعيد •

وشنق كذلك عمي المرحوم (صادق الشيخ عبدالحسين) وملا ابراهيم الجبوري مع ولده (عبود) والد الدكتور يوسف عبود ، ومحمد صالح شريف والد عبدالرزاق شريف وابن عمه سعيد الحاج امين علوش ومحي‌الدين ابن نورالدين وولده وسيفي اغا بن محمد اغا • والموظف عبدالوهاب بك والضابط ابراهيم فوزي •

ومن الطريف ذكره ان محمد سعيد اخا الحاج علي الشيخ حسن شنقه متصرف لواء الديوانية عزة بك في الديوانية • بأمر من عاكف وكان محمد سعيد قد خرج بعائلته الى قبيلة خفاجة وعاصم ولما علم بالقاء القبض علي اخويه بالحلة ذهب الى الديوانية متشبث باطلاق سراحهما بواسطة بعض المقربين عند المتصرف ولما دخل مدينة الديوانية القي القبض عليه ونفذ فيه الشنق •

بلغ عدد القتلى من اهل الحلة الذين قتلوا اثناء القتال والمقاومة الفا وخمسمائة قتيل •

وقد اطلق الحليون على هذه الوقعة (دگة عاكف الثانية) •

ويبدو ان البصير برم بحياته في الحلة وعمله هذا الذي كان دون طموحه • فاخذ يتطلع الى آفاق ارحب واوسع وظل هذا الطموح يقض مضجعه ويشغل باله حتى ادى به الامر ان يتجه نحو السياسة والادب والشعر ليجعل من نفسه شخصا مرموقا في المجتمع يشار اليه بالبنان • فقرر ان يهجر مدينة الحلة ويقيم في بغداد التي كانت يومها ملتقى رجال السياسة والفكر والادب •

وسألته عن الاسباب التي دعته الى الرحيل من الحلة الى بغداد ومتى كان ذلك ؟ فقال :

في حزيران من سنة ١٩١٩ وقعت معاهدة فرساي السيئة الصيت وقد جاءت مخيبة لامال الشعوب المتطلعة الى الحرية والاستقلال • والتي ظلت فترة طويلة تنتظر قرارات هـذه المعاهدة ، فظهر لنا زيف ادعـاءات الحلفاء واعتقدت يومها ان الحرية والاستقلال يؤخذ ولا يعطى وان لابد للعرب من ان يقاوموا المستعمرين بكل صلابة وعنف •

وقد اصيب العرب بخيبة امل مرة أخـرى عندما انتصر الحلفاء ولم يحققوا ما وعدوا وما تعهدوا به من تأسيس دولة لهم مستقلة ، وفي هـذه المناسبة نظمت قصيدة مطلعها :

يا صبا هـاك مـن دمعي طلّه   فلعـل الهـوى يـرق لعلـه

ومنهـا :

انـا مستعبد كما يشتهي الحب   فهل أنـت في الفضـا مسـتقله
انـا حـر لولا حكومة سـحر   جهزت لي بالاعـين النجل حمله
زعمـت انهـا سـلام ونـور   بيـد اني وجـدت نـار مطله

ثم يقول الدكتور البصير : وهنا ايقنت ان الاسـتقلال لا يؤخـذ الا بالثورة الشعبية المسلحة ولابد لها من التضحية والفداء •وهذا لا يتـم الا ببث الوعي الوطني والقومي بين صفوف الشعب وتهيئة اذهان الشعب •

ولما كانت بغـداد في ذلك الوقت مركز الحـركة السياسية قـررت السفر اليها وفي ربيع سنة ١٩٢٠ شددت الرحال اليها ونزلت ضيفا عزيزا في ايامي الاولى من اقامتي في بغداد على المرحوم السيد محمد الصدر (رئيس جمعية حرس الاستقلال) في الكاظمية •

واضاف البصـير :

لقد توثقت العلاقة بيني وبين السيد الصدر عندما القيت قصيدة رثاء في السيد اسماعيل الصدر (ابن عم السيد محمد الصدر الذي توفي قبـل مجيئي الى بغداد بزمن قصير) وكان قد وقعت هذه المرثية في نفس السـيد

محمد الصدر موقعا حسنا . وبعد يومين او ثلاثة من اقامتي عنده عرضت عليه غرض مجيئي الى بغداد وهو القيام بحملة دعائية واسعة وكبيرة ضد حكومة الاحتلال البريطاني على ان تكون هذه الحملة ذات طابع ديني واقصد بذلك الخطب السياسية والقصائد الحماسية تلقى اول الامر في مجالس التعزية وحفلات المولد النبوي وهي الاجتماعات العامة الوحيدة المسموح بها في ذلك الوقت ، فاذا كتب النجاح للحملة وسارت في طريقها المقدر لها خرجت من هذه الحدود الضيقة ، وظهرت على مسرح الحياة العامة بشكل حركة وطنية وقومية .

وقد سألني المرحوم محمد الصدر من يقوم بهذه المهمة كلها قلت له (انا) يا سيد فقد جئت لبغداد لهذا الغرض ، وسكت السيد برهة يفكر ثم وعدني بانه سيتدارس هذا الاقتراح مع اللجنة التنفيذية (لجمعية حرس الاستقلال) . وقد عرض هذا الاقتراح على اللجنة فعلا فوافقت عليه بالاجماع . وقررت في هذا الاجتماع اقامة المظاهرات السياسية على ان تكون في الظاهر سلسلة حفلات للمولد النبوي الشريف يتخللها ذكر مقتل الحسين ، وقرروا ان تتخذ جوامع بغداد الكبيرة مركز الحفلات وقد اخذ جامع الحيدرخانة(٢١) وجامع السيد سلطان علي نصيبا كبيرا في هذه الاجتماعات .

(٢١) لعب هذا الجامع دورا كبيرا في تاريخ الحركة السياسية في العراق فيما بعد . ان جامع الحيدرخانة من الجوامع الكبيرة في بغداد ، ويقع في منطقة الحيدرخانة في شارع الرشيد واليها نسب اسمه . ويقول مصطفى جواد (لعل حيدر المنسوبة اليه المحلة هو حيدر جلبي الشاهبندر من معاصري محمد باشا الخاصكي الذي ولي بغداد سنة ١٠٦٧هـ — ١٦٥٦م) . شيد هذا الجامع الوالي داود باشا آخر الولاة المماليك الذين حكموا بغداد من سنة ١١٦٣—١٢٤٦هـ / ١٧٤٩—١٨٣٠م .

ولى داود باشا ولاية بغداد سنة ١٢٣٢هـ — ١٨١٦م وظل فيها حتى قضى على حكمه علي رضا باشا اللاز سنة ١٢٤٦هـ — ١٨٣٠م .

وقد ارخ هذا التاريخ بيتين من الشعر كتبت على الضلع الاعلى هي :

ذا جامع قد تشيد — فيه الملائك تسجد
داود قد نال اجرا — مع الثواب المخلد

وهنا سألته عن أول خطبة القاها : فقلت له متى القيت اول خطبة واين ؟ قال : كانت اول ما ارتجلت قصيدة عنوانها (باعث الغضب) في حفلة افتتاح (المدرسة الحسينية) الابتدائية الاهلية في بغداد في ١٩ اذار ١٩٢٠ وهي اول حفلة سياسية ثورية اقيمت في بغداد وكانت قصيدة سياسية حماسية طافحة بالتنديد بالانكليز ومنها :

يا مطلع الازهرين : العلم والادب ردي الينا رقي الشرق والعرب
ما انت الا سماء اطلعت شهبا وهل لديك سوى الافكار من شهب
نحن الظماء وحوض العلم مشرعنا فينهل النشيء من سلسالك العذب
كوني كما يبتغي الاحرار مدرسة تضم العلا شملا غير منشعب
يا صاحبي وهذي الضاد قد جمعت ابناءها والعلى منهم على كثب

ويقول فيها مشيرا الى الانكليز :

لالعبن لهم ادوار منتبه حتى يفرق بين الجد واللعب

وهنا سكت البصير برهة وقال : وتوالت المظاهرات والاجتماعات وصار الخطباء والشعراء يتسابقون في القاء خطبهم وقصائدهم وقد فرحت كثيرا بذلك لاننا نجحنا في خطتنا التي رسمناها سابقا ، لقد اقلقنا الانكليز ومادت الاعمدة التي كانوا يقفون عليها ثم تابع حديثه يقول :

ومما اذكره حتى اليوم وكأنه ماثل امام عيني : ان السلطات البريطانية اعتقلت الشاعر عيسى عبدالقادر الريزلي على أثر القائه قصيدة سياسية حماسية هزت مشاعر الناس ، وقد ازعج هذا الاعتقال الجمهور وسرى خبره في الناس كسريان النار في الهشيم وقد تكهرب الجو وتلبد بالغيوم . وفي يوم ٧ رمضان ١٣٣٨ هـ ٢٥ اذار ١٩٢٠ القيت خطبة حماسية في جامع الحيدرخانة هاجمت فيها الانكليز هجوما شديدا واوضحت للجمهور اسباب اعتقال الشاعر عيسى عبدالقادر الريزلي وعند انتهاء الخطبة خرجت الجموع

في مظاهرة كبيرة وحاشدة ، فلما شاهدت السلطات المحتلة ضخامة المظاهرة لم تستطع ان تمتلك زمام نفسها فأطلقت النار على المتظاهرين فأصابت النار رجلا اخرس بائع صحف فاردته قتيلا • فثارت بغداد وعمت المظاهرات وقد شيع هذا (الاخرس) باضخم موكب شهدته بغداد الى مثواه وقد لقب (بشهيد الوطن) وسألته : كيف سكتت سلطة الاحتلال عن هذا العمل ولم تعاقب القائمين به ؟

فقال : لم تسكت سلطة الاحتلال على هذا العمل ، ففي عصر اليوم التالي (٨) رمضان استدعت السلطة البريطانية عددا من الزعماء الوطنيين هم : « جعفر ابو التمن والشيخ احمد الشيخ داود وعلي البزركان وأنا » وحملتنا مسؤولية ما حدث في بغداد من اعمال العنف وقد تدخلت بعض الشخصيات العراقية لدى سلطة الاحتلال لاطلاق سراحنا ولولاها لانزلت بنا عقوبات صارمة •

وهنا سألته : من هذه الشخصيات العراقية التي شفعت لكم عند الانكليز •

وهنا تردد الدكتور في ذكر هذه الاسماء وقال : اخشى ان يسوء قولي هذا احفادهم او من بقي منهم على قيد الحياة وهنا قلت له ، لم يبق شيء سر وغير معروف فان كل الحقائق تكشفت للناس وعلم بها الصغير والكبير ولكنه لم يرضَ •

ثم قال :

في يوم ٣٠ ايار ١٩٢٠ اقامت المدرسة الجعفرية حفلة لتوزيع الجوائز على المتفوقين من طلابها القيت قصيدة عنوانها (يا علم) وقد احدثت هذه القصيدة رنة في الاوساط السياسية ، واعتبرتها في وقتها جوابا على تصريحات وتهديدات الحاكم العسكري البريطاني بعدما استدعانا اليه ومطلعها :

يـا علم عش وعش فعصرك راقـي واعـد شموس الشرق للاشـراق

ومنهـا :

ولسوف أكسـر غل عنقي جاهـدا ان لا اسـلمها الى الاطـواق

قلت له : لكم قصيدة مشهورة كنا نقرأها ونحن طلاب في المـدارس الثانوية هي (ان ضاق يا وطني عليّ فضاكا) ما هي قصتها وفي اية مناسبة قيلـت :

قلت لك سابقا باننا كنا نعد للثورة على الانكليز وكنا نغتنم الفـرص والمناسبات الدينية التي تقام في الجوامع الكبيرة والذي اذكره هنا ، ان هذه القصيدة قيلت في اجتماع وطني حاشد اقيم في جامع الحيدرخانة ببغـداد قبيل اعلان الثورة العراقية على الانكليز في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ومنها :

ان ضـاق يا وطني عليّ فضـاكا فلتتسـع بـي للامـام خطـاكا
اجـرى ثراك دمـي فان انا خنته فلينبـذني ان ثويـت ثـراكـا
بك همت بل بالموت دونك في الوغى روحي فـداك متى اكـون فداكـا
هب لي بربـك موتـة تختارهـا يـا موطني او لسـت من ابناكـا
فليتحد جسـدي بتربـك باليـا ولتقتـرن ذكـراي في ذكراكـا

وبعدها سألته عن دوره في ثورة العشرين واهم ما قام به فقال :

عندما اضطرمت نيران الثورة في كل مكان من انحاء العراق وعمت المدن والقرى وبعد ان استولى الثوار على النجف وكربلا ومـدن اخرى مـن الفرات الاوسط وعلى الخالص وبعقوبة • كنا نقيم الاجتماعات الشـعبية ونلقي فيها القصائد الحماسية والخطب ونبين للجمهور انتصـارات الثوار واندحار جيش الاحتلال وخسائره في الارواح والمعدات فكـان ذلك يبهج النفوس والمشاعر •

ثم قال : في هذه الفترة والثورة مستعرة في انحاء العراق قامت السلطات المحتلة في ١٢ آب ١٩٢٠ في فجر ذلك اليوم وداهمت بيوت عدد من قادة الحركة في بغداد هم : يوسف السويدي وجعفر ابو التمن وعلي البزركان والشيخ احمد الداود فتمكن الثلاثة الاول من الهرب والقي القبض على الشيخ احمد ونفي الى البصرة ومن هناك ابعد الى هنجام في الخليج العربي .

والشيء بالشيء يذكر ان الشرطة داهمت دار جعفر ابي التمن وهي تقع في زقاق يعرف بأسم جده (دربونة حاج داود) في محلة صبابيغ الآل حيث كان جعفر يسكن في هذه الدار . وقد استطاع من الهرب الى دار جيرانه الخلفي وهي دار عبدالهادي حبة وهذه الدار تقع في محلة السويدان وبقي فيها ليلة واحدة مختفيا ثم انتقل الى دار محمد جواد الحلي ومنها الى دار خاله الحاج الاطرقجي ولكن خاله لم يوافق على بقائه في بيته فأرسل جعفر ابو التمن خبرا الى صديقه مهدي الخياط وطلب منه مساعدته في موضوع الاختفاء . فأخلى له مهدي الخياط داره واسكن فيها جعفرا وقد مكث جعفر فيها حوالي الاسبوع متواريا عن اعين السلطات المحتلة .

وقال البصير : ومن الطريف ذكره انه قبل يوم واحد من مداهمة السلطات البريطانية لدار جعفر ابي التمن ارادوا ان يعرفوا المخابيء في بيته فأرسلوا شرطيا عراقيا بثياب اعرابي وكانت الدماء تسيل من رأسه الى دار جعفر ابي التمن مدعيا انه جاء من الفرات الاوسط وان السلطات البريطانية تريد القبض عليه ، ويطلب منهم ان يحموه ويخفوه ، وكان في الدار يومها ابن عمه الحاج باقر الحاج سلمان ابو التمن . فذهب هذا واخبر جعفر بالامر وكان في المدرسة الجعفرية فطلب جعفر ابو التمن من الحاج باقر ان يطرده وفي اليوم التالي هاجمت الشرطة دار جعفر ابي التمن .

وعندما اصبح جعفر ابو التمن خطيرا وبقاؤه في بغداد صار صعبا وضعت خطة لتهريبه الى منطقة الفرات مع علي البزركان الذي اختفى في

محلة الحيدرخانة وقد قام بعملية التهريب عبدالمجيد كنة ، وقد تقرر ان يكون تهريبهما يوم الخميس ١٩ آب ١٩٢٠ ، وكانت الظروف يومها صعبة جدا وحرجة لان السلطات البريطانية قد فرضت منع التجول بعد الساعة التاسعة مساء ، وقد اعد لهذه العملية زورق ينتظرهما في شريعة سيد سلطان علي ينقلهما الى الدورة ، وفي الموعد المحدد جاء عبدالحميد كنة وجماعته الى الدار التي يختفي فيها جعفر ابو التمن وهم يخفون اسلحتهم ، وقد ارتدى جعفر اللباس الاهلي امعانا في اخفاء هويته فلبس (زبون ويشماغ وعقال وعباءة) وقبل الساعة التاسعة من ذلك اليوم غادر جعفر ابو التمن دار مهدي الخياط يحرسه الرجال المسلحون الى الشريعة ، فوجدوا الزورق بانتظارهم ولكن علي البزركان لم يكن قد وصل بعد وكان عبدالمجيد كنة قد ارسل رجلين لجلبه من مكمنه وبعد مدة من الانتظار وصل علي البزركان فركب الزورق جعفر ابو التمن وعلي البزركان وعبدالمجيد كنه وسار بهم في النهر وكانت فترة منع التجول قد حلت ، فأخذ الحراس ينادون على من في الزورق بالوقوف واطلقوا عليه النار ولكن الزورق واصل سيره بدون توقف حتى وصل بستان مجيد كنة في الدورة حيث استراحوا هناك وبعد العشاء غادروا الدورة الى بيت خضير شيخ قبيلة الجبور واستراحوا فترة قصيرة وقبل طلوع الفجر غادروا المضيف يحرسهم عدد من فرسان عشيرة الجبور مسلحين بالبنادق والسيوف وعلى ظهور الخيل نحو بيت علوان الشلال شيخ عشيرة الغرير في منطقة اليوسفية في قضاء المحمودية التي كانت بيد الثوار ومنها توجهوا الى بيت عاصي العويص شيخ عشيرة الجنابيين في جرف الصخر بقضاء المسيب ، ومن جرف الصخر الى كربلا ومنها الى النجف معقل الثورة ،

اما يوسف السويدي فقد كان يسكن محلة خضر الياس في جانب الكرخ فقد دافع عنه جماعة من اعوانه واصطدموا بالشرطة التي جاءت للقبض عليه

وقد قتل وجرح عدد[٢٢] من المدافعين عنه وقد تمكن السويدي الافلات من قبضة الشرطة واختفى في دار سلمان الحمامي والد الدكتور محمد حسن سلمان القريبة من داره(*) فترة من الزمن ثم هرب الى الكاظمية فاختفى في دار السيد حسن الصدر والد السيد محمد الصدر وبعدها نقل الى اليوسفية ثم الى قبيلة البو محي من قبائل الغرير ، ثم الى الوند ثم كربلا .

وقد وجدت الشرطة في بيت السويدي من الرجال ابنه (عارف) فألقوا القبض عليه ونفوه الى هنجام حيث التحق بالشيخ احمد الشيخ داود .

وقد عثرت ايضا على بعض الاوراق والمستندات ومن جملة ما وجدت رسالة واحدة من عبدالمجيد كنة الى يوسف السويدي يتعهد فيها بعمل خطير، وكان عبدالمجيد كنة يومها منتسبا الى جمعية حرس الاستقلال ويترأس مجموعة سرية باسم (حزب الدفاع) وكان عبدالمجيد يهدد كثيرا من الاشخاص الذين يتعاونون مع الاستعمار وكان يخيفهم[٢٣] .

---

(٢٢) سقط من اهل المحلة ستة قتلى واثنا عشر جريحا . وكان اول قتيل محمد العكيلي والثاني حسين العلي الملقب بـ (ابن نوارة) نسبة الى امه والثالث عبدالرحمن السامرائي الملقب بـ (أخو ثجلة) والرابع توفيق الناصري والخامس صالح حيو البناء وقد قتل عندما كان راكبا قفة في النهر وهو صهر توفيق الناصري والسادس صالح جياد البلام وقد قتل برصاصة طائشة عندما كان خارجا من زورقه الى الشاطىء . اما الجرحى فكان منهم : الحاج عبود مختار محلة سوق الجديد وعبدالرزاق الكسار ـ وهو عم فاضل عباس المهداوي الذي اشتهر في عهد عبدالكريم قاسم ، وقد جرح في يده وشوهد اثناء المعركة رافعا يده المجروحة وهو يصيح (لا تقولوا انهزم) وعلي سلمان الخوجة وحميد دكة . وقد اصيب في يده وقد ظلت يده مشلولة من جرائها طيلة حياته : الوردي : لمحات اجتماعية حـ٥ قسم ٢ ص١٣ .

(٢٣) وذكر علي البزركان السبب الذي ادى الى القاء القبض عليه فقال : كان عبدالمجيد قد ارسل رسالة في اوائل آب ١٩٢٠ الى يوسف السويدي يطلب منه مبلغا من المال لسداد احتياجات اعوانه . فلما وصل المكتوب الى السويدي استدعى اليه احمد الشيخ داود ومحمد الصدر وجعفر ابو التمن وعلى البزركان للتدول في الامر . وقد اجتمع هؤلاء في بيت

وقد القت السلطات البريطانية القبض على عبدالمجيد كنه وحبسته في سجن السراي لتقديمه الى المحكمة[٢٤] .

وقد حاكمته السلطات البريطانية واصدرت حكمها عليه بالاعدام ونفذته واذاعت بيانا ذكرت فيه انها عثرت على رسائل في بيت يوسف السويدي موقعة من قبل عبدالمجيد كنة ثبت ان لديه يدا في تكوين عصابة من القتلة ترمي الى ارهاب وقتل كل من لا يجاري المبادىء المتطرفة[٢٥] .

السويدي في ٨ آب وبعد المداولة وافقوا على تقديم المبلغ الى عبدالمجيد كنه ، ولكنهم اختلفوا فيما يفعلون بالمكتوب الذي ارسله الى السويدي . هل يمزقونه ويرمونه في النهر ام يحتفظون به . فكان رأي احمد الشيخ داود وعلي البزركان رميه في النهر . اما السويدي والصدر وابو التمن فكان رأيهم الاحتفاظ به ليكون سندا في ايديهم حول دفع المبلغ وقد وضع السويدي المكتوب اخيرا تحت الفراش الذي كان جالسا عليه بغية الاحتفاظ به . ولما قامت الشرطة بالتفتيش في بيت السويدي في ١٢ آب عثرت على المكتوب وكان ما يزال في موضعه تحت الفراش .

* اشار الدكتور محمد حسن سلمان الى ذلك في مذكراته المطبوعة .

(٢٤) يقول سامي خوندة عندما سجن عبدالمجيد كنة كانت الشرطة تريد ان تعرف اعضاء العصابة التي كانت تتعاون معه في عمله السياسي . فدست له جاسوسا في سجنه اسمه (عبود زيدان) وصار هذا الجاسوس يتظاهر أمام عبدالمجيد بالوطنية ويدعي انه محبوس في سبيلها لكي يحصل من عبدالمجيد على اسماء اعوانه . وعندما علمت بالامر تمكنت بمعونة بعض الاصدقاء من ايصال الخبر الى عبدالمجيد في السجن لتحذيره من الجاسوس وكان ذلك سببا في نجاة الكثير من الوطنيين .

(٢٥) تم تنفيذ حكم الاعدام في فجر ٢٥ ايلول . وقد نشرت جريدة العراق بلاغا رسميا عنه هذا نصه :

حوكم عبدالمجيد كنة من اهالي بغداد في محكمة عسكرية في ١٦ ايلول بتهمة ارتكابه جريمة ضد العسكرية بسعيه وراء اثارة الخواطر على جيش الاحتلال ولقد ثبت لدى المحكمة ثبوتا بينا من المكاتيب الموقعة منه التي وجدت في بيت يوسف السويدي (بأن) عبدالمجيد كانت له يد قوية في تأليف عصابة من القتلة ترمي الى ارهاب وقتل كل من لا يجاري المبادىء المتطرفة التي اتخذها حزبه . وقد ثبت عليه الجرم فحكمت عليه المحكمة بالاعدام شنقا فتأيد الحكم وشنق ليلة السبت ٢٥ ايلول ١٩٢٠ .
جريدة العراق : ٢٨ ايلول ١٩٢٠ .

وقد ذكر البصير ان العمل الخطير الذي كان ينوي القيام به هو اغتيال شخصية كبيرة هي رئيس اللجنة الانتخابية السيد طالب النقيب وكذلك كان ينوي اغتيال كل من يتعاون مع السلطات البريطانية[٢٦] .

ثم قال البصير ، ومن الامور التي ما زلت اذكرها حتى اليوم هو ان الشعب العراقي قام لاعدام عبدالمجيد وقعد وشيعته عشرات الالوف الى قبره ورثي بقصائد عدة عزى قائلوها اهله وذويه بموته ، وقدروا وطنيته الصادقة حق قدرها والحقيقة كانت خسارة شعب العراق وحزبه بموته خسارة كبيرة لا يمكن تعويضها .

وفوق هذا كله قبضت السلطات الانكليزية على شقيقه حميد كنه ونفته الى جزيرة هنجام .

دفن عبدالمجيد كنة في مقبرة الشيخ معروف . ولكنه اوصى ان يدفن في مقبرة الشيخ جنيد ، وعندما شاعت اخبار هذه الوصية قرر اهله وذووه نقله الى حيث اوصى ولكن العادة جرت ان لا تخرج جثة من قبرها الا بعد مرور نصف سنة في الاقل . وقد ارتأى اخوته واهله ورجال حزب الحرس ان يخرجوا جثته بعد مرور سنة على دفنه .

وفي شهر ايلول سنة ١٩٢١ جرت الاستعدادات لنقل رفات عبدالمجيد كنة واعلنوا في الصحف عن موعد نقله[٢٧] واقامة حفلة تأبينية كبرى لمناسبة

---

(٢٦) ومما يؤيد قول البصير ما ذكرته بعض المصادر : فقالت انه اشيع يومها ان المحكمة كانت قد حكمت على عبدالمجيد كنة في اول الامر بالسجن عشر سنوات ولكن السيد طالب النقيب أصر على أعدامه لانه كان يخشى منه بعد خروجه من السجن .

(٢٧) نشرت جريدة دجلة لصاحبها داود السعدي بعددها رقم ١٧٣ اليوم الخميس ٢٢ ايلول ١٩ محرم ١٣٤٠ الخبر تحت عنوان (حفلة تابين) فقالت (ستقام حفلة تابين للمرحوم عبدالمجيد افندي كنة في الساعة الواحدة عربية صباح الغد) اي (الجمعة) . ونشرت هذا الخبر ايضا جريدة (لسان العرب) التي كان يصدرها ابراهيم حلمي العمر ،

مرور سنة على شنقه • وفي يوم الجمعة من شهر ايلول نقلوا رفات الشهيد الى مقبرة الشيخ جنيد البغدادي • وحضر تشييع الجثمان جمع غفير من الاهالي وعلى رأسهم افاضل العاصمة وسياسيوها •

وعندما دفن القيت الكلمات والقصائد على قبره • فتكلم الاستاذ سامي خوندة وبين في كلمته وطنية عبدالمجيد وغيرته وشهامته واخلاصه لبلاده ثم القى قصيدة السيد محمد الهاشمي بعنوان (شهيد الاستقلال) وكانت قصيدة رائعة لان محمدا كان شاعرا وطنيا كبيرا • ومطلعها :

لولا التقى لجعلت قبرك كعبة ... للطائفين وقبلة للركع

ومنها :

قبر الشهيد اجل قدرا ان يرى ... قفر الجوانب خاليا في بلقع
لو انصفوك لاودعوك قلوبهم ... حرصا عليك ورغبة في المودع
قم وانظر الوطن الذي حاميته ... ماذا يقاسي من اسى وتفجع
نهضوا بنعشك نهضة وتزاحمت ... زمر يتابعها الذي لم يتبع(٢٨)

ثم يقول :

طافوا بقبرك والعيون خواشع ... في جانبيه سواكب بالادمع
وبكوا شبابك لو تفيد دموعهم ... نفعوك لكن البكا لم ينفع

وذكرت جريدة الفلاح لصاحبها عبداللطيف الفلاحي في العدد ٣٩ المؤرخ في ٢٢ محرم ١٣٤٠ هـ ٢٥ ايلول ١٩٢١ خبر اقامة الحفلة التابينية تحت عنوان (حفلة تابين) فقالت : (اقامت شبيبة العاصمة حفلة حافلة يوم الجمعة الماضي في الساعة الواحدة لتابين فقيد الوطن عبدالمجيد افندي كنة بمناسبة مرور حول كامل على وفاته . وقد حضر هذا الحفل جمع غفير من افاضل العاصمة ومنوريها وكان الاجتماع حول الفقيد في مقبرة الجنيد البغدادي وقد القيت هناك الخطب البليغة وانشدت القصائد الرنانة مما اثار العواطف واهاج الشعور) .

(٢٨) وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة (الرافدين) : العدد الاول ٢٣ محرم ١٣٤٠هـ دون توقيع .

ثم قال البصير : هذه القصيدة طويلة لا احفظ منها غير هذه الابيات والحقيقة ان هذه القصيدة كانت مفجعة قوطعت اكثر مقاطعها بالهتاف واستعيدت ابياتها مرارا لما حوته من معان بليغة .

ثم القى السيد ابراهيم الرحيمي قصيدة بعنوان (صريع الشهامة) وهي طويلة ومطلعها :

اقول لعيني ما لدمعك قد جرى ... على وجنتي هل قد علمت ما جرى
أنابك خطب ام دهتك ملمة ... من الدهر حتى سال دمعك احمرا

ومنها :

فسيف الردى بين التراب مغمد ... ودمع الاسى بين الجفون تحجرا
فهل أبصرت نور الحقيقة يوم ذا ... (مجيد) غدا فوق التراب معفرا
فيا ايها المشنوق حبا لدينه ... فنم آمنا طلق المحيا مطهرا
بشنقك هذا كنت أبلغ خاطب ... تخذت له سطح المشانق منبرا
فبت على عود الصليب معلقا ... فلله من عود لدى الصبح اثمرا

ثم يقول :

عهدناه رب المجد من قبل موته ... هماما اذا ما اورد الخطب أصدرا
ثوى في بطون الارض حرا بفكره ... مخافة فوق الارض أن يتأسرا
ألا فاندبوه ايها القوم كلما ... سمعتم بشعب في زمان تحررا
الا واقرأوا طي السلام لروحه ... وخطوا له أسنى التحية اسطرا
الا وانثروا الأزهار فوق ضريحه ... ليصبح روض المجد للشعب مزهرا(٢٩)

ثم قال البصير : ثم تقدمت والقيت كلمة رثاء طويلة (لا اذكرها) وقد ابنت الفقيد ثم بينت اثر التضحية في حياة الامم وخلود ابطال الوطنية وعزيت آل الفقيد واهله وذويه .

---

(٢٩) ونشرت هذه القصيدة في جريدة (الرافدين) العدد الثاني ٢٥ محرم ١٣٤٠هـ ٢٨ ايلول ١٩٢١ .

وكذلك القى الشاعر عبدالرحمن البناء قصيدة هو الاخر يرثي فيها الفقيد مطلعها :

أمجيد شعبك جاء كي يرثيكا   من بعد عام علّه يرضيكا

والحقيقة لا الذكر من هذه القصيدة غير هذا المطلع وبيت اخر من الشعر لانها لم تنشر يومها ولم تتداولها الناس • والبيت الاخر هو :

لو انهم عرفوا الحقيقة قدرها   صلبوا نفوسهم وما صلبوكا

ثم ارسل توفيق الفكيكي قصيدة القيت عنه بالنيابة لانه لم يكن يومها في بغداد •

وهنا سألت البصير فقلت له : هل كنت تعرف عبدالمجيد كنة(٣٠) قبل مجيئك الى بغداد وما هي معلوماتك عنه ؟

فقال : ان معرفتي بعبدالمجيد كنة تبدأ من انتمائي الى حزب حرس الاستقلال الذي كان من اعضائه البارزين • ولم أكن اعرفه قبل هذا التاريخ • اما معلوماتي عنه فالذي اعرفه ، هو انه من اهالي الرمادي وتخرج في مدرسة الرشدية العسكرية في بغداد وقد اشتغل موظفا بسيطا في العدلية

---

(٣٠) لقد ذكرت جريدة الاستقلال وصفا كاملا لتشييع جنازة عبدالمجيد كنة ننقل بعضها قالت : « حملت الجنازة من داره قبيل الظهر ومرت في الشوارع يتقدمها صفوف من أهل الدفوف والاعلام وهم يهللون ويكبرون ويتبعهم الوفا من الرجال والشبان وفي ايديهم الشموع تضيء والكل تضج ضجيجا عاليا • ثم يأتي بعد ذلك النعش وقد رفع على رؤوس الاصابع • ولا أبالغ اذا قلت تحمله مئات من الايدي والناس تتزاحم لكي تحظى بحمله ولو برهة • وقد القى على الصندوق رزمة نفيسة من الحرير الغالي وعلق فوق رأسه الطربوش الذي كان يلبسه في الحياة ، ويتبع النعش من الخلائق أضعاف من تقدمه • والجميع خاضعة الرؤوس • ثم تأتي بعد افواج النساء زمرا وقد حثين الرماد والطين على رؤوسهن سلك النعش طريق الفضل فالميدان فجادة السراي فالسوق وعبر الجسر القديم الى جانب الكرخ قاصدا المقبرة الشونيزية حيث مرقد الشيخ معروف الكرخي » جريدة الاستقلال : في عددها الصادر ٢٨ ايلول ١٩٢٠ • وقد اقيمت لعبدالمجيد فواتح عديدة في محلات بغداد •

(العدل) ، ثم ترك العمل في دوائر الدولة واخذ يمارس الزراعة ، ولما شكل حزب الحرس انتسب اليه ، وعندما قامت الثورة العراقية في الفرات الف حزبا خاصا به ضم اليه مجموعة من الشبان الشجعان الذين يعتمد على وطنيتهم واخلاصهم وشجاعتهم وسماه (حزب الدفاع) وسن له منهاجا خاصا به ولكنه ظل في الوقت نفسه محافظا على الرابطة السياسية التي تربطه بجمعية الحرس .

ثم قال البصير : لم يذهب دم عبدالمجيد هدرا بل اخذ اعوانه الثأر من الانكليز فقد قتلوا ضابطا انكليزيا كان لم ضلع كبير في القاء القبض على عبدالمجيد[٣١] ، ففي مساء ٢٤ كانون الاول ١٩٢٠ كمنوا لهذا الضابط بالقرب من جامع مرجان وهو يهودي اسمه سلمان روبين حية فأطلقوا عليه النار وقتلوه .

وقد اهتمت السلطة البريطانية لمقتل هذا الضابط اهتماما كبيرا ، فنشروا اعلانات في جريدة العراق بصورة متكررة معلنة عن هذا الحدث واعطت خمسة الاف روبية لمن يخبر عن القاتل ، ولكن الانكليز لم يستطيعوا معرفة القاتل .

ثم قال محمد مهدي البصير : اما جعفر ابو التمن فعندما التحق بالثورة في الفرات الاوسط ساهم مساهمة كبيرة في توجيهه الثورة وتدعيمها وقد احتل مركزا قياديا فيها الى جانب الزعماء الاخرين ، كعبدالواحد الحاج سكر

---

(٣١) نشرت السلطة البريطانية في جريدة العراق اعلانا لثلاث مرات متتالية هذا نصه :

تعطى مكافأة قدرها خمسة الاف روبية لمن يعطي خبرا ينتج بتوقيف ومعاقبة الشخص او الاشخاص الذين اشتركوا في اغتيال المفتش بوليس (سلمان روبين حية) المختص ببوليس لواء بغداد الذي قتل رميا بالرصاص نحو الساعة السابعة عشرة ونصف (اي نصف ساعة بعد الغروب) في مساء يوم الجمعة ٢٤ كانون الاول في طريق تحت التكية بجانب ميدان مرجان بغداد .

نائب مدير البوليس
بغداد

انظر :
جريدة العراق : بعددها الصادر في ٤ كانون الثاني ١٩٢١ .

ومحسن ابو طبيخ وسيد نور السيد عزيز والسيد علوان الياسري وكاطع العوادي وشعلان ابو الجون وغيرهم • وكان يحضر اجتماعات قادة الثورة وله الكلمة المسموعة بينهم • وفضلا عن هذا كانوا يستشيرونه ويحترمون رأيه كثيرا •

ثم قال البصير : اما أنا فكان عليّ ان اختفي عن انظار المستعمرين وفعلا اختفيت وبعد مدة من الزمن تقرب من الشهرين ظهرت في تشرين الاول من السنة نفسها لان الاحوال قد تغيرت اذ نقل السير ولسن من العراق وجاء مكانه السير پرسي كوكس مندوبا ساميا الى العراق بتاريخ ٧ تشرين اول سنة ١٩٢٠ •

وقال البصير :

واما بالنسبة لجمعية حرس الاستقلال فقد حلت عندما القي القبض على فريق من زعمائها فنفوا الى هنجام وفر اخرون الى اواسط الفرات حيث مقر الثورة المسلحة ، وانتهى دور المندوبين الخمسة عشر ، ولم يبق لهم تأثير في الاحداث في بغداد • بينما استمرت لجنة الانتخابات في اجتماعاتها لاعداد قانون الانتخابات للمؤتمر العام •

ثم قلت للدكتور البصير : ما رأيك في المندوبين الخمسة عشر ؟

فقال : كان هؤلاء ليسوا على شاكلة واحدة فمنهم وطنيون ومنهم من يعادي الثورة بشكل مكشوف او مستور ، وقسم كانت مشاعرهم تركية ، وقسم احتلاليون مئة بالمئة • فمثلا كان عبدالرحمن الحيدري ينقل ما يدور في جلسات المندوبين الى وكيل الحاكم العام ومقلدا اصوات المندوبين واحدا واحدا •

والحقيقة ان الثورة كما هو معلوم قد فشلت — مع الاسف — في تحقيق النصر النهائي على السلطة المحتلة وقد تفرق رجال الثورة وتشتت

شملهم فمنهم من اختفى او هرب الى خارج العراق ومنهم من سلم نفسه للانكليز فسجن وقد اودع السجناء هؤلاء في سجن الحلة(٣٢) •

اما مصير جماعة بغداد وفي مقدمتهم : يوسف السويدي وجعفر ابو التمن وعلي البزركان والسيد محمد الصدر ومحمود رامز وغيرهم • فقد قرر هؤلاء السفر الى الحجاز وسافروا جماعات • فقد سافر علي البزركان واسماعيل كنة سوية وسافر يوسف السويدي ومحمد الصدر وسافر جعفر ابو التمن ومحمود رامز وشاكر القرهغولي وكذلك لجأ عدد من زعماء الفرات ايضا الى الحجاز وهم : السيد نور الياسري والسيد علوان الياسري والسيد محسن ابو طبيخ والسيد مرزوق العوادي والسيد هادي المسكوطر ورايح العطية وصلال الفاضل ومهدي الفاضل وعلوان الحاج سعدون وعمران الحاج سعدون •

وقد وصلوا مكة في صباح ٢٢ شعبان ١٣٣٩هـ • وهو الموافق ١ ايار ١٩٢١ وقد وجدوا مكة في زينة احتفاء بمقدم فيصل الذي كان قد وصل

---

(٣٢) وهم :

١ ـ اهل المدن : هادي الزويني ، سيد حسين الددة ، هبة الدين الشهرستاني ، حسين القزويني ، محمد الكشميري ، عبدالوهاب الوهاب ، طليفح الحسون ، عبدالرحمن العواد ، عبدالجليل العواد، أمين كرماشة ، عبدالرسول تويج ، نجم العبود ، محسن العامري.

٢ ـ شيوخ العشائر : سلمان البراك ، شخير الهيمص ، دليمي البراك ، سلمان الكعيد ، سلمان الفاضل ، دوهان الحسن ، عمران الحاج سعدون ، علوان الشلال ، سماوي الجلوب ، عبدالواحد الحاج سكر ، خادم الفازي ، عبادي الحسين ، خضير العاصي ، متعب الشاني ، عبود العنين ، حمود الصليلي ، ابراهيم السماوي ، علي المزعل ، محسن العباس ، فرحان الدبي •

ومن الطريف ذكره في هذه المناسبة ان السيد هبةالدين الشهرستاني نظم ارجوزة في سجن الحلة ضمنها اسماء الذين كانوا معه في سجن الحلة هذا نصها :

اليها من لندن قبل يومين وفي الاثناء وصلت عدد من البرقيات من بعض العراقيين في بغداد الى الشريف حسين يرجونه فيها ارسال ابنه فيصل ليكون ملكا دستوريا على العراق ، وذلك تنفيذا للخطة التي وضعت في مؤتمر القاهرة . وعندما قابل الشريف حسين زعماء الثورة الموجودين عنده اطلعهم على البرقيات لاخذ ارائهم فيها وفي مرسليها . وقد بين له جعفر ابو التمن ان هذه البرقيات لا يمكن ان تكون اساسا لترشيح ملك ، ولكن اذا كان الانكليز موافقون على ترشيحه فذلك هو الاساس ، اما محسن ابو طبيخ فقال : ان في اعناقنا بيعة للامير عبدالله ، فرد عليه علوان الياسري بانهم مرتبطون بالشريف حسين قبل كل شيء .

وقال الشريف حسين للزعماء ، بناء على ما وصلني من برقيات وبناء على طلبكم فقد امرت فيصل بالتوجه الى العراق وهو وديعته لدى العراقيين ورجاهم ان يذهبوا معه وان لا يحدث له ما حدث في سورية ، فقال محسن ابو طبيخ للشريف حسين ، ان العراق غير سوريا وان اهل العراق راغبون

هاك أسامي نخبة الآفاق	من حوكموا في نهضة العراق
(سبع) وعشرون شيوخ رؤسا	وستة من نسل اصحاب الكسا
هم (هبةالدين) لاجل الدين	وحبرنا (الحسين) من قزوين
والسيد الوهاب مظهر الابا	والهادي للحق الزويني نسبا
والمرشدالحسين منسل الدده	خاتمهم محمد ذو المحمدة
احصي الشيوخ كمنازل القمر	هذا الدليمي وذاك المفتخر
اشخير من آل ابو سلطان	ثم الغني أمين ابو نعمان
ثلاثة اسمهم سلمان	والمحسنات والفتى دوهان
عمران ذلك الصارم المعقول	علوان فيهم سيفا المسلول
والبرنجم كالسماوي العابد	ولا فتى حر كعبد الواحد
علي المزعل للاعادي	كخادم الفازي كذا عبادي
خضير العاصي عن التسليم	والشهم من كان كابراهيم
طليفح الحر كذا فرحان	متعب اعدانا هو الرحمن
عبدالجليل صنوه العواد	والتاج عبدالرسول الهادي
وابن عنين اسمه عبود	وابن الصليلي الفتى محمود

ابراهيم الوائلي : ثورة العشرين في الشعر العراقي ص١١٦ .

بالامير فيصل وها اني أول من يبايع الامير فيصل ملكا على العراق • فقام السيد محسن ابو طبيخ امام الشريف حسين وبايع فيصلا وصافحه قائلا له : « انني ابايعك ملكا دستوريا عادلا في العراق » فحذا بقية العراقيين حذوه وبايعه الجميع •

ابحر فيصل ومن معه من ميناء جدة على ظهر الطراد البريطاني (نورث بروك) في يوم ١٠ حزيران ١٩٢١ بعد ان ودعه والده الشريف حسين واخوه الامير زيد • وكانت الحاشية التي ترافقه مكونة من :

رستم حيدر وتحسين قدري وامين الكسباني ومن العراقيين : علي جودت الايوبي ويوسف السويدي والسيد محمد الصدر والسيد علوان الياسري وابراهيم كمال والمرافق صبيح نجيب ومكي الشربتي • ورافقه ايضا المستر كورنواليس الذي عين مستشارا للملك • وقد تخلف من العراقيين اربعة اشخاص هم : جعفر ابو التمن والسيد محسن ابو طبيخ ورايح العطية ومرزوق العوادي • لاداء فريضة الحج الذي كان موسمه قريبا •

وفي ٢٣ حزيران ١٩٢١ وصل الطراد البصرة • ثم وصل فيصل بغداد في ٢٩ منه •

اما الجماعة الذين تخلفوا في مكة فقد وصلوا بعد اداء فريضة الحج ، وعاد جعفر ابو التمن الى العراق وحده عن طريق البحر وقد وصل البصرة ثم منها الى بغداد فوصلها صباح يوم الجمعة في ١٦ ايلول ١٩٢١ وقد استقبل استقبالا حافلا في محطة القطار حيث شارك فيه تلاميذ مدرستي الجعفرية والحسينية ونحرت تحت قدميه الذبائح ثم حملته سيارة مزينة الى داره في محلة (صبابيغ الآل) وقد نصب له اهل المحلة اقواس النصر كما غصت الدار بالمهنئين • وقد القيت قصيدة منها :

طرقت بغداد والاقبال مقتبل فعش لشعبك واسلم ايها البطل
هجرت بغداد حينا ثم عدت لها وقد تقلص ذاك الحادث الجلل
فألبست جوها من زهرها حللا وما لديها سوى رياتها حلل

ثم جاء بعد جعفر ابو التمن ، السيد محسن ابو طبيخ ومرزدق العوادي •

ثم سألت البصير : فقلت له ما هو موقف زعماء الحركة الوطنية في العراق من ترشيح الامير فيصل ملكا على العراق ؟

فقال : كان مطلب هؤلاء الزعماء اقامة حكومة عربية مستقلة في العراق يرأسها ملك عربي هو احد انجال الشريف حسين وكانت انظارهم متجهة الى ابنه الامير عبدالله • وكانت صورته بارزة في المجالس • وقد طلب مني جعفر ابو التمن ذات يوم ان انظم قصيدة في مدح الامير عبدالله فنظمت له قصيدة وقد خط بعض ابياتها على تصاوير عبدالله وكان جعفر ابو التمن يقوم بتوزيع هذه التصاوير •

وقلت للدكتور البصير اني علمت من تتبعي لنشاطكم في ثورة العشرين ان لكم مساهمة كبيرة في مجال الصحافة حيث كنتم تكتبون المقالات الحماسية وتهاجمون فيها الاستعمار وقوات الاحتلال فالذي اريد ان اعرفه ما اسم هذه الجريدة وكيف اتجهت اليها ؟ فقال :

كانت هناك جريدة واحدة هي لسان حال الثوار والثورة هي (جريدة الاستقلال البغدادية) وظلت تواصل نشاطها حتى عطلتها سلطات الاحتلال في ٩ شباط ١٩٢١ • والقي القبض على الاستاذ البدري ومحرريها ومنهم قاسم العلوي وعلي ، والقتنا السلطات البريطانية في السجن وقدمونا للمحاكمة امام قاضي بريطاني منفرد وبعد مرافعات عديدة حكم على مدير الجريدة بالحبس ستة اشهر وحكم على الجريدة بالتعطيل واضاف يقول : وبقيت في السجن فترة طويلة حتى قدوم الامير فيصل الاول ملكا على العراق فأفرج عني وقيدوني

بكفالة نقدية وان ابقى تحت مراقبة الشرطة سنة واحدة • وهنا سألته : كيف تتصرف وأنت تحت مراقبة الشرطة ؟ فقال لي :

في الواقع ان هذه القيود التي فرضتها على قوات الاحتلال البريطاني لم تفت في عضدي ولم استكن بل بالعكس فقد زادتني ايمانا بأن الجهاد الاعظم قد بدأ الان • كان في ذلك الوقت الشعور الوطني يغلي في العروق لان الثورة لم تحقق اهدافها التي قامت من اجلها وان الدماء والاموال التي هدرت ذهبت هباء • وعلى اثر هذا ظهرت دعوة بين الوطنيين لابد من تأسيس حزب وطني يبقى مع الشعب ولا يبتعد عنه ويظل يغذي حماسه وشعوره الوطني ، وقد تزعم هذه الدعوة المرحوم جعفر ابو التمن فأسس الحزب الوطني العراقي في بغداد سنة ١٩٢٢ فكنت عضوا في اللجنة التأسيسية وكان قد تأسس في الوقت نفسه حزب وطني آخر هو حزب النهضة ، وقد اخذ الحزبان الوطنيان يقومان بالتصدي للاجراءات الحكومية غير المسؤولة وغير الواعية ، فأخذا يطالبان بانتخابات المجلس التأسيسي ليسن القوانين وتأليف وزارة من العناصر الوطنية في البلاد وعدم عقد اية معاهدة مع بريطانيا وغيرها •

ثم سألت الدكتور البصير : علمت ان السلطات البريطانية قد القيت القبض عليكم ونفتكم الى جزيرة هنجام مع مجموعة من رفاقك في العقيدة ، ما الاسباب ومن الذين كانوا معكم في رحلة المنفى هذه ؟

فقال الدكتور البصير :

في يوم ٢٣ آب ١٩٢٢ حلت الذكرى الاولى لتتويج الملك فيصل ملكا على العراق ، فقرر حزبنا وحزب النهضة ان ننتهز هذه الفرصة ونقوم بمظاهرة سلمية الى البلاط الملكي لتهنئة الملك فيصل وفي الوقت نفسه عرض بعض المطاليب التي تحقق للشعب العراقي بعض المكاسب ، وقد انتدب الحزبان ممثلين عنهم ليلقيا خطبة في البلاط الملكي امام ممثل الملك فيصل وكنت انا

ممثلا للحزب الوطني والسيد محمد حسن كبة ممثلا لحزب النهضة وفعلا سارت المظاهرة في الشارع حتى احتشدت في فناء البلاط وقد ارتقيت السلم واخذت بالقاء كلمتي نيابة عن الحزب الوطني وحضر الاستاذ فهمي المدرس كبير امناء الملك لسماع كلمة الاحزاب وبينما كنت القي خطابي جاء السر برسي كوكس المندوب السامي وتصاحبه المس بيل لتهنئة الملك بمناسبة ذكر تتويجه وعندما شاهدتهم جموع المتظاهرين هاجت وماجت وضرخ هاتفا (ليسقط الانتداب) وقد اغضب هذا العمل السر برسي كوكس واعتبر هذا العمل موجها ضده بالدرجة الاولى وقد حاول ضرب الوطنيين ضربة قاصمة ولكنه لم يستطع وظل يتحين الفرص حتى مرض الملك فيصل واجرى عملية الزائدة الدودية واستقالت في هذا الوقت وزارة النقيب الثانية فاستلم برسي كوكس السلطة في البلاد فعمد الى غلق الحزبين (الوطني والنهضة) واغلق جريدتي (الرافدين والمفيد) كما اعتقل سبعة اشخاص هم :

(جعفر ابو التمن وعبدالرسول كبة وسامي خوندة والشيخ حبيب الخيزران وحمدي الباجه‌جي وامين الجرجفجي وانا) ونفاهم الى جزيرة هنجام . اما كيفية اعتقالي فلها قصة اخرى :

عندما القي القبض على جعفر ابو التمن وحمدي الباجه‌جي سرى امر اعتقالهما في انحاء بغداد بسرعة البرق ودارت معه اشاعة قوية مفادها ان الملك فيصل قد مات من جراء العملية ، فهلع الشعب هلعا شديدا من هول تلك الاخبار وكنت يومها في دائرة محافظة بغداد فجاءني احد رجال الشرطة واعلمني ان مدير الامن العام يريد مقابلتي فأدركت ما اراد وذهبت الى مقره ويصحبني مفوض الشرطة . ولما جئت مديرية الامن العام قابلني الميجر جرادد فأعلمني بأنني مسافر في الحال الى حيث يقيم جعفر جلبي وحمدي الباجه‌جي فأجبته بانه لا بأس ثم ركبنا سيارة اقلتنا الى مقر الطيران في (الهنيدي) (معسكر الرشيد حاليا) حيث اجتمعت بالزميلين ثم نقلنا الى موضع اخر ،

وركبنا في الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم قطارا خاصا اقلنا الى مدينة البصرة وكنا بحراسة ثمانية وعشرين جنديا بريطانيا ، وقد اودعنا سجن البصرة وبقينا في هذا السجن نحوا من ستة وعشرين يوما اعقبها السفر الى هنجام .

جزيرة هنجام :

ومن المفيد ان نعطي فكرة عن جزيرة هنجام المنفى السياسي النائي كما وصفها لوريمر حتى يتسنى للقارىء ان يكون فكرة واضحة عنها وعما يلاقي المبعدون من عنف واضطهاد وتعذيب .

تقع هذه الجزيرة في مدخل مضيق هرمز في الخليج العربي وبمحاذاة الساحل الجنوبي لجزيرة قشم بالقرب من نقطة خارجو ويفصل بينهما مضيق اتساعه ميل واحد وهي تشكل قاعدة بحرية ممتازة لمراقبة التحركات البحرية وقد عرفت لدى الجيل السابق من البحارة البريطانيين باسم انجوم واحيانا بأسم انجر[٣٣] . ويبلغ طولها خمسة اميال ونصفا من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وعرضها حوالي ثلاثة اميال .

وتتكون الجزيرة من مجموعة من التلال الوعرة التي تتناقص بالتدريج من الشمال الى الجنوب واعلى قممها هو جبل المائدة ويبلغ ارتفاعه ٣٥٠ قدما ويبعد ميلا واحدا عن طرف الجزيرة الشمالي . ومظهرها المتواضع من البحر يوضح حقيقة طبيعتها المتجانسة فهي صخور سوداء قاحلة تتخللها هنا وهناك خيوط حمراء واخرى بيضاء .

اما مناخها : ففي الصيف تكون الحرارة كبيرة جدا ولا يمكن احتمالها الا بصعوبة جدا وتزيد من وطأتها الرطوبة في اشهر حزيران وتموز وآب ، يصبح الجو خانقا لزجا . كما ان الامر يصبح فوق الاحتمال بالقرب من الشاطيء حيث تنبعث الروائح الكريهة الناتجة عن تعفن الحشائش البحرية .

(٣٣) لوريمر : دليل الخليج : حـ٢ ص٨٠٤ .

يبدأ سقوط المطر في تشرين اول ، وينتهي في مايس • وتنبت في الجزيرة اشجار السنط والبر وبعض الحشائش في موسم المطر وفي جزيرة هنجام ثلاثة اماكن مأهولة هي :

١ ـ محطة التلغراف البريطانية :

اعيد تأسيسها في الطرف الشمالي للجزيرة في شهر نيسان عام ١٩٠٤ بعد ان اهملت مدة ١٣ عاما • وتقع ابنيتها على صخرة تبعد ربع ميل عن الساحل الشمالي للجزيرة ويقع جنوب المحطة واد كبير عرضه ٥٥٠ ياردة وبه بئران او ثلاثة تستعمل المحطة مياه افضل هذه الآبار • ويبلغ عمق الماء حوالي ١٨ قدما ويتراوح طعمه بين الحلو والضارب للملوحة • وتقع الى الشرق من محطة التلغراف قرية اسمها (مشة) تتكون من اكواخ قليلة يسكنها مستخدمو ادارة التلغراف من الاهالي الذين جلبوا من جاشك ولكنهم في الاصل من باسيدو •

٢ ـ قرية هنجام :

هي اكثر الاماكن سكانا في الجزيرة وتقع في ارض منبسطة على الساحل في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة • ويزرع السهل المجاورة له جميعه وهي قرية عربية تماما • وهي نظيفة وحسنة البناء •

وتتألف من (٢٠٠) منزل وبها ٨ او ٩ بساتين ملأى باشجار الفواكه وترويها آبار على عمق ٢٠ الى ٢٥ قامة • ومحاصيلها الرئيسية هي القمح والشعير والبصل واليقطين • وينتمي عرب هنجام الى قبيلة (بني ياس) التي تسكن الساحل الغربي من الخليج • وتعاملهم مع الساحل العربي وخصوصا مع دبي وهم يتمتعون بالرجولة والذكاء ولديهم روح الاصالة بالاضفافة الى سخائهم المفرط ويزاولون مهنة صيد اللؤلؤ وهي تشكل اهم مصادر رزقهم • ويتغيب رجال القرية عنها ويسافرون الى مغصات اللؤلؤ العربية طيلة الموسم في شهر حزيران الى تشرين اول كل عام • ولا يعودون الى

القرية الا بعد ان يبيعوا ما جمعوه من اللؤلؤ الى التجار الهنود في ساحل عمان المتصالح او في النجة • وتعمل نساء القرية اثناء هذا الموسم في ميناب والمناطق الاخرى لقطف التمور وجمعها • ويعدن الى بيوتهن بنفس الوقت الذي يبدأ فيه اقاربهن بالعودة من صيد اللؤلؤ • ولذا تصبح قرية هنجام مهجورة تماما في فصل الصيف باستثناء الكهول والطاعنين في السن •

٣ ـ قرية غيل :

وهي امتداد لقرية هنجام وتقع على الساحل الغربي على بعد ثلاثة اميال جنوب غرب محطة التلغراف وثلاثة اميال شمال غربي قرية هنجام وفيها ثلاثون منزلا • ويعتمد السكان في معيشتهم على صيد اللؤلؤ ، وفيها بئر مياهها عذبة على بعد خطوات قليلة من شاطيء البحر ، وتوجد اربع حدائق مسورة على بعد مئة ياردة من شرق القرية • وتزرع بها اشجار الفواكه والبصل وتوجد ثمانية ابار قليلة العمق بين الحدائق • وهناك بحيرة اصطناعية بينها وبين القرية لتخزين مياه الامطار ، وموارد المياه في غيل كثيرة جدا •

وتحصل المراكب المحلية التي ترسو بين هنجام وقسم على المياه من هذه القرية بواسطة المراكب •

ولا توجد بالاضافة الى محطة التلغراف وقريتي هنجام وغيل أي مستوطنة اخرى ويوجد في الجزيرة مرسى مهما يدعى (خليج مشة) بين هنجام وقشم وتتردد عليه معظم مراكب المنطقة لتتزود بالمياه او لتحتمي من رياح الشمال •

يتولى السلطة الرئيسية في الجزيرة شيخ قرية (هنجام)(٣٤) •

اما البصير فيصفها بشكل مغار لما وصفها به لوريمر فيقول :

(٣٤) لوريمر : دليل الخليج : حـ٢ ص ٨٠٥ـ٨٠٨ .

كانت جزيرة هنجام احدى الجزر النائية التي لها شأن كبير في وجودها في مضيق هرمز • وقد اتخذت السلطة الانكليزية منها منفى لاحرار العراق وسجنا لهم مؤلما وذلك عندما اصبحت جزيرة قاحلة لا يوجد بهـا من توطن سوى عائلتين يعيشان على الاسماك الجافة ويشربان من ماء البئر المسمى (آب‌جاه) وقد برز فيها رجل اسمه الشيخ (احمد) وكان هذا يزودنا بالماء من البئر لغسل الالبسة والاستحمام •

كانت السلطة الانكليزية قد اعدت لنا فيهـا بعض الغرف التي كان يستعملها عمال الجيش البريطاني لمارسة نقل الفحم الحجري الذي اتخذت مركزا لتوزيعه الى البواخر خلال الحرب العالمية الاولى ومحاطة بالاسلاك الشائكة وقد تغيرت هذه الجزيرة عبر التاريخ فلم يبق فيها سوى اربع نخلات غير مثمرة وسدرة واحدة وثلاث ابار مالحة الماء • كانت شديدة الحر ، رديئة الجو خالية النبات •

وقال ايضا :

تولى امر اعاشتنا في هذه الجزيرة متعهد اسمه السيد ابراهيم كلداري وهو من سكنة بندر عباس يقدم لنا الطعام • وقد خصص لنـا طباخا مع معاونه واربعة من الخدم يقومون بما يلتزم من تأمين راحتنا حيث المأكل والمشرب وغسل الملابس وتنظيف السكن وتنظيمه ، كما خصص لنا اثنين من الهنود يقومان بتنظيف الغرف صباح كل يوم ولنا مطعم خاص في وسط احدى الغرف تتناول فيه وجبات طعام •

أما نوعية الاكل فكانت من النوع الجيد جدا ، وكان المتعهد نفسه يزورنا بين حين واخر للاطلاع على اعمال المشرفين على راحتنا وكل ما كان يسلي بها النفس كنا نتجول في اول النهار واخره على ساحل البحر على ان يكون المتجولون بخفارة بضعة جنود هنود •

وكان من اشق ما عانيناه هناك منع السلطة وصول الجرائد والمجلات والكتب الينا ، وكثيرا ما الح المنفيون على قنصل بندر عباس الذي كانـوا تحت ادارته بأن يسمح لهم ولو بوصول جريدة واحدة ولكنه كان يرفض ذلك . وفي الساعة العاشرة صباحا من يوم الثلاثاء ٥ تشرين الثاني جاء الى الجزيرة السير پرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق في اثناء عودته من مؤتمر العقير(٣٥) . وبعد ان جلس معنا قال :

ان الحكومة العراقية تطلب عودتكم وتريد لكم الخير ولكن شغبكم واعمالكم عرقلت ذلك(٣٦) فقاطعه جعفر ابو التمن قائلا : ان الذي تعتبرونه شغبا هو الوطنية في نظرنا فنحن نريد الدفاع عن الاستقلال بلادنا وانتم تريدون الدفاع عن استعماركم .

وقال برسي كوكس ايضا : سمحت الحكـومة لاربعة منكم بالعـودة الى العـراق وهـم :

سامي خوندة ، امين الجرچفجي عبدالرسـول كبه والشـيخ حبيب الخيزران والتفت الى جعفر ابو التمن وحمدي الباجةجي وانا وقال : اما انتم فسيطلق سراحكم على ان تختاروا الجهة التي تريدون البقاء فيها مؤقتا فقلنا له اننا نفضل الذهاب الى مصر . فقال لنا : ان الهـند اقرب اليكـم من مصر والبواخر مستمرة بين البصرة وبومباي فأرى ان تذهبوا اليها . فلم نوافق وبقينا مصرين على طلبنا ثم سألنا كوكس ايضا عن موعد وصول البواخر التي تمر بالجزيرة الذاهبة من البصرة الى بومباي وبالعكس . فقلنا له تمر الباخرة

---

(٣٥) كانت قد عقدت في مايس ١٩٢٢ معاهدة المحمرة بين العراق وابن سعود وانكلترا . وصادق الملك فيصل الاول على المعاهدة . وامتنع ابن سعود عن تصديقها . فرأت الحكومة البريطانية ان لابد من استمالة امير نجد لاقرار حدود ثابتة بين العراق ونجد يحترمها الطرفان فمهدت لعقـد مؤتمر العقير في الخليج حضـره امير نجـد في ٢٨ تشـرين الثاني ١٩٢٢ ووقع بروتوكولين يلحقان بالمعاهدة المذكورة لتصبح نافذة المفعول .

(٣٦) كانت قد تشكلت وزارة عبدالمحسن السعدون الاولى في ٢٠ تشرين الثاني

بالجزيرة كل يوم احد من كل اسبوع قادمة من بومباي الى البصرة ، وكل يوم ثلاثاء من كل اسبوع تأتي من البصرة الى بومباي وبعد ان بقي عندنا ساعة تقريبا ركب الباخرة ثم عاد الى البصرة .

وقال البصير : ومن الامور التي اذكرها في هذه المقابلة لبرسي كوكس ان عبدالرسول كبة قال للمندوب السامي (اما تستحي بريطانيا ان تنفي رجلا مثلي كهلا جاوز الثمانين من عمره) فابتسم بوجهه وقال له :

ستعودون الى بغداد قريبا ، غير ان ذلك لم يتحقق وبقينا على حالتنا هذه حوالي اثنين وخمسين يوما دون ان يرد الينا فيها اي خبر بالعودة . وبعد ان قضت هذه الايام زار المنفيين القنصل البريطاني العام في بندر عباس وهو المسؤل الرسمي عن المنفيين والمشرف على احوالهم ومعه اوراق تعهد وطلب من خمسة من المنفيين وهم عبدالرسول كبة وامين الجرجفجي وحبيب الخيزران وسامي خوندة وانا التوقيع عليها وقد جاء في التعهد (اقسم بالله ان اتبع سياسة حكومة جلالة ملك العراق واتحاشى كل حركة تخل بالامن العام وتهيج الافكار ضد الحكومة) فوقع عليها ثلاثة من الخمسة ورفضت انا والشيخ حبيب الخيزران التوقيع على هذا العهد .

فأفهمتنا الحكومة بعد يومين بأن رفقاءنا الثلاثة سيسافرون الى بغداد وان جعفر جلبي وحمدي الباجه‌جي سيسافران قريبا الى مصر ، واننا ان امضينا العهد عدنا الى بغداد وفي خلافة سنبقى معتقلين في هنجام الى ما شاء الله . فرأى الشيخ حبيب نفسة مضطرا فوقع العهد وبقيت انا مصرا على رأيي في عدم توقيع ذلك الصك .

وقد رجع الينا قنصل بندر عباس في الجزيرة في يوم ٢٢ جمادي الاخر الموافق ٩ شباط فهنأ العائدين الى بغداد بالعودة الى الوطن وبارك لجعفر جلبي وحمدي الباجه‌جي بالخلاص من هنجام والسفر الى مصر . ثم التفت اليّ وقال لي : ابلغك انذار الحكومة بالبقاء في هنجام ان لم توقع العهد ؟.

وكنت قد ارسلت برقيتين وكتابين الى الملك فيصل والى المعتمد السامي طلبت فيهما اعفائي مو توقيع ذلك العهد على ان اعتزل السياسة والاحزاب فاخبرني القنصل ان الحكومة لا تريد ان تصغي الى شيء مما قلت : ثم قال :

ــ بعد ان نهض ــ انني ذاهب وسوف اعود بعد ساعة فاذا لم توقع العهد فانك ستبقى في هنجام الى الابد • ولما خرج بدأ الرفقاء يلحون عليّ بتوقيع العهد قائلين : ان بقاءك في هنجام عبارة عن الحكم عليك بالاعدام ولم يزالوا بي حتى وافقت نزولا عند رأيهم • وعندما رجع القنصل الينا بعد ساعة حاملا بيده التعهد فلطختها بتوقيعي •

وقد غادرنا هنجام يوم ٢٣ جمادي الاخر الموافق ١٠ شباط بعد ان قضينا فيها اربعة اشهر وعدة ايام •

وقد وصلنا البصرة بعد مضي عشرة ايام فأنزلنا الى الميناء وسيق رفقائي الى محطة القطار ، وامرت بالبقاء في البصرة فاقمت في سجن البصرة حتى يوم ٨ شوال الموافق ٢٤ مايس بعدها سمح لي بالعودة الى بغداد •

اما جعفر جلبي وحمدي الباجهجي فقد بقيا في هنجام رغم التأكيدات العديدة لهم ولاسرتهم بانهما سيسافران الى مصر • وقد عاد حمدي الباجهجي من هنجام فوصل البصرة في اوائل نيسان وبقي جعفر ابو التمن وحيدا في هنجام قضى فيها حوالي شهرا واحدا ثم سمح له بالعودة الى العراق ، وقد وصل البصرة صباح يوم ١٦ رمضان الموافق ٢ ايار •

ومن الجدير بالذكر ان نضيف الى قول البصير : ان السبب الذي حدا بالمندوب البريطاني في القاهرة على عدم موافقته بالسماح لجعفر ابو التمن وحمدي الباجهجي بالذهاب الى مصر يرجع الى ان السلطات البريطانية في مصر قد اعتقلت في تلك الفترة من الزمن الزعيم الوطني سعد زغلول للمرة الثانية وصحبه في يوم الجمعة الموافق ٢٢ ديسمبر/كانون اول ١٩٢١ ونفتهم

الى جزيرة سيشيل[٣٧] في المحيط الهندي • فأدى ذلك الى اتساع لهيب الثورة في مصر من جديد ضد سلطات الاحتلال البريطاني واخذ حـزب (الوفد) المصري يقود هذه الثورة العارمة ، فاعتقلت سلطات الاحتلال عددا كبيرا من الوطنيين المصريين وعطلت عدد من الصحف الوطنية وهي :

جريدة الاخبار ، جريدة المحروسة ، جريدة النظـام ، جريدة الامـة وجريدة المقطم •

وامام هذا الهياج الجماهيري العارم اضطرت السلطات البريطانية الى اخلاء سبيل هؤلاء المعتقلين من انصار سعد زغلول ، وكذلك استقالت وزارة عدلي يكن ، لفشلها السياسي •

وعلى اثر هذه الثورة صدر تصريح ٢٨ فبراير / شـباط ١٩٢٢[٣٨] لتهدئة الوضع الملتهب ، ولكن الحزب الوطني المصري رفض هـذا التصريح لانه لا يحقق لمصر استقلالها ووحدتها مع السودان وسيادتها وظل الشـعب المصري يعارض الاحتـلال الانكليزي لبلاده بكـل الوسـائل وتشكلت حكومات واستقالت حكومات ، وظل الرأي العام المصري مضطربا قلقا على

(٣٧) وهي مجموعة من الجزر النائية وعددها ٩٠ جزيرة تقع في المحيط الهندي وفي الشمال الشرقي لجزيرة مدغشقر . تبلغ مساحتها ١٠٧ ميل مربع . احتلتها فرنسا في القرن الثامن عشر ، وانتزعتها بريطانيـا فيما بعـد واصبحت مستعمرة تابعة لها الى ان نالت استقلالها . ويطلق اسـم (سيشيل) على جزر الارخبيل كله واهمها جزيرة (ماهي) التي نفـي اليها الزعيم سعد زغلول وصحبه وهم : فتح بركات ، وعاطف بركات ، ومصطفى النحاس ، وسينون حنا ، ومكرم عبيد . وقد ابحرت فيهـم احدى الناقلات الحربية يوم ٢٩ كانون اول سـنة ١٩٢١ فاقلتهم الـى عـدن وبعد أن لبثوا بها مدة من الزمن نقلوا الى جزائر سيشيل في شهر آذار/مارس . وظلوا منفيين بها . ثم نقل سعد زغلول الى جبل طارق مراعاة لصحته التي تدهورت في تلك الجزيرة . وغادرهـا يوم ١٨ آب ١٩٢٢ . انظر : عبدالرحمن الرافعي : في اعقاب الثورة المصـرية حـ١ ص٣٠ .

(٣٨) انظر : نص التصريح : في كتابه في اعقاب الثورة المصرية حـ١ ص٣٥ •

مصير البلاد وشمل القلق مصير الدستور ايضا ، اذ تلاحقت المؤامرات والتدابير للعبث به وتأخير صدوره • وقد تشكلت وزارة يحيي باشا ابراهيم في ١٥ آذار / مارس / ١٩٢٣ وكانت مشكلة اصدار الدستور من المشاكل الهامة التي واجهتها •

وبعد مناقشات طويلة استغرقت عدة اشهر من المعارضة ، صدر الدستور في ١٩ ابريل / نيسان / ١٩٢٣ • وفي غمرة هذه الاحداث رأت الحكومة البريطانية تحت ضغط الحركة الوطنية المصرية ، ان ليس من الحكمة ولا من حسن السياسة بقاء سعد زغلول في الاعتقال • وان استمرار اعتقاله يزيد في الثورة والهياج في مصر ، ويحول دون تهدئة الخواطر بل ربما كان سببا في كثرة الجرائم السياسية • فقررت الافراج عنه يوم ٢٧ آذار قبل صدور الدستور وكان يومها معتقلا في جبل طارق وتبع ذلك الافراج عن بقية المعتقلين السياسيين في جزيرة سيشيل من جماعة سعد •

ومن المفيد ان نضيف الى ما ذكره محمد مهدي البصير بشأن اعتقالهم في جزيرة هنجام ما جاء في وثائق البلاط الملكي وبعض المراجع التي تطرقت لهذا الموضوع •

قلنا سابقا : لم يبق في جزيرة هنجام من المنفيين غير جعفر ابو التمن وحمدي الباججي اللذين استبعدا من توقيع التعهد وقررا أن يذهبا الى مصر وبقيا يعيشان على هذا الامل •

وعلى هذا الاساس جرت مراسلات عديدة ومطولة بين المندوب السامي البريطاني في العراق ورئيس الوزراء عبدالمحسن السعدون حول مصير جعفر ابو التمن وحمدي الباججي • فقد وجه سكرتير المندوب السامي بتاريخ ٣ آذار ١٩٢٣ كتابا الى رئيس الوزراء ، عبدالمحسن السعدون أعرب فيه

عن رغبة السير هنري دوبس[٣٩] بمخاطبة رئيس الوزراء حول موضوع جعفر ابو التمن وحمدي الباجهجي حيث كانت النية في البداية السماح لهما بالذهاب الى مصر ولكن المندوب السامي البريطاني في القاهرة بين ان دخولهم القطر المصري ليس مستحسنا في الوقت الحاضر .

لذلك فقد استشار السير هنري دوبس السير برسي كوكس في كيفية تدبير امرهما فوافقه كوكس على عدم وجود اعتراض على عودة حمدي الباجهجي الى العراق بشرط ان يعطي تعهدا خطيا بحسن السلوك في المستقبل وبناء على ذلك اوعز الى سكرتير المندوب السامي للالتماس من رئيس الوزراء لعرض الامر على مجلس الوزراء لاصدار قرار فيما اذا كان العهد الذي قطعه المنفيون الذين سبق لهم السماح بالعودة يعتبر كافيا فيما يتعلق بحمدي الباجهجي او انه من المناسب ان يقطع عليه عهدا بشكل اخر ، او من الضروري تعزيز هذا العهد بضمانة مالية بأي مبلغ كان .

اما فيما يتعلق بجعفر ابو التمن فقد اتفق برسي كوكس وهنري دوبس ان افضل طريقة للخلاص منه في الوقت الحاضر هي أن يسمح له بالذهاب الى أي مكان يختاره في اوربا . ويقترح سكرتير المندوب السامي في ختام رسالته ان تتخذ الحكومة الاجراءات اللازمة في هذا الخصوص حالا[٤٠] .

عرض كتاب سكرتير المندوب السامي في جلسة مجلس الوزراء في ٥ اذار ١٩٢٣م الذي يقترح فيه اعادة حمدي الباجهجي من المنفى في جزيرة هنجام الى العراق ، والموافقة على سفر جعفر ابو التمن الى أي بلد يشاء في

(٣٩) كان هنري دوبس مساعدا للمندوب كوكس . وصار في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٣ وكيلا للمندوب السامي بغياب السير برسي كوكس . ثم اصبح مندوبا ساميا ، بالاصالة عندما تقاعد السير برسي كوكس في ٣٠ مايس ١٩٢٣ .

(٤٠) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية : حـ١ ص١٢٩ .

اوربا • فقرر المجلس ــ بناء على ذلك ــ اعادة حمــدي الباجهجي على ان يؤخذ منه تعهد خطي كالذي اخذ ممن سبقه من المنفيين الخمسة ، واستبعد المجلس اخذ كفالة نقدية او اية وثيقة اخرى •

اما بخصوص جعفر ابو التمن فقد قرر مجلس الوزراء ان يؤذن لــه بالعودة الى العراق لعدم استطاعته العيش في اوربا ، وعدم وجود محذور من عودته ، على ان يؤخذ منه تعهد خطي كالذي اخذ من زملاءه المنفيين(٤١) •

ولما كانت قرارات مجلس الوزراء لا تعتبر ملزمة ما لم يصــادق عليها المندوب السامي اولا والملك فيصل ثانيا • لذا ارسل مجلس الوزراء قراره الذي اتخذه في ٥ آذار ١٩٢٣ الى المندوب السامي ، بعث سكرتير المندوب السامي رسالة الى رستم حيدر ســكرتير الملك الخاص بتاريخ ٨/٩ آذار ١٩٢٣ ، ذكر فيها انه قد لفت نظر السير هنري دوبس الى المادة (٦) مــن مقررات مجلس الوزراء في جلســته المنعقــدة في ٥ آذار ١٩٢٣ بأن مجلس الوزراء قد قرر انه من الممكن رجوع حمدي الباجهجي الى العــراق بدون خطــر •

وان جعفر ابا التمن يمكن كذلك الرجوع بدلا من السماح له بالذهاب الى اوربا ، كما كان قد اقترح •

وعلى هذا الاساس فقد تذاكر السير هنري دوبس مع الملك فيصــل في هذا الامر في يوم ٧ آذار ١٩٢٣ ، واقترح السير دوبس على الملك فيصل انه ليس من الصواب ان يسمح لجعفر ابي التمن بالعودة الى العــراق قبل مجيء السير برسي كوكس الذي له علاقة خاصة بالاحــداث التي ادت الى ابعاده ، ويرى هنري دوبس انه بما ان جعفر ابا التمن هو احــد الزعمــاء المعارضين للمعاهدة المعقودة بين الحكومة البريطانية والملك فيصــل • فأن

(٤١) مقررات مجلس الوزراء • بتاريخ : كانون الثاني ، شباط ، آذار ١٩٢٢ ص٨٤ فقرة : ٦ •

عودته في هذا الوقت تؤثر على مصالح بريطانيا لذا يرى هنـري دوبس ان يوقف الملك فيصل العمل بهـذا القرار فيما يختص بجعفر ابي التمن الى ان تسنح الفرصة لمفاوضة السير برسي كوكس بهذا الامر[٤٢] .

امتنع الملك فيصل عن تصديق الفقرة الاخيرة من قرار مجلس الوزراء المتعلقة بعودة جعفر ابي التمن كما هو موضـح في كتاب الديوان الملكي المرقم ١٠٥ في ١٠ آذار ١٩٢٣[٤٣] .

والحقيقة ان الملك فيصـل كان راغبا في عودة جعفر ابي التمن ولكنه كان واقعا تحت تأثير المندوب السامي ويبدو ذلك واضحا في الرسالة التـي وجهها سكرتيره الخاص رستم حيدر الى سكرتير المندوب السامي جوابـا على رسالة المندوب السامي المؤرخة بتاريخ ٩/٨ آذار ١٩٢٣ ذكر فيها ان الملك فيصلا كان يشترك مع مجلس الوزراء في قـراره بخصوص جعفر ابي التمن ولكنه أخر الموافقة اجابة لرغبة السير هنري دوبس وحسب المذاكـرة الشفهية معه الى ان يصل السير برسي كوكس كما يؤمل في ١٨ آذار ١٩٢٣ . واوضح سكرتير الملك الخاص انه في حالة احتمال تأخير وصول السير برسي كوكس ، فأن الملك يرغب في أن يطلب السير هنري دوبس موافقة السـير برسي كوكس على رجوع جعفر ابي التمن اسـتنادا الى كفالة الحكومة لـه انه لا يشتغل في السياسة ، وبذلك لا يبقى مجـال لما يخشى مـن الاضرار بمصالح الحكومة البريطانية[٤٤] .

---

(٤٢) م . ح . و : البلاط الملكي . رقم الملفة ج/٢/ج ملاحظات المعتمد السامي على جلسات مجلس الوزراء لسنة ١٩٢٣ . ورقة ٣١ .

(٤٣) مقررات مجلس الوزراء ، للاشـهر : كانـون الثاني ، وشـباط وآذار ١٩٢٣ ص ٨٤ .

(٤٤) م . ح : البلاط الملكي . رقم الملفة ج/٢/ج ورقة ٢٩ .

الفصـــل الثـــالث

الشيخ حبيب الخيزران

في صبيحة يوم الاحد الموافق ١٩٧٩/١١/٢١ ، اليوم الاول من محرم الحرام سنة ١٤٠٠هـ • ركبت سيارتي قاصدا مدينة (دلي عباس)[١] وتسمى المنصورية اليوم الى محل اقامة الشيخ حبيب الخيزران يرافقني في سفرتي هذه نجله (مازن) وبعد مسيرة ساعة تقريبا وصلنا مدينة دلي عباس ، وهي مدينة نائية من مدن محافظة ديالى •

وفي مسكن متواضع يقع على نهر الخالص يسكن الشيخ حبيب الخيزران رئيس قبيلة العزة التي ترجع في اصولها القبلية الى عشيرة زبيد القحطانية اليمانية الاصل وهو من رؤساء القبائل الذين لعبوا دورا بارزا في السياسة العراقية الحديثة طيلة نصف قرن من الزمن •

ولما وصلنا الدار وجدته جالسا يلعب (الطاولي) تحيطه مجموعة من اهله وذويه ، وكان منهمكا في اللعب ويمارسه بشغف ولهفة ولعلها سلوته الوحيدة بعد ان ضعفت قواه وهرم • فقدمني اليه ابنه مازن ، فنهض الرجل وصافحني وسلم عليّ ورجع الى لعب الطاولي • وبعد فترة قصيرة من الزمن قال له نجله : يا والدي ان الدكتور محمد حسين الزبيدي استاذ التاريخ في كلية التربية ، يريد ان يسألك عن ثورة العشرين ، فاجاب الشيخ حبيب على الفور ببيتين من الشعر للشاعر المرحوم الرصافي وموجها كلامه نحوي قائلا :

---

(١) دلي : كلمة تركية معناها المجنون . وعباس اسم الشخص فيكون معنى الكلمة عباس المجنون .

وما كتب التاريخ في كل ما روت   لقرائها الا حديث ملفق
نظرنا لامر الحاضرين فرابنا   فكيف بامر الغابرين نصدق(٢)

الشيخ حبيب رجل نحيف البنية قصير القامة ، حاد البصر ، واضح الذكاء ، مرح بصفة دائمة ، يحفظ من الشعر والاقوال المأثورة الشيء الكثير ، ولم يفقد من حواسه شيئا غير حاسة السمع التي جعلت الحديث معه فيه شيء من الصعوبة ، ولكثرة تذكره للاحداث واحاطته بها تجده يستطرد كثيرا في حديثه وما زال يتذكر الاحداث السابقة بتفاصيلها دون ان ينسى منها شيئا ولكنه ينسى الاحداث القريبة بسرعة .

عرفت الشيخ حبيب الخيزران من خلال تتبعنا لتاريخ العراق الحديث والتقيت معه على صفحات الكتب التي ارخت تلك الحقبة التي كان له فيها دور او نصيب . فالذي يقرأ عن ثورة العشرين يجد له ولقبيلته العزة اثرا بارزا في سير الأحداث والمعارك في لواء ديالى بصورة خاصة او نفيه مع صفوة ممتازة من ابناء العراق الذين تصدوا للاحتلال البريطاني وقاوموا عقد المعاهدات الجائرة التي كان يزمع الانكليز عقدها مع العراق لتكبيله بقيود العبودية والذل الى (هنجام) في الخليج العربي ، وغيرها من المواقف السياسية العامة الاخرى التي يذكرها لهم التاريخ بالفخر والاعتزاز .

ان من أهم الاسباب التي شدتني الى لقاء الشيخ حبيب الخيزران هو انه ثاني اثنين من الاحياء الذين نفتهم السلطات البريطانية الى جزيرة (هنجام) سنة ١٩٢٢م والشخص الاخر هو الاستاذ سامي خوندة اطال الله في عمرهما ومتعهم بالصحة والعافية(*) .

وقبل ان اتعرض الى حياته السياسية لابد من القاء الضوء على حياته الاولى حتى تعين القارىء على فهم طبيعة حياته هذه التي هيأته لان يلعب هذا الدور السياسي البارز .

---

(٢) انظر : ديوان الرصافي : سنة ١٩٥٩ . ص ٣١٦-٣٥٧ .
* توفي الشيخ حبيب في شهر شباط سنة ١٩٨٠ في المنصورية (دلي عباس).

هو حبيب بن خيزران بن عبدالله بن المحمد بن المروح بن الحاج فارس ابن العرار بن البايزيد بن الدرويش بن العلي بن السبع •

ولد في منطقة (خر الوحش) في العظيم من لواء ديالى حوالي سنة ١٨٩٥م ونشأ فيها وترعرع ، ولما بلغ الرابعة من عمره عين له والده (ملة) معلما ومؤدبا فعلمه مبادىء القراءة والكتابة والحساب مع ابناء عمومته في القرية ولما بلغ سن الصبا ارادت الحكومة العثمانية ان ترسله الى تركيا للدراسة والالتحاق بالمدرسة العسكرية هناك على عادة ابناء شيوخ العشائر الذين ترسلهم الدولة الى اسطنبول للدراسة على حسابها وتجعل منهم رهائن في الوقت نفسه لتضمن ولاء قبائلهم ورئيسها للدولة العثمانية • ولكن الشيخ الخيزران لم يوافق على ارساله الى اسطنبول لانه ولده الوحيد ولا يستطيع فراقه واغلب الظن ان هذا مجرد عذر اعتذر به وربما عرف حقيقة هذه البعثات واغراضها وما يراد من ولائها • ولكنه وافق في الوقت نفسه على ان يرسل ابن عمه حسن غضيبة الى تركيا بدلا عنه •

اراد الخيزران ان ينشيء ولده نشأة دينية لان الرجل كان شيخ قبيلة وشيخ دين ايضا ، يهتم بأمور الدين ويتقدم اهله وذويه في الصلاة ويقف فيهم مؤذنا وخطيبا • يقول حبيب (كان والدي رجل دين وارد ان ينشأني نشأة دينية ، وعلى الرغم من انه شيخ قبيلة كان يهتم بأمور الدين ويصلي في اهله اماما • وكان يعلمني الصلاة ويشجعني على معرفة شعائر الدين ويجعلني اماما للمصلين في بعض المناسبات الدينية) • ويقول ايضا :

« وعلى هذا الاساس ارسلني والدي الى مدرسة دينية في بغداد مع عدد من شباب قبيلة العزة تعود هذه المدرسة الى عبدالوهاب النائب[٣]

(٣) الشيخ عبدالوهاب بن عبدالقادر بن عبدالغني ، ينتسب الى قبيلة (العبيد) . ولد في ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٥٢ ، في مدينة بغداد . ودرس علوم اللغة العربية والدين على علماء عصره كعبدالوهاب الحجازي ،

(والد حسين النائب وحسن النائب) من عشيرة العبيد وتقع هذه المدرسة في محلة الفضل في جانب الرصافة من بغداد ، ويتعلم الاولاد فيها اللغة العربية ويدرس فيها النحو وشيئا من العلوم الدينية ، وكنا ندرس الاجرومية ، وكان يطلق على عبدالوهاب النائب (ابو حلق الذهب) لانه كان يعطي الفتوى في الاحكام الشرعية وكانت فتواه هذه لا ترد وكان عبدالوهاب

ومحمد فيضي الزهاوي وداود النقشبندي واسماعيل الموصلي وعبدالسلام الشواف وعبدالرحمن القرهداغي . عين مدرسا في مدرسة (منور خاتون) ثم صار أمين الفتوى ونائبا شرعيا في بغداد . وكان عضو مجلس الولاية على عهد الوالي التركي زكي باشا سنة ١٩١٣م كما كان عضوا بمجلس المعارف ، ورئيس مجلس الاوقاف العلمي ورئيسا لمحكمة الصلح . عين بعد تشكيل الحكومة العراقية رئيسا لمجلس التمييز الشرعي (١٩٢١–١٩٢٢) وعهد اليه بتدريس التفسير في جامعة آل البيت سنة ١٩٢٤ .

وكان له مجلسان حافلان . احدهما يقيمه في جامع الفضل . والثاني يقيمه في داره قريبا من الجامع المذكور . يختلف اليه فيهما نخبة طيبة من العلماء والادباء .

حرص عبدالوهاب النائب على تأسيس مدارس للصبيان والشبان، وانفق في ذلك من ماله وجهده ، ومن هذه المدارس مدرسة الفضل في محلة الفضل . ومدرسة خان لاوند ، ومدرسة الراشدية ، ومدرسة الجديدة. واشترك في تأسيس مدرسة التفيض الاهلية .

توفي في بغداد ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٧م . ودفن في جامع الفضل في بغداد .

اما مدرسة جامع الخاتون (منور خاتون) : فأن هذا الجامع يقع في محلة الحيدرخانة في بغداد . باتصال المكتب السلطاني في العهد العثماني في مكان دار المعلمات الابتدائية اليوم . شيدته (منورة خاتون) زوجة سليمان باشا والي بغداد في سنة ١٢٦٧هـ – ١٨٥٠م والحقت به مدرسة علمية يدرس فيها العلوم العقلية والنقلية ولما تم بناء هذا الجامع والمدرسة كتب في صدر بابه تاريخ بنائه في بيت من الشعر هو :

قلت اذا اكملته بالخير ارخ

« جامع للانوار شادت (منورة) »

سنة ١٢٦٧ هـ

في ذلك الوقت نائبا لقاضي بغـداد الشرعي مدة طويلة من الزمن ومـن هنا جاءه لقب النائب » •

كان الخيزران والد حبيب شيخا لقبائل العزة وقد استمرت مدة مشيخته اربعين عاما ، وكان يتمتع بالسلطة الدينية والسلطة الادارية في العشيرة ، وكان على جانب من المعرفة بالعلوم الدينية ويقرأ القرآن ويجيد القراءة والكتابة باللغة العـربية •

يقول حبيب « كان والدي معاصرا ليوسف باشا الكركولي وكيل نائب الوالي محمد فاضل باشا الداغستاني ، وظل والدي رئيسا لقبيلة العزة حتى عزله جمال باشا السفاح من الرئاسة وعـين مكانه ابن عمه غضبان الخلف الغضبية وظل مبعدا عن الرئاسة حتى وفاته » •

وذكر حبيب اسباب عزل والده من رئاسة العشرة فقال :

« كنت قد غزوت ابلا تنقل طعاما الى مدينة السنية في ناحية (بلد) وكان قائمقام المنطقة يومها (جميل بك) وهو رجل تركي اتحادي النزعة • ولمـا علم بأنني انا الذي غزوت تلك الابل كتب الى الوالي العثماني جمال باشـا بالخبر وطلب منه عزل والدي انتقاما بوالدي مني بعزله عن المشـيخة وعين مكانه ابن عمه غضبان ، وكان الشيخ يومها يعين بفرمان سلطاني تسمى ارادة سـنية » •

وفي هذا الجامع غرف للطلبة في الطابق العلوي والسفلي وفيه امام وخطيب ومؤذن وخادم • وقد اوقفت منور خاتون على لوازم الجـامع والمدرسة بعض العقارات والمسقفات ، منها الاراضي الواقعة في المحـلة المسماة علاجية وهمينة نصف ـ الباغجة المسماة (بسيس) •

وقد تصدر للتدريس في هذه المدرسة علماء اعـلام منهم الشـيخ عبدالوهاب النائب ومن بعده ولده حسين فوزي النائب •

ابراهيم الدروبي : البغداديون في مجالسـهم • ص ٥١ ، ٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ •

مير بصري : اعلام اليقضة الفكرية في العراق الحديث ص ٧٥-٧٦ •

وظل الشيخ غضبان يقوم برئاسة عشيرة العزة حتى وفاته سنة ١٩١٧ ٠ وكان يومها يحتل الانكليز دلي عباس ويحتل الاتراك جبل حمرين ٠

وعندما توفي الشيخ غضبان طالبت عشيرة العزة بتعيين حبيب شيخا للقبيلة فذهبوا به الى (علي احسان باشا) قائد الجيش التركي في كفري وطلبوا منه تعيينه شيخا ، وكان حبيب يومها فتى في التاسعة عشرة من عمره فلم يوافق علي احسان باشا على ذلك وقال لهم انه لم يزل فتى يافعا لا يؤهله عمره هذا ادارة شؤون القبيلة وحسب تقاليد العشائر انه لا يصلح ان يكون شيخا ٠ واخيرا اقنعوه بأن جعلوا عليه رجلا بمثابة الوصي ٠ واختير لهذه الوصاية ابن عمه (عبدالله الرشيد) وشيخوا حبيبا على قبائل العزة ومنحه (علي احسان باشا) شارات الرئاسة وهي (وسام وعلم وساعة جيب ذهبية) واصدر بذلك امرا ٠

كانت المنطقة التي تسكنها عشيرة العزة مرتبطة اداريا بصلاحية كفري وتسمى اليوم مدينة كفري فقط ٠ في عهد ولاية الوالي ناظم باشا ثم بعده يوسف باشا ، وكان ذلك حوالي سنة ١٩١٠ ــ ١٩١١م ٠

ومن ذكريات الشيخ حبيب عن الوالي ناظم باشا فيقول : عندما كنا نذهب الى بغداد ونحن يومها اطفال كنا نشاهد ناظم باشا يمر بعربة تجرها خيول وقد ارتدى عباءة والناس يلقون بعرائضهم عليه في العربة ، وكانت تجمع هذه العرائض ثم ينظر فيها ويصرفها الى امورها كان ذلك حوالي سنة ١٩١١م ٠

كانت الحكومة العثمانية تهتم بالعشائر العربية في العراق اهتماما كبيرا وكان مبعث هذا الاهتمام راجع الى استفادتها منها ومن رؤسائها في ادارة البلاد وحفظ الامن وجباية الضرائب وغيرها ، وعلى هذا الاعتبار منحت الحكومة العثمانية عشيرة العزة حق السركلة على امتداد جبال حمرين حتى

دجلة والى جانبي نهر العظيم وهي منطقة واسعة جدا وكبيرة يصعب على موظفي الحكومة جبايته الضرائب منها ، وعلى هذا اعطت قبيلة العزة مقابل جباية الحكومة من الضريبة عشر العشر .

ظل الشيخ حبيب مواليا لعلي احسان باشا والدولة العثمانية العلية ولما احتل الانكليز هذه المناطق اخذوا يتهمون الشيخ حبيب بموالاته للدولة العثمانية ووضعوه تحت المراقبة واخذوا يرصدون تحركاته وسكناته بواسطة اشخاص يعرفون الشيخ حبيبا ، ويكتبون عنه تقارير مفصلة .

ويقول الشيخ حبيب « عثر شخص من اتباعي على ظرف فيه تقرير من القيادة العسكرية موجه الى نائب الحاكم السياسي المستر لويد في دلي عباس (المنصورية) وجاءني به ففتحته فوجدت فيه اخبارا ومعلومات تتعلق باتصالاتي بالاتراك وهي معلومات في غاية الاهمية وتشكل خطورة على حياتي ومستقبلي ايضا ، ومن المعلومات التي ذكرت ، بالكتاب هي :

« ان القائد التركي علي احسان بك قادم من الموصل الى منطقة دلي عباس وارسل الى الشيخ حبيب الخيزران ساعة ومدالية من الدرجة الخامسة . وان الاشخاص الذين حملوا هذه الهدية هم الان موجودون في داره وهم عبدالمحسن الهزاع واحمد الهزاع ونصيف زوين وجميع هؤلاء من قبيلة العزة ...ويطلب في ختام الكتاب الموافقة على تحري دار الشيخ حبيب » .

وقال الشيخ حبيب ولما اطلعت على ما جاء في الكتاب أعدت اغلاق الظرف واخذته بيدي الى المستر لويد ، وقلت له : اننا عثرنا على هذا الظرف وهو يتعلق بكم ، ولذا فقد جئتكم به . وعندما فتح (المستر لويد) الظرف واطلع على ما فيه سألني هل اطلعت على ما في الكتاب او قرأته ؟ فقلت له : كلا ، ولكني وجدت ان الكتاب يخصكم لذلك جئتكم به . فقال لي : ان في هذا الكتاب معلومات تدعو الى اعدامكم ، لانه يوشي بك وفيه اخبار عن

اتصالاتك مع العدو التركي • وانني الان اعتقد بكذب ما جاء فيه من المعلومات اذ لو صح انك على اتصال مع الاتراك لما جئت به الينا •

وهنا سألت الشيخ حبيب عن صحة المعلومات التي وردت في هذا التقرير والتي تشــكل اتهاما خطيرا ضده ، فقال : نعم انها صحيحة وان القائد علي احسان ارسل لي الهدية وهي ساعة ومدالية • وقد اخرج الشيخ حبيب الساعة من جيبه وقال لي : هذه هي الساعة التي ارسلها لي القائد التركي وهي ساعة ذهبية كتبت عليها عبارة باللغة التركية •

فقلت له لماذا اذن ذهبت بالمكتوب او التقرير الى المســتر لويد ولم تمزقه • فقال الشيخ حبيب : لو مزقت الكتاب فان الشخص الموكل بكتابة التقارير عني سوف يرسل غيره • ولكن بأخذي الكتاب الى المســتر لويد بري سأبدد شكوكه التي تساوره نحوي • فعندمها ، مهما كتب الوكيل عني من تقارير لن تصدق وتهمل وبذلك انجو من كيد الانكليز وحبائلهم وهذا الذي تم فعلا •

وهنا سألت الشيخ حبيب عن دوره وعشيرته في ثورة العشرين فقال :

لقد صمم حزب حرس الاستقلال على القيام بتظاهرات سلمية مستترة وراء برقع ديني ، وكانت اول تظاهرة في اواخر شهر شعبان سنة ١٩٢٠م • فكانت خفيفة طفيفة الاثر تنبه الناس الى الغاية التي اقيمت من اجلها ولكن الحكومة شعرت بالامر وحاولت ان تقاومها فلم تفلح ، وعندما اقيمت التظاهرة الثانية في جامع الميدان ليلة الجمعة حضرها الاف من الناس • واخذت تقام الحفلات الدينية في ليالي الجمع باسم كل واحدة من المحلات التي في بغداد •

واقيمت ايضا هذه الحفلات والمظاهرات بعد صلاة الظهر خصوصا في ايام الجمع فضلا عن لياليها • وكان يحضر تلك الحفلات معظم وجهاء العاصمة وكان يحضرها ايضا السيد محمد الصدر ، وقد اتخذ جامع الحيدر خانة مركزا

عاما للمظاهرات التي تقام باسم المولد ، واتفق ان شابا متحمسا يدعى (عيسى افندي) القي ليلة ٦ رمضان قصيدة حماسية كان لها وقع كبير في نفوس المتظاهرين مع ان هذا الشاب من موظفي الاوقاف فعاقبته السلطة بالقاء القبض عليه وارساله الى البصرة بعد ظهر اليوم التالي فما ذاع خبر قبضه ونفيه حتى اقفلت المخازن والحوانيت احتجاجا على ذلك العمل • ووصل الخبر الى رجال لجنة الحرس التنفيذية وهم مجتمعون في بيت جعفر ابو التمن ، قرروا ان تقام مظاهرة كبرى في العاصمة احتجاجا على عمل السلطة هذا وان يطلب الى الجمهور تفويض خمسة عشر مندوبا من احرار بغداد • والكاظمية ليفاوضوا الحكومة في المسائل السياسية الجوهرية التي يتوقف على حلها مصير الشعب •

وقد قامت المظاهرة الكبرى واشترك فيها جموع الناس وصعد علي البزركان على منبر جامع الحيدرخانة مساء ذلك اليوم فبين للجمهور المحتشد ضرورة تفويض خمسة عشر مندوبا يفاوضون الحكومة باسم الشعب ، فيما يتعلق بالغاء ادارة الاحتلال واحلال حكومة وطنية محلها فاختار الناس الاشخاص التالية اسماؤهم :ـ

السيد ابو القاسم ، الشيخ احمد لشيخ داود ، احمد الظاهر ، جعفر ابو التمن ، رفعت الجادرجي ، الشيخ سعيد النقشبندي ، عبدالرحمن الحيدري ، علي البزركان ، عبدالوهاب النائب ، عبدالكريم السيد حيدر ، فؤاد الدفتري ، السيد محمد الصدر ، محمد مصطفى الخليل ، يوسف السويدي ، ياسين الخضيري •

وفي هذه الاثناء ظهرت في الشارع العام سيارتان مدرعتان اخذتا باطلاق النار على المتظاهرين ، فقتل رجل اخرس لا يعرف ، الا ان الشعب

شيع جنازته في اليوم التالي تشيعا عظيما وسماه الناس (شهيد الوطن)[٤] . وبعدها طلبت من الشيخ حبيب ان تحدثنا عن الثورة في لواء ديالى فقال :

بعد ان اندلع لهيب الثورة في انحاء العراق واشتد القتال في جبهات الديوانية وابو صخير والحلة وسدة لهندية وغيرها ، حرصت حكومة الاحتلال البريطاني في العراق على ان لاتتسرب ثورة الفرات الى باقي انحاء العراق ومنه لواء ديالى . وحتى لا يتأثر زعماء العشائر في اللواء باخبار الثورة ، وحتى تبقى هيمنتهم على اللواء لموقعه الاستراتيجي ، لان هذا اللواء يربط العراق بايران الذي تحتله وتسيطر عليه الجيوش البريطانية بعد ان ازاحوا شاه ايران القاجاري عن الحكم . وقد اعتقدت بريطانيا يومها ان الجيوش الانكليزية في ايران سوف لاتستطيع مد القوات الانكليزية التي تقاتل الثوار في منطقة الفرات بالامدادات المطلوبة اذ ما عمت الثورة انحاء العراق وشملت لواء ديالى واول عمل قامت به بريطانيا هو انها انزلت الاثورين على امتداد نهر ديالى في الجانب الغربي من مدينة ديالى في موضع يسمى (العثمانية) وعلى مقربة من جسر ديالى الخاص بالسكة الحديدية[٥] التي تربط بغداد بايران . وقد جهزتهم بالسلاح والخيام والدخيرة واستخدمتهم بريطانيا في مقاومة الثورة ومحاربة الثوار في هذه الساحة لما لهم من معرفة بالحرب وقدرة عليها[٦] ويضيف الشيخ حبيب فيقول :

وفي الوقت نفسه عينت بريطانيا (الميجر هايس) حاكما سياسيا في لواء ديالى . وقد اتصف هذا الحاكم بالدهاء السياسي والخبث ، وقد عمد (هايس) الى اقامة علاقات وصداقة مع رؤوساء العشائر او ذوي النفوذ الاجتماعي في البلد وكان يجمع عددا كبيرا ويتحدث معهم عن عظمة بريطانيا

---

(٤) ذكر معظم هذه المعلومات الشيخ محمد مهدي البصير . البصير .
(٥) انشيء خط السكة الحديدية هذا سنة ١٩١٩م .
(٦) نزح هؤلاء من (ارمية) .

وقوتها التي لا تقهر ويحاول في الوقت نفسه ان يزرع بذور الخوف والحسد في نفوسهم وكان يردد دائما ان الثورة في الفرات فاشلة لا محالة وسوف يقضي عليها في الحال • وينعت القائمين بها (بالمشاغبين وقطاع الطرق) معتقدا ان الاسلوب سوف يخيفهم ويرعبهم ويجعلهم يحجمون عن مساعدة الثوار ويفت في عضدهم •

غير ان هذه الاعمال التي كان يقوم بها المستر هاس كانت لا تجد اذانا صاغية لها ، بل بالعكس كان يسمع من بعضهم العطف على الثورة والثوار • وكانت اخبار الانتصارات التي يحرزها الثوار في جبهات القتال تصلهم اولا باول • ويستمعون اليها بحماس وشوق شديدين •

يقول الشيخ حبيب : لقد كنت على اتصال دائم بالعناصر الوطنية في بغداد قبل الثورة ولا سيما مع الاستاذ المرحوم علي البزركان • وكنت احضر الاجتماعات العامة التي كان يعقدها حزب حرس الاستقلال على الرغم من انني لم انتم اليه ولا سيما اجتماعات جامع الحيدر خانة في المناسبات الدينية وليالي الجمع والتي كان يعقدها الحزب • وان انسى فلا انسى القصيدة الوطنية الحماسية التي القاها الشيخ محمد مهدي البصير في احد الاجتماعات في الجامع التي يقول فيها :

ان ضاق يا وطني عليّ فضاكا فلتتسع بي للامام خطاكا

وقال الشيخ حبيب :

وعندما قامت الثورة العراقية في الفرات اشعلنا نار الحرب في لواء ديالى • ومن ذكرياتي عنها ان السيد سعيد سارة العزاوي كان حلقة الوصل بيننا وبين قيادة الثورة في بغداد يزودنا بتعليماتها ويعلمنا باخبار الانتصارات • وكان ثابت عبدالنور يتصل بنا ايضا ، ويجلب لنا معه اعلام الثورة العربية الكبرى ويوزعها علينا ونضعها على صدورنا وقد كتب على هذه الاعلام بيتا من الشعر •

وقال الشيخ حبيب : في اثناء اندلاع نار الثورة في العراق وقعت حادثة سلب في الطريق العام في بعقوبة فربط الحاكم السياسي في اللــواء (الميجر هايس) هذا الحادث بثورة الفرات واعتبرها بادرة من بوادر الثــورة على السلطة فطلب فورا من الحاكم السياسي في بغداد تجهيزه بقوة عســكرية للمحافظة على الامن في اللواء • فاستجابت السلطات البريطانية لذلك وارسلت اليه قوة عسكرية على راسها الكولونيل (كيف هاوس) اســتعداد لما قد يقع من الاحداث واضاف يقول :

« وعندما وصلت هذه القوة الى بعقوبة ارسل في طلب جميع رؤساء العشائر في اللواء وانا منهم الى مركز اللواء بحجة البحث في قضية السلب • وعندما اجتمع بنا حدثنا عن حادثة السلب والاهتمام بالامن داخل اللواء وطلب منا البقاء في مدينة بعقوبة وان لا يخرج أي واحد منا من المدينة الا بامر منه او بعلمه متذرعا برغبته في مواصلة الاحاديث معنا • وصار يجتمع بنا باستمرار ويعيد علينا في كل اجتماع الوصايا ويطلب منا المحافظة على الامن والاستقرار ويهدد ويتوعد من تسول له نفسه الخروج على الســلطة او الاشــتراك في الثورة • وكما يقصد من وراء ذلك الحيلولة دون اشتراك هؤلاء الشيوخ بالثورة او الاتصال بزعمائها » •

« وبعد هذه الاجتماعات العديدة التي عقدها معنا الميجر هايس سمح للشيوخ بالذهاب الى بيوتهم واماكنهم ولكنه استثناني من بينهم والزمني بالبقاء في مدينة بعقوبة وطلب مني عدم مغادرة مركز اللواء الا بأذن منه • فرضخت للامر وبقيت حيثما طلب • وبعد ايام عدة استدعاني الميجر هايس وقال لي : انك من الرجال الاذكياء ، وانك تعرف جيدا قــوة الحكومــة البريطانية وقوة بطشها بالاعداء • وان الذين تمردوا عليها من العراقيين ومن

* وقد نزل عن العرش لولده محمد رضائي في بداية الحرب العالمية الاولى ونفي الى القاهرة وهناك توفي ودفن فيها ثم نقل رفاته بعد ذلك الى ايران .

رؤوساء العشائر سوف تبيدهم بسرعة وتقضي عليهم نهائيا ، وبما انني أحبك واشفق عليك اود ان لا تقع في الفخ واطلب لك الفوز والنجاح ، واذا ما قبلت نصحي وارشادي ستكون بلا شك من الرجال العظام في نظر بريطانيا العظمى في العراق . وقد امرتني الحكومة ان اعطيك اربعين الف روبية لتتصرف بها كما تشاء وان الحكومة مستعدة لمضاعفة المبلغ متى تريد » .

فقلت له « انني محتاج الى هذا المبلغ ولكنني لا ابيع شرفي بالمال »(٧) لقد قدم الميجر هايس كل هذه المغريات في سبيل ان يحول دون اشتراك الشيخ حبيب الخيزران بالثورة. ولكن الشيخ حبيب اشترك بالثورة رغما عنه.

واضاف الشيخ حبيب يقول : (ومن حسن الحظ ان المستر هايس سافر الى بغداد للفحص والعلاج واوكل الكابتن لويد ــ حاكم دلتاوة ــ (الخالص) في منصبه بصورة موقتة لادارة اللواء . وكان هذا محبا لي وتربطني به صداقة فجئته ورجوته بان يسمح لي بالذهاب الى بغداد للمعالجة لانني مريض ، فقال لي : انني اعالجك في بعقوبة وفيها اطباء جيدون ، فقلت له : ان لي في بغداد

(٧) جاء في كتاب الثورة العراقية الكبرى لمؤلفه الشيخ محمد علي كمال الدين: ان الشيخ حبيب الخيزران قال له : انني قلت للميجر هايس ، ان هذا المبلغ لا بأس به من حيث كثرته ، ولكن لم اتعود المتاجرة بكرامتي في أي وقت ولا فكرت ببيع وطني وشعبي بالمال الذي لا يدوم ، فاكون بذلك قد اغضبت الله والوطن والتاريخ . اما المحافظة على الامن والحرص على الاستقرار والسلام فذلك واجب كل مواطن . واني سابذل قصارى جهدي لحفظ الامن وسلامة الطرق والطمأنينة في تلك الربوع بدافع من نفسي لابد دوافع اخرى ص ٢٤٥-٢٤٦ .

وجاء في كتاب الحقائق الناصعة لمؤلفه فريق مزهر الفرعون عن هذه الحادثة ان الشيخ حبيب الخيزران قال للميجر هايس « ان هذا المبلغ لا بأس به من حيث كثرته ، الا اني ما تعودت ان اتاجر بكرامتي في يوم من الايام ولا فكرت ان ابيع وطني وشعبي بمال لا يدوم فاغضب الله والوطن والتاريخ . اما حفظ الامن والاستقرار والسلام واجب كل مواطن ان يحافظ عليه وان يسعى لاستتبابه ، وعلى هذا فانني سابذل قصارى جهدي لحفظ الامن وتأمين الطرق وبث الطمأنينة في هذا اللواء . بدافع مني لا بدافع اغراء المال » . جـ١ ص٣٢٢ .

طبيبا صديقا اعتدت مرجعته والتداوي عنده كلما مرضت ، فوافق على ذهابي الى بغداد ، بعد ان رجاني بان لا استغل هذا الطلب لاغراض اخرى وان ارجع الى بعقوبة عند عودتي من بغداد . فذهبت الى بغداد واتصلت بقادة حرس الاستقلال السري ولاسيما علي البزركان رئيس الحزب في مقر الحزب في مدرسة التفيض الاهلية وفهمت منهم ما وصلت اليه الثورة في الفرات من نتائج مشرفة ومشجعة واخذوا يذكرون لي بطولات الثوار في الفرات وما انزلوا بالانكليز من هزائم وخسائر كبيرة في الارواح والسلاح .

وذكروا لي ايضا ان الامام محمد تقي الشيرازي اصدر كتابا دعا فيه المسلمين الى الوحدة والاتحاد وحذرهم فيه من التخالف والتشاجر فيما بينهم[٨] وبينوا لي اثر هذ الكتاب في نفوس العشائر ، وضرورة الاستجابة لها .

ومما قالوه لي : ان منطقة ديالى تعتبر اهم المواقع الثورية ، فاذا شاركت في الثورة فانك سوف تقطع طريق المواصلات بين بغداد وايران وتمنع بذلك وصول القوات البريطانية من ايران لضرب الثورة وكان لحماسهم الشديد الذي لمسته فيهم اثره الفعال في نفسي ، فقمت من وقتي وسافرت الى دلتاوة (الخالص) مباشرة دون ان امر على مدينة بعقوبة كما وعدت الكابتن (لويد) . وهناك اتصلت بعدد من رؤوساء القبائل المجاورة لي وكان في مقدمتهم الشيخ حميد الحسن رئيس قبيلة بني تميم ، والشيخ مخيبر بن مرهج بن كريم رئيس عشيرة (الكرخية) وقصصت عليهم ما سمعته من زعماء بغداد وطلبت منهم مساندة الثورة في الفرات ودعمها وطلبت منهم ايضا ان يقسم كل واحد منهم (بالقرآن)على الوفاء بتعهدهم والتزامهم والتفاني في سبيل ايجاد حكم عربي مسلم ، وان يحافظوا على الاموال والانفس والامان وقد اقسم الجميع . وقد برّ هؤلاء بالقسم وتفانوا جميعا في نجاح الثورة .

---

(٨) انظر : نص الكتاب في كتاب العراق في دوري الاحتلال والانتداب ص ٩٧–٩٨ .

ومن الشخصيات الاخرى التي لعبت دورا كبيرا في الثورة في بعقوبة واذكت روح الثورة والتمرد على الانكليز هم :

١ ـ السيد محمد الصدر ، وقد حاولت السلطة البريطانية القاء القبض عليه فالتجأ الى لواء بعقوبة والتحق بالثوار .

٢ ـ الشيخ حبيب الخالصي : وقد ذهب الى عدد من القبائل التي كانت بزعامته الدينية واخذ يحثها على الجهاد والثورة في وجه الانكليز .

٣ ـ السيد حبيب العيد روسي : وقد كان هذا حقلة الاتصال بين رؤساء بعقوبة وزعماء الحركة الوطنية في بغداد .

٤ ـ السيد محمود المتولي .

وفي هذه الاثناء جاء (الكابتن لويد) و (الميجر استرخن) وموظف اخر الى المنصورية حيث يقيم الشيخ حبيب فاعتقلتهم وقد حاولوا ان يرشوا الشيخ حبيبا بمبلغ من المال فعرضوا عليه مبلغ (٤٠) الف روبية ولكنه رفض ذلك واعتقلهم في داره في دلي عباس في منطقة الشوهاني واعتبرهم اسرى حرب واحسن معاملتهم ، وقد افهمهم بأن هذا الاعتقال هو من صالحهم وخوفا عليهم من الثوار الذين ربما يقتلوهم[٩] .

وقد حاصرت القبائل العربية مدينة بعقوبة وكذلك احتلت قبائل العزة والبوهيازع ـ احدى قبائل العبيد ـ بقيادة رئيسها محمد ابو خشيم (الصوب الاول) في بعقوبة وعندما شاركت القبائل العربية الاخرى معهم هاجموا بعقوبة واحتلوها واخرجوا الحاكم الانكليزي منها وعندما شكل الثوار حكومة فيها عينوا السيد محمود المتولي حاكما لها .

---

(٩) لقد ظل المستر (لويد) صديقا وفيا للشيخ حبيب يحفظ له هذه الايادي البيضاء فلما ذهب الشيخ حبيب الى لندن للعلاج سنة ١٩٦٨م زاره المستر لويد في المستشفى وجاءه بهدية بسيطة هي (كيس عنب) .

وقال الشيخ حبيب : في الوقت الذي كانت فيه عشيرة العزة منشغله في الثورة ومقاتلة الانكليز هجمتعشيرة العبيد على ديارنا الامر الذي اظطر عشيرة العزة الى ترك الثورة في بعقوبة والعودة الى (دلي عباس) لتدافع عن اهلها وحرمها[١٠] .

وقال الشيخ حبيب ايضا : طلب منا قادة الثورة في بغداد ان نحاصر قوات الارمن والاثوريين الموجودة في مدينة بعقوبة ، فحاصرناهم ومنعناهم من ان يساعدوا الانكليز . ولكن الحكومة البريطانية ارسلت لهم قطارا يحمل السلاح والعتاد فنسفه الثوار وقتل من الاثوريين في هذه العملية حوالي ٤٥ قتيلا .

كان الضابط شاكر محمود قنبر علي ينظم صفوف الثوار في بعقوبة وشاركه فريق من الثائرين في بغداد على تدعيم الثورة في اللواء هم : سعيد حمزة الملقب سعيد سارة ومكي الاورفه‌لي وعبداللطيف الفارسي .

وكذلك احتلت العشائر منطقة دلتاوة وبعدها عين الشيخ حبيب الخيزران قائمقاما فيها .

وعندما تحررت مدينة بعقوبة من الانكليز هجم الشيخ حبيب مع باقي رؤوساء العشائر على سكة الحديد وقلعوا قسما من قضبانها وبذلك قطعت المواصلات بين بغداد و (قرتو) .

وفي ١٢ آب ١٩٢٠ زحفت العشائر في بعقوبة على مركز قضاء (شهربان) وطلبت من الحاكم الكابتن (رايتلي) ان يسلم القضاء واعطوه الامان له ولحاشيته ولكنه رفض التسليم وبقي محاصرا ثلاثة ايام وقد اشتد القتال بين الحامية والثوار ودام حتى يوم ١٥ آب استطاع بعدها الثوار الاستيلاء

---

(١٠) يقول محمد مهدي البصير : ان الميجر (بري) حاكم سامراء هو الذي حرض عشيرة العبيد على مهاجمة عشيرة العزة .
تاريخ القضية العراقية ص ٢٣٩ــ٢٤٠ .

على السراي وقتلوا الحاكم الكابتن (ريتلي) وقائد القوة المستر بروفلد والمستر (بوكنن) والسارجن ميجر (نيوتن) وعددا من افراد القوة العسكرية المسلحة •

وعلى اثر هذا النصر الذي حققه الثوار في هذه المنطقة اذاع الحاكم الملكي العام بلاغا رسميا اعلن فيه نبأ هذه المعركة وما تكبده الانكليز في هذه المعركة من قتلى هذا نصه :

« ان الحاكم الملكي العام يعلن بكل اسف وقوع وفيات الاتية اسماؤهم الكابتن راتيلي[١١] معاون الحاكم السياسي والكابتن (بروفلد) زعيم رجال الخفر والمستر (بوكنن) والسرجن ميجر (نيوتن) ونسبة من البوليس وقد قتلهم العرب في شهربان يوم ١٥ آب ١٩٢٠ عند هجومهم على مركز رجال الخفر وقد قاتل الخفراء العرب مقاتلة الابطال مدة ثلاثة ايام حتى نفذت ذخيرتهم فقتل كثيرا منهم مع ضباطهم[١٢] :

وبعد ان قضى الثوار على تلك الحامية ارسلوا اسرى هذه المعركة الى بلدروز التي صارت مقرا للاسرى الانكليز ، وبهذا اصبحت الثورة عامة وشاملة لجميع لواء ديالى الذى اصبح جميعه تحت سيطرة الثوار عدا حامية صغيرة من الاثوريين على الضفة الغربية لنهر ديالى وكان مهمة هؤلاء الرئيسية المحافظة على جسر القطار ومحطة اللاسلكي •

بعد انتهاء الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية عقدت هدنة (موندروس) في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٨م •

وكان في ذلك الوقت قد نشرت في بغداد بنود الرئيس الامريكي ولسن الاربعة عشر في تشرين الاول سنة ١٩١٨[١٣] • ولا سيما البند الثاني عشر

---

(١١) ويسمى ركلي في بعض الكتب •
(١٢) جريدة العراق : العدد ٧٢ التاريخ /١٩٢٠/٨ •
(١٣) ايرلند : العراق : دراسة في تطوره السياسي ص٩٨ •

(وعدت بتحرير الشعوب ومنها الشعوب الخاضعة للدولة العثمانيـة) وفي العام نفسه صدر التصريح الانكليزي ـ الفرنسي وكانت تنص هذه البنود على تأليف حكومات وادارات وطنية حرة في البلاد التي تحررت من السيطرة العثمانية وحسب رغبات الاهلين وتستمد سلطتها منهم •

ان بنود الرئيس ولسن والتصريح الانكليزي ـ الفرنسي[١٤] ، وبيان الجنرال مود الذي سبقتهما واذيع في ١٩ اذار ١٩١٧ بعد احتلال بغداد وفيه ذكر ان البريطانيين جاءوا الى العراق محررين وليسوا فاتحين • وكذلك تصريح المستر ارنولد ولسن وكيل الحاكم العام الملكي في العراق في ٧ تشرين الاول ١٩١٨ ، كل ذلك ولد لدى العراقيين فكرة المطالبة بالاستقلال التام وتنصيب امير عربي ملكا على العراق على الرغم من عدم اتفاقهم على من يتولى عرش العراق من الاشخاص • ولكن وكيل الحاكم الملكي العام ولسـن لـم يكن مقتنعا بنشر بنود التصريح الانكليزي ـ الفرنسي ، وارسل برقية الى وزير الهند في ١٤ تشرين الثاني بين فيها ان التصريح الانكليزي ـ الفرنسي سوف يوقعهم بمشاكل عديدة ويسبب لهم حرجا •

ولكن ارنولد ولسن تسلم برقية من وزير الهند بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٨ يعرض عليه مقترحات العقيد لورنس بتكوين حكومات عربيـة تحت امارة اولاد الشريف حسين في العراق وسوريا على ان يبقى الشريف ملكا على الحجاز وسوف تكون هذه الحكومات تحت النفوذ البريطاني وان يكـون العراق الجنوبي خاضعا للسيطرة البريطانية الفعالة •

وقد اجاب السير ارنولد ولسن على هذه المقترحات وقد وصفها بأنها مقترحات غير عملية لانها لم تكن في مصلحة بريطانيا ولا تتفق مع رغبـات سكان البلاد • ولكن ارنولد ولسن ابرق بعد ايام قليلـة مقترحـا اجراء استفتاء عام لمعرفة راي البلاد في تأسيس حكومة عربية تضم البصرة وبغداد

---

(١٤) ايرلند : المصدر السابق ص٩٨ •

والموصل ويرأسها امير عربي[١٥] • وقد اراد ولسن بهذه العملية ان يثبت للحكومة البريطانية أن البلاد تريد استمرار السيطرة البريطانية ، ولا ترغب في الاستقلال وذلك عن طريق توجيهه عملية الاستفتاء حسبما يريد[١٦] •

نوقشت مقترحات ولسن في لندن وتقرر وضع بيان عام يسترشد به وكيل الحاكم العام ولسن وطلب منه ان يستطلع الرأي العام في الموضوع وصلت الاوامر الى بغداد باجراء استفتاء عام في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨م حول النقاط التالية[١٧] •

١ ـ هل تفضلون دولة عربية واحدة تقوم بارشاد بريطانيا تمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج العربي ؟

٢ ـ في هذه الحالة ، هل ترون بان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها امير عربي ؟

٣ ـ واذا كان الامر فمن الذي ترشحونه ؟

واصدر وكيل الحاكم الملكي العام اوامره الى الحكام السياسيين في انحاء العراق لاجراء الاستفتاء ، وفي الوقت نفسه كانت تعليماته اليهم تدعوهم الى التدخل في الاستفتاء لصالح مايرتأيه ويريده من نتائج تتفق ومبادئه التي يؤمن بها لحكم العراق وهي السيطرة الانكليزية المباشرة على هذا البلد •

وكان وكيل الحاكم المدني العام مصرا على ان تكون نتيجة الاستفتاء العام مطابقة لمقترحاته • وكان يعتقد ان اجراء استفتاء مسير حسب ما يرتأيه سيتيح الفرصة له لدحض اراء مشايعي المدرسة الشريفية ويقضي عليها الى الابد وكانت تريد اعطاء الاستقلال الى العراق بتفسيرها حرفيا الجملة الواردة في التصريح الانكيزي ـ الفرنسي القائلة « تأسيس حكومات وطنية وادارات

---

(١٥) ايرلند : العراق : دراسة في تطوره السياسي ص٩٩ •
(١٦) ايرلند : نفس المرجع السابق ص٩٩ •
(١٧) ايرلند : نفس المرجع السابق ص٩٩ •

تستمد سلطتها من كيان السكان الاصليين ومما يختارونه بحرية » امكن مجابهة هذه الفئة بالحقيقة الدالة على ان جميع السكان قد اخذ رأيهم فلم يرغبوا بالاستقلال ، وانما ارادوا استمرار السيطرة البريطانية فانه سيأمن خطرها الذي كان يهدد مقترحاته في اجتماعات مجالس الحكومة البريطانية كما انه رأى ان الاستفتاء سوف يهيىء له فرصة لاقناع ملك بريطانيـة بأن مقترحاته هو تستمد سلطتها من كيان السكان الاصليين ومما يختارونه بحرية ولذا فانها تعتبر القواعد الحقيقية الوحيدة التي يمكن للحكومة البريطانية ان تستند عليها في تأسيس الحكومة الجديدة[١٨] •

ان الطريقة التي نظم على اساسها الاستفتاء ، كانت تختلف اختلافا تاما عما تحويه كلمة (الاستفتاء) • فقد كان راي وكيل الحاكم المدني العام ان تعميم الاستفتاء وايصاله الى سواد الناس امر غير عملي وغير ضروري وذلك لجهل الناس واعتمادهم على رؤسائهم • فان افراد القبائل والرعاة وسكان الاهوار وزراع الشلب والنخيل في مناطق دجلة والفرات ليس لديهم القدرة على تكوين رأي وانما هم اصداء ترد مشيئة علماء الدين ورؤساهم لذلك اهتمت الادارة المدنية بعناصر السكان التي كانت بحكم مركزها وشخصيتها تفضل استمرار بقاء السيطرة البريطانية وفي الوقت نفسه يمكن الاعتقاد بان آراءها تمثل آراء السكان بوجه عام ، وبناء على ذلك احصر الاستفتاء في المناطق العشائرية والمدن الصغيرة ، بالشيوخ والملاكين من الوجهاء[١٩] •

وعندما قررت بريطانيا ان ترسل فيصلا الى العراق لجعله ملكا هناك ابحر فيصل وحاشيته من جدة الى البصرة واخذت البرقيات تتوالى على بغداد عن قرب وصول فيصل ووجوب الاستعداد لاستقباله وقد اهتم ناجي

---

(١٨) ايرلند : نفس المرجع السابق ص٩٩ .
(١٩) ايرلند : المصدر السابق ص ٩٩ــ١٠٠ .

السويدي بالامر فأرسل بطاقات الدعوة الى اعيان بغداد واصحاب الرأي يدعوهم الى اجتماع سيعقد في سينما رويال في صباح يوم الجمعة ١٧ حزيران للنظر في منهاج استقبال الامير فيصل •

وعندما عقد الاجتماع في الموعد المحدد قام ناجي السويدي وشكر الحاضرين واخبرهم بوصول البرقيات عن قرب قدوم الامير • وقال انه سيكون ضيف العراقيين وانهم يجب ان يقوموا بما يجب عليهم في هذا الشأن طبقا لما اشتهر عنهم من الكرم والضيافة • ثم قال ايضا : ان الحكومة والبلدية ستقومان بما يجب عليهما ولكن هذه الدعوة موجهة اليكم يا ابناء الشعب فأنتم الداعوان وانتم المدعوون وان الامير سوف يصل الى البصرة في ٢٣ منه ومن اراد منكم الاشتراك في الوفد الشعبي لاستقباله فليسجل اسمه • وسوف يسافر الوفد الى البصرة مساء الاحد القادم • ثم اوضح ناجي السويدي ان كل واحد من اعضاء الوفد سيتكلف نفقات سفره(٢٠) •

وبناء على هذه الدعوة اخذت الوفود الرسمية والشعبية تتهيأ للسفر الى البصرة للاشتراك في استقبال الامير فيصل •

ويقول الشيخ حبيب الخيزران :

« عندما علمت بقرب موعد وصول الامير فيصل الى البصرة هيأة وفدا من اهلي وعشيرتي لاستقباله في البصرة على نفقتي الخاصة • وركبنا في السيارات من دلي عباس متوجهين نحو بغداد ثم البصرة • وعندما وصلنا الى بعقوبة اعتقلتني السلطات الانكليزية في المدينة بتهمة سلب بعض الابل وقطع الطريق من قبل بعض افراد عشيرة العزة » ويضيف الشيخ حبيب فيقول : الحقيقة ان سبب اعتقالي هو تحريض من المستر فلبي لان فلبي كان يكره المؤيدين للامير فيصل وكان يضع العراقيل في سبيل انتخابه

---

(٢٠) جريدة العراق : ١٨ حزيران ١٩٢١ •

ملكا على العراق وانه يريد تنصيب احد انجال الامير ابن سعود ملكا على العراق • وقد بقيت في السجن حتى جاء الملك فيصل الى العراق وعندها اطلق سراحي •

وقال الشيخ حبيب ايضا : « لم يكن قلبي وحده لا يريد تنصيب الامير فيصل ملكا على العراق وانما كان يؤيده في ذلك ويساعده من العراقيين عدد اخر ومنهم حسن السهيل ، وقد كان هذا يحمل عريضة يجمع فيها تواقيع المعارضين لتنصيب الامير فيصل وكان يقول عيب يجي واحد من مكة يحكم ليش العراق ما بيه زلم » •

وعندما وصل الامير فيصل الى العراق وقد اجرى انتخابه ، كان قد صدرت ٤١ مضبطة من لواء ديالى كلها تبايع فيصلا ملكا على العراق • ومما لاشك فيه ان الشيخ حبيب كان له دور بارز في امر هذه المضابط •

ومن الجدير بالذكر ان الملك فيصل اخذ يزور الالوية العراقية لاخذ البيعة له في تنصيبه ملكا على العراق • وقد زار لواء الرمادي ايضا للغرض نفسه مرشحا للعرش • فقد حدثني من اثق به انه عندما جاء الملك فيصل الى لواء الرمادي « تناول الغذاء في بيت علي السليمان وتناول العشاء في بيت الحاج حمادي العريم وبات هناك • وفي الليل اجتمع بالملك في منزل عريم عدد من شخصيات اللواء منهم علي السليمان وفهد الهذال ومشحن الحردان وعدد اخر من رؤوساء العشائر •

وفي اثناء هذا الاجتماع طلب من الحاضرين مبايعته على الملوكية فبايعوه ، اما فهد الهذال فقال للملك (اذا كان الانكليز راضين عنك فنحن راضون) وقد اغاظ هذا القول الملك وطلب من الحاضرين الانصراف بحجة النوم وكان بادي الانفعال واخذ يطفىء سكارته بعصبية بالغة ، واخذ يخاطب الحاج حمادي هل سمعت كلام هذا البدوي وقد اخذ يردد قول ابن هذال عدة مرات » •

قال الشيخ حبيب[٢١] :

عندما تشكلت وزارة النقيب الاولى في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ طلب الانكليز من السيد عبدالرحمن النقيب ان يدخل بعض شيوخ القبائل المهمين وزراء دولة[٢٢] ، في وزارته وقد طرح اسمي من جهة الشيوخ المشار اليهم ، ولكن السيد النقيب اعترض على اسمي واصر على عدم دخولي في الوزراء وكان السيد النقيب يردد قوله ، ان عشيرة العزة ماكلين (ازقطني)[٢٣] • وكان في قوله هذا يشير الى قيام عشيرة لعزة باحتلالهم (ابو صيدة) (وفرهدوا) بعض المحاصيل الزراعية التابعة الى وقف الشيخ عبدالقادر الكيلاني وكان النقيب غاضبا على عشيرة العزة ومستغربا منهم ، كيف (يفرهدون) حصة الشيخ الكيلاني وهم من اتباع مذهبه المذهب الحنبلي ويضيف الشيخ حبيب قائلا :

وقد اقترح السيد النقيب تعييني قائمقاما في دلتاوة (الخالص اليوم) بدلا من الوزراة ، الا انني استقلت من هذه الوظيفة بعد ان وجه الي الفات نظر عقوبة على رفعي مذكرة الى السير برسي كوكس •

وقصة هذا الكتاب المفتوح (او المذكرة) كما ذكرها الشيخ مهدي البصير[٢٤] يقول :

نشر الشيخ حبيب الخيزران رئيس قبائل العزة كتابا مفتوحا الى الممثل البريطاني المستر برسي كوكس ، الذي اوفدته حكومته للتفاهم مع الثوار بسط فيه مطاليب الامة ، جازما بأن اعطاء الامة هذه الامور يكون السبب

---

(٢١) لقاء في داره في المنصورية صباح يوم الخميس المصادف ١٩٨١/٤/١٧ وحضره معنا الاستاذ المحامي مظهر فهمي العزاوي •

(٢٢) عين ١٢ وزيرا للدولة منهم (٣) من شيوخ العشائر هم : الشيخ عجيل السمرمد والشيخ محمد الصيهود والشيخ سالم الخيون •

(٢٣) ازقطي : تعني تمر زهدي •

(٢٤) مهدي البصير : القضية العراقية حـ١ ص٢٣٠ •

الوحيد في حل كل المشاكل حلا مرضيا • فكانت النقطة الخامسة من هـذه المطاليب هي (اعطاء الاهالي حرية الاجتماع والصحافة) •

وقد سألت الشيخ حبيب عن هذا الكتاب المفتوح الذي نشر قبل ٦٥ عاما تقريبا فقال : ارسلت الى جزيرة الاستقلال (البغدادية) كتابا مفتوحا الى المستر كوكس عندما كنت قائمقاما في دلتـاوة (الخالص) في وزارة النقيب الاولى قلت فيه على ما اتذكر « ان من حسن حظ العراق ان يأتي المستـر برسي كوكس بعد المستر ولسن حيث ان سياسة ولسـن ادت الى حـدوث الثورة ومجيئكم واحلالكم محله وبالنظر لما اشتهرتم به مـن وافـر العقل وحسن السياسة انكم تستطيعون ازالة ما احدثته سياسة سـلفكم ولسـن وتقضون على سوء التفاهم الذي يسود العلاقات العراقية ـ البريطانية » •

وقد نشرتها جريدة الاستقلال العدد : ١٧ التاريـخ ١ كانـون الاول ١٩٢٠ ص٣ ومن حسن الحظ عثرت على هذه المذكرة وهذا نصها :

الى فخامة المندوب السامي

لقد علم اغلب العراقيين باطلاعهم على المناشير التي سبقت لحضـرتكم من ان فخامتكم ترغبون كل الرغبة في الاطلاع على مقاصد العراقيين وغايـة افكارهم بما يهمهم من تنظيم الامور التي تستلزم انتاج حسن التفاهم معهم فيما يخص الحالة الحاضرة •

بناء عليه ابين لكم اصالة عن نفسي ونيابة عن عموم العشائر القاطنة في منطقة ديالى ان الامة العراقية لا يمكنها اظهار فكرها الصريح ولا يوشـك التفاهم مع الحكومة بصورة مشروعة ما لم يباشر حالا في اعطاء الامة المواد الاتية التي هي السبب الوحيد لحل المشاكل حلا مرضيا وهي :

١ ـ رفع الشبهات المتمركزة في افكار اغلب الاهليين باعلان العفو العام عن اصحاب الجرائم السياسية عفوا مجردا عن كل قيد بسبب فتح بـاب الذهاب الى اشغال الافكار •

٢ ـ اطلاق سراح جميع المنفيين وارجاعهم الى اوطانهم والتوسط في ارجاع العراقيين المعتقلين في سورية وغيرها بلا تفريق مع الاحتراز عن الاغفال •

٣ ـ لغو الادارة العرفية •

٤ ـ استبدال الموظفين الغرباء بموظفين عرب حائـزين على اعتمـاد الامـة العراقية من ذوي الكفاءة والاهلية للوظيفة التي يكلفون بها كل بنسبته •

٥ ـ اعطاء الاهالي حرية الاجتماعات والصحافة والمخـابرات والمراسـلات داخلا وخارجا • فاذا اصغى اولوا الامر الى هذه المطالب حيئذ يتيقن الشعب العراقي بأن قد تم ما يتمناه بالسرعة الممكنـة ويزول الشـك واليأس اللذان تسربا الى قلوب الوطنيين ويندفعا بسهولة كاملة تحسن نوايا العراقيين تجاه الحكومة البريطانية ويعتقد الجمهور بأن الحكومة العراقية الدائمة ستشكل وفقا لرغبات الامة وبذلك يسهل تشـكيل المؤتمـر •

هذه جل افكارنا نعرضها لانظاركم على صفحات الجرائد وهي تنطبق ايضا على آمال جميع العشائر القاطنة في لواء ديالى ولا اريد الا الاصلاح •

رئيس عشائر العـزة
حبيب الخيـزران

ويقول حبيب : ولما قرأ المسؤولون هذا الكتاب لم يعجبهم الامر ووجهوا لي عقوبة (الفات نظر) لانني موظف حكومي ولا يحق له مخاطبة المراجـع العليا واعتبروا هذا العمل تحدي مرجع ، فاستقلت مـن وظيفة قائمقام في دلتاوة (الخالص) •

وقد سألت الشيخ حبيب عمن كتب له هذا الكتاب فقال :

« ان الذي دبج لي هذا الكتاب وكتبه هو علي محمود الشيخ علي وعبدالغفور البدري وقاسم العلوي وعباس العزاوي وعلي غالب العزاوي (اخو عباس العزاوي) •

والحقيقة الذي يستخلصها المؤرخ لهذه الحقبة ان هناك تجمعا قويا متماسكا يعمل معا بدقة وتعاون •

ويقول الشيخ حبيب ومن ذكرياتي عن فترة الاحتلال البريطاني بعد الثورة العراقية الكبرى •

انني « دعيت الى كفري للتحكيم في بعض الخلافات العشائرية بين العزة والعبيد والبيات الداودية حيث ادعى المستر لونكرك بان القوافل المارة عن طريق الغرفة (المنطقة التي تسكنها عشائر العزة) تتعرض للسلب والنهب ولهذا عقد هذا الاجتماع لمعالجة هذه الحالة » •

وعند وصولي كفري امر الحاكم العسكري لونكرك حاكم كركوك بحجزي في بيت عبدالمجيد بابان • وعند انعقاد الاجتماع احضرت الى الاجتماع مخفورا بصحبة مدير شرطة اللواء مراد بك كيبح ، كان المستر لونكرك حاكما عسكريا في دلي عباس قبل مجيئه الى كركوك وكان يكرهني منذ ذلك الوقت •

وعندما التأم الاجتماع بدأ لونكرك الكلام وموجها كلامه اليّ قائلا :

صدق يا شيخ حبيب انت محبوس ؟

فأجبته : نعم

فرد لونكرك عليّ قائلا : تعرف عندنا في بريطانيا ان الشخص الموقوف لا شرف له •

فرددت عليه قائلا : ان الحكومة التي تحبس الشخص بدون ذنب لا شرف لها ؟

وعلى اثر هذا الجواب ساد الاجتماع سكون ولاحظت ، المستر لويد قد ابتسم مع بعض زملائه مستحسنا الجواب وبعد انتهاء الاجتماع جاءني المستر لويد وقبلني محييا جرأة الجواب . وقال لي يا شيخ حبيب : ان هذا الشخص يستحق هذا الجواب لانه رجل خشن الطباع فظ التعامل حيث انه يعامل زوجته خلافا لما الفناه واعتدنا عليه فهو يجعل زوجته تسير خلفه في المناسبات خلافا للاصول الاجتماعية في بريطانيا حيث نقدم زوجاتنا امامنا اكراما للمرأة باعتبارها انسانة ضعيفة .

انتخب الشيخ حبيب الخيزران عضوا في المجلس التأسيسي في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٢ عن لواء ديالى مع من انتخب من غيره من الاعضاء .

وعندما عقد المجلس جلساته[٢٥] انتخب حبيبا عضوا في لجنة تدقيق القانون الاساسي العراقي وقد تكونت هذه اللجنة من الاعضاء :

محمد الصيهود (الكوت) وسالم الخيون (المنتفك) ، عمران الحاج سعدون (الحلة) ، فخرالدين آل جميل (الدليم) ، داود الحيدري (اربيل) حبيب الخيزران (ديالى) ، سلمان الحميد (العمارة) ، الحاج رايح العطية (الديوانية) ، امجد العمري وفتح الله سرسم (الموصل) ، عمران العلوان (كربلاء) يوسف غنيمة (بغداد) عزت الكركولي (السليمانية) .

وفي يوم ٩ حزيران ١٩٢٤ القي حبيب الخيزران خطابا امام المجلس التأسيسي أيد فيه سياسة التجنيد الاجباري ورد فيه على القائلين بعدم

---

(٢٥) عقدت اجتماعات المجلس التأسيسي في بناية المستشفى الملكي السابق في جانب الكرخ بجوار مسجد القمرية ، قرب سوق الجديد . وقد بنيت هذه البناية في عهد الوالي العثماني مدحت باشا من تبرعات الاهالي لتكون مستشفى (سمي مستشفى الغرباء) وكانت البناية هذه تطل على نهر دجلة .

امكانية تشريع قانون التطوع في الوقت الذي يسيطر فيه النفوذ الاجنبي على العراق • وقال فيه[٢٦] : « من اين يتسنى لنا ان نكافح هذه السلطة اذا لم يكن لدينا جيش عرمرم من ابناء البلاد ، فانتهز الفرصة لاذكر الجميع ان الظروف علمتنا بلزوم استناد السياسة الى القوة وان العامل القوي الذي تستند اليه تلك القوة هو الجيش • فلا أمل والحالة هذه بأن ننجح بمشروعنا السياسي ونتمكن من الحصول على الغاية المتوخى نيلها الا اذا اسرعنا الى تأسيس الجيش بأول فرصة لنتمكن من مكافحة النير الاجنبي المعقود في اعناقنا ونتمكن من الدفاع عن وطننا العزيز ، على ان يكون ذلك عقيب البت في المعاهدة واحاطتنا بما سيلقى على عواتقنا من المسؤوليات » •

كما تطرق حبيب الى موضوع المعاهدة التي عرضت على المجلس وكان معارضا لعقد المعاهدة العراقية البريطانية فقال :

(ان تنفيذ مثل هذه المعاهدة المنوي عقدها بين بريطانيا العظمى والعراق بكل شرف وامانة لا يمكن اعتبارها معاهدة تحالف ما لم يستخرج مجلسنا العالي خلاصة قراره من روح الشعب ورغبات الشعب العراقي) •

واضاف يقول : « ولما كان الموضوع الاصلي عن المعاهدة والبروتوكول والاتفاقيات فلابد من اعادة النظر (اليها) واقول كلمتي فيها لقد اتفق الشعب والصحف اجمع على ان المعاهدة هذه ليست بمعاهدة وانما هي شروط ثقيلة اشترطها قوي غالب على مغلوب ضعيف • واعترف امامكم ان اللجنة التي انا احد اعضائها لقد ضحت بقسم كبير من منافع البلاد المهمة حرصا على حصول الصداقة المطلوبة مع الحليفة ، فعليه لا يمكن ابرام المعاهدة وتفرعاتها بصورة قطعية ما لم تقبل التعديلات اللازمة وفق ما جاء في تقرير اللجنة المذكورة • وقد اصرت الحليفة على عدم قبول التعديل بالرغم من عدالته » •

---

(٢٦) انظر : مذكرات المجلس التأسيسي • حـ١ ص ٣٠٨ ، ٤١٤ •

كما تطرق حبيب في هذا الخطاب الى مشكلة الموصل التي كانت قد وضعت للمناقشة في مؤتمر الاستانة • وقال عنها :

« انها بمنزلة الرأس من الجسد للعراق وانها الحصن المكين وينبوع الحياة الاقتصادية للعراق » • واهاب ببريطانيا ان لا تفسح للطامعين المجال ان يغتصبوا هذا الجزء الخطير الشأن من المملكة العراقية •

وطالب المجلس ان يبت في المعاهدة حتى يتحدد موقف بريطانيا من العراق ومن قضية الموصل فقال :

« ولا يغرب عن البال ان الحكومة البريطانية لابد انها ستتردد في دفاعها عن الموصل سواء في مؤتمر الاستانة أم في مجلس عصبة الامم اذا بقيت علاقتها بنا ما تزال مبهمة ، وانما المنافع البريطانية المتوخى حصولها في العراق مرتبطة بهذا الدفاع • فبناء على ما تقدم ، ارى من الواجب ان يبت المجلس في مصير المعاهدة وذيولها » •

اذا استثنينا الخطاب الذي القاه الشيخ حبيب في المجلس فان نشاطه في مناقشاته المجلس محدد جدا عدا نشاطه في لجنة تدقيق القانون الاساسي •

وقد حدثني الشيخ حبيب الخيزران عن الظروف التي احاطت بهذا الخطاب فقال[٢٧] : كان الملك فيصل وياسين الهاشمي والحكومة تريد التجنيد • وقد ايدت في خطابي هذا مشروع التجنيد ولكنه اغضب معظم شيوخ العشائر واعتبروا هذا الامر ضدهم لانهم كانوا يعارضون موضوع التجنيد معارضة شديدة وكان الانكليز في الوقت نفسه يؤيدهم في وقفتهم ضد التجنيد ، ولانهم لا يريدون ان تقدم الحكومة على هذه الخطوة التي من شأنها سوف تدعم الحكومة العراقية وتقوي شوكتها امام اعدائها • وقد

---

(٢٧) مقابلة في داره في دلي عباس في يوم ١٩٧٩/١١/٢١ •

قدم بعض رؤساء العشائر طلبا الى المستر برسي كوكس يطلبون فيه التدخل لمنع التجنيد .

لقد اعجبني الخطاب هذا من حيث الاسلوب وطريقة تناوله للمواضيع ومعالجتها ومناقشتها بشكل لبق وسلس . فسألته عن هذا الخطاب وقلت له هل انت وضعت نص الخطاب ام ان احدا ساعدك فيه فقال لي : ان فكرة الخطاب كانت فكرتي اما اسلوبه فقد وضعه الاستاذ عباس العزاوي واخوه المحامي علي غالب .

في الطـريق الى هنجـام

لقد اشتكي العراقيون من سوء معاملة الانكليز لهم ومن الاساليب التعسفية التي مارسوها في ادارة شؤون البلاد عن طريق المستشارين الذين زرعوهم في المراكز الحساسة في دوائر الدولة ٠

فقدم هؤلاء شكوى باسم العراق الى الرئيس الامريكي ولسن واوضحوا في هذه الشكوى مجانية بريطانيا لمبادىء ولسن الاربعة عشر في حكم الشعوب الصغيرة المغلوبة على أمرها ٠

وبناء على هذه الشكوى ارسلت لجنة لتقصي الحقائق الى العراق لمعرفة اسباب تذمر العراقيين ومواطن شكواهم من السياسة البريطانية المتبعة في العراق ٠ وعندما وصلت هذه اللجنة بدأت اتصالاتها بالاهلين والاشخاص عن طريق الحكومة العراقية واخذت تجوب البلاد طولا وعرضا ٠

وقد سبق وصول هذه اللجنة اتصالات واسعة قام بها الموالون للسياسة البريطانية والمسؤولون البريطانيون في العراق مع الشخصيات العراقية ومع شيوخ العشائر وطلبوا منهم ان يبدوا الارتياح من الحكم البريطاني في العراق امام اللجنة ٠ وان ما قيل ويقال عن الاساليب التعسفية التي تمارسها السلطة البريطانية في العراق مجرد افتراء لا اساس له من الصحة وان الغرض من هذه الاتهامات هي خلق البلبلة في صفوف الشعب ٠

ويقول الشيخ حبيب الخيزران في هذا الخصوص :

« وقبل ان تصل هذه اللجنة الى بعقوبة طلب من المتصرف (احمد حالت) ومن المستشار السياسي (الميجر بري) ان يتصلوا بالاشخاص

البارزين وشيوخ العشائر في اللواء وتوصيتهم بما يجب ان يقولوه امام اللجنة بشكل يحقق مصالح بريطانيا » •

واضاف يقول : « ارسل المتصرف (احمد حالت) و (الميجر بري) في طلبي الى بعقوبة ، ولما حضرت اليهم اخبروني بان هناك لجنة قادمة من عصبة الامم سوف تستدعيكم وتسألكم بعض الاسئلة فيما يتعلق بالسياسة البريطانية في العراق • وكنت قد عرفت بوصول اللجنة الى العراق قبل اليوم الذي استدعيت به الى بعقوبة بعدة ايام عندما كنت في بغداد ذات يوم • وفي الحقيقة انني شعرت بالمأزق الحرج الذي سوف اوضع فيه لانني لا استطيع ان اقول ما يريدون وما يطلبونه مني لان ذلك خلاف الحقيقة وفي الوقت نفسه لا استطيع ان اقول خلاف ما يطلبون لان ذلك سيجر عليّ بلاء عظيما • وقد فكرت في طريقة للخلاص من هذه الوطة ، فقلت للميجر بري • انني مريض ولا استطيع البقاء في بعقوبة حتى تأتي اللجنة ، ولابد من الرجوع الى (دلي عباس) وسوف ارسل لكم اثنين من اصدقائك من رؤوساء العزة وانهم سوف يقولون ما تريدون • فقال الميجر بري لا بأس وقد ابدى موافقته على هذه الفكرة ، وعندما خرجت من مقر الميجر بري ذهبت الى المتصرف (المحافظ) واخبرته بانني مريض لا استطيع الحضور امام اللجنة وانني سوف ارسل اثنين من اعواني هما : الشيخ شنيف المحمد رئيس عشيرة البو طراز — وهو شيخ من مشايخ العزة — والشيخ رحيم الرشيد يقولون ما تريدون • فقال لي المتصرف : هذا غير ممكن لان الملك والحاكم العسكري لا يوافقان على ذلك ، وغادرت بعقوبة الى اهلي في (دلي عباس) •

وبعد ايام ارسل في طلبي مرة أخرى الى بعقوبة ، فجئت ودخلت على المتصرف فوجدت عنده الميجر بري • وقالا لي : لابد ان تحضر انت امام اللجنة مباشرة دون ان ترسل احد نيابة عنك وان تبدي رأيك وقد شعرت

يومها ان هذا الرجل يريد ان يضعني في موقف يجعلني فيه ان اضيع كل ماضيي وتاريخي وبقيت حائرا ماذا اعمل ؟

ولما جاءت اللجنة الى بعقوبة ارسل في طلبي ، فجئت لمقابلتها وقد وجدت الميجر بري حاضرا مع اللجنة . وقال لي رئيس اللجنة : اننا نريد ان نسألكم سؤالا واخشى ان تخافوا من الميجر بري وعندها لا تستطيع ان تقول الحقيقة . فقلت له : ان اصوات بنادقنا اسمعت حكومة بري مطاليبنا في الحرية والاستقلال فكيف نخاف اليوم ميجر بري .

فقال رئيس اللجنة : تقول الحكومة الامريكية لا داعي لوجود المستشارين الانكليز ، والعراق يطلب المستشارين فماذا تقول ؟ هل الحكومة العراقية بحاجة الى مساعدة المستشارين الانكليز . فقلت لهم : ان الموظفين هم الذين يعرفون اذا ما نحن نحتاج الى مستشارين ام لا . نحن نتمنى ان يكون الميجر بري موظفا عراقيا ويصبح متصرفا لانه يجاملنا ويعرف امورنا ويعرف عوائلنا . وطلبت اللجنة مني مقابلتها مرة اخرى في الكاظمية واعطتني (كارت) يسمح لي بموجبه مقابلتها .

وقد امتعض المستر بري من كلامي هذا وانزعج وقد ساورني شعور يومها انه سوف يبيت لي امرا خطيرا لا اعرفه . وعلى الرغم من ذلك لم اذهب الى مقابلة اللجنة في الكاظمية كما طلبت مني واضاف الشيخ حبيب يقول :

كان للمرحوم نصرت الفارسي[٢٨] دار في بعقوبة يسكن فيها وكان يومها صديقا حميما للمستر بري ، وكنت اتردد عليه بين وقت وآخر . وفي

(٢٨) نصرت الفارسي : هو نصرت بن رفعت بن علي ياور بن محمد برتو : ينتمي الى عائلة قفقاسية الاصل جاءت الى العراق مع حملة داود باشا سنة ١٢٣١هـ ــ ١٨١٧م . وقد اشتغل جده كاتبا للوالي داود باشا حيث كانت بغداد يومها ايالة ، وكان لهذا الوالي ثلاثة كتاب للاتصال بين الناس

احد الايام كنت عائدا من دار نصرت الفارسي واذا بالخادم الـذي يخدم المستر بري يأتي الى داري ويخبرني بأن الميجر بري يطلبني ، فذهبت لمقابلته في سراي الحكومة في بعقوبة وعندما التقينا قال لي :

ان وزارة الداخلية في بغداد تطلبك .

فقلت له : انني بحاجة الى نقود وملابس فقال لي : ان الخادم سوف يلحق بنا بالملابس والفلوس الى بغداد . وقد رافقني الميجر بري في سفري من بعقوبة الى بغداد ، وذهبنا مباشرة الى وزارة الداخلية وكان يومها (توفيق الخالدي) وزيـرا للداخلية ، واسماعيل الصـفار مديرا للشـرطة والمستر (برسكت) مستشارا للشرطة واثناء وجودي في وزارة الداخلية ، شاهدت (زينل) فراش المستر (لويد) مستشار وزارة الداخلية . وقلت له : اذهب الى المستر) لويد (وقل له ان الشيخ حبيب الخيزران يريد مقابلتك فذهب زينل ثم جاءني فقال ان المستر لويد ارسل لك هذه الجرائد ويقول : ان في نية المستر لويد نفي الشيخ حبيب وانا لا اريد ان يؤخـذ من غرفتي الى السجـن .

وبعد مدة وجيزة اقتدت الى معسكر الهنيدي (معسكر الرشيد حاليا) معتقلا ومن ثم سفرت بعد ايام الى البصرة واودعت في احد سجونها وقـد وجدت عددا من الاخوان قد سبقوني الى هذا المعتقل وهم :

والتفاهم معهم وترجمة المكاتبات الرسمية ، فكان احدهم يجيد اللغة العربية والثاني يجيد اللغة الفارسية والثالث يجيد اللغة التركية ، وكان جد نصرت كاتب اللغة الفارسية لذا اطلق عليه لقب (آل كاتب الفارسية) وعلى العائلة ايضا وبمرور الزمن صار اللقب (الفارسي) .

ولد نصرت في بغداد سنة ١٨٩٤ في محلة جديد حسن باشا ودخل المدرسة الابتدائية . ثم واصل دراسته فدخل مدرسة اعدادي ملكي وهي اشبه بالمدارس الثانوية اليوم . دخل كلية الحقوق في بغداد سنة ١٩١٠ وتخرج فيها سنة ١٩١٤م وفي هذه السنة قامت الحرب العالمية الاولى فالتحق بالجيش ووقع اسيرا في ايدي القوات البريطانية في فلسطين ونقل الى معسكرات الاعتقال في مصر . ولما وضعت الحرب العالمية اوزارها اطلق سراحه من الاسر ثم سرح بعدها من الجيش ، فسكن مدينة بعقوبة .

جعفر ابو التمن والشيخ محمد مهدي البصير وسامي خوندة وعبدالرسول كبة وامين الجرجفجي وحمدي الباجهجي •

وبعد حوالي أسبوع على اعتقالنا في سجن البصرة ــ على ما اتذكر ــ نقلنا على ظهر باخرة من شط العرب عرفنا فيما بعد اننا مبحرون الى جزيرة هنجام •

ثم قال الشيخ حبيب : « وفي اثناء سير الباخرة في الخليج العربي وقفت في مدينة المحمرة • وقد وجدنا فيها بعض الاشخاص لابسين الغتر البيض (الكوفيات البيضاء) والعقال ويلبسون الملابس العربية ومتمنطقين بسيوفهم وخناجرهم (الكديمي) فسألتهم من انتم ؟ فقالوا لي : نحن رجال الشيخ خزعل •

واننا نستوفي هنا الرسوم الكمركية على السفن والبضائع الواردة الينا •

فسألتهم عن واجبات الشيخ ، فقالوا : يحكم ويصرف شؤون المدينة فقلت لهم : واذ شكلت عليه الامور الكبيرة • قالوا يراجع الدولة •

فقلت لهم : من هي الدولة ؟ فقالوا : الحاكم الانكليزي •

وكنت قد فكرت في الهرب عندما وقفت الباخرة في مدينة المحمرة ، وعندما سمعت هذا الكلام عدلت عن فكرة الهرب • وقلت لنفسي ، اذا حاولت الهرب معناها ان هؤلاء يكتفونني ويسلمونني الى الانكليز » •

وبعد مدة من الزمن واصلت الباخرة سفرها في الخليج العربي • وبعد مسيرة ايام ــ لا اتذكر عددها ــ وصلنا جزيرة هنجام •

وقد سألت الشيخ حبيب عن حياتهم اليومية في الجزيرة وكيف كانوا يقضون اوقات فراغهم وماذا كانوا يعملون ، فسكت الشيخ حبيب برهة من الزمن وقال مرددا بيتا من الشعر :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

وقال : كنا نقضي اوقـات فراغنـا بالحديـث عن حياتنا الماضيـة ، واستعرض اهم الاحداث المهمة التي لاقاها الفرد منا في حياته الماضية • وكنا كذلك نلهو بنظم الشعر او تشطيره او انشاد ما حفظنا من شعر الشعراء •

وقال الذي اتذكره انني قلت يوما في احدى جلسات سمرنا في الجزيرة شـعرا :

(الوقت لا ينقضي الا اذا امتزجت)

فأكمله الشيخ مهدي البصير قائلا :

(مرارة الجد في شيء مـن الهـزل)

وقال الشيخ محمد مهدي البصير :

(قيل لي ما تمنى قلت ضرب بوتـر)

فقلـت :

(قيـل لي ما تمنى عند اشـراق القمر)

(وكؤوس الراح دارت قلت ضرب بوتر)

وقال الشيخ حبيب ومن ذكرياتي ايضا عن اقامتنا في الجزيرة • كـان معنا في الجزيرة الشيخ عبدالرسول كبة وكان رجلا مسنا جاوز الثمانين مـن عمره • وامين الجرجفجي • وكانا يعزلان اوانيهما وكؤوسهما ومشـاربهما عنا خوفا من ان ننجسها لاننا لا نحافظ على طهاراتنا حسب قولهم • وكـان الشيخ مهدي البصير يتقصد الشرب في هذه الاواني لمعاكستهما ، وكـان هذا العمل يضايقهما جدا • وكان لا يخفيان ضيقهما عن ذلك • وكان البصـير يعلم بردود فعله لديهم ، ولكنه مع ذلك كان يصر على هذا العمل ويـردد بيت الشـعر التالي : فيقول :

لاســاورن صحونكـم وكؤوسـكم يومـا
اذا عبثـت بـيّ الصـــهباء

وقال الشيخ حبيب : ومما اذكره في هذه المناسبة ايضا ان ارسل لي ابن عمي (عبدالرحيم الرشيد) رسالة الى جزيرة هنجام قال لي فيها « ان العرب ــ القبائل العربية ــ تعيرّنه بنفيك الى هنجام » .

فكتبت له رسالة ضمنتها بيت من الشعر هو :

يا تيــل خبــر هلــي النفي ما بي عــار
يكفي احوز الفخــر مع زمــرة الاحــرار

وبعد ان انتهيت من كتابة الرسالة قرأت هذا البيت على الحاضــرين فصفقوا لي جميعــا .

وقد سألت الشيخ حبيب عن كيفية حصولهم على الطعام في الجزيــرة فقــال :

كان القنطرجي (المقاول) السيد ابراهيم كله داري وهو ايراني مــن بندر بوشهر يأتينا بالطعام وكانت مخصصات كل شخص منا (٥) روبيات يومياء

وقال : بعد مدة من الزمن حوالي اربعة اشهر من بقائنا في الجزيــرة ارسل الينا من يطلب منا تعهدا بان لا نقوم بأي عمل ضد الحكومــة حتى يطلق سراحنا وهذا نص التعهد :

(اقسم بالله انني اتبع سياسة جلالة ملك العراق واتحاشى عن القيام باي حركة تخل بالامن او تهييج الافكار ضد الحكومة) .

وقد وافق عبدالرسول كبة وامين الجرجفجي على اعطاء هذا التعهــد اما جعفر ابو التمن ، وحمدي الباجهجي وسامي خوندة ، ومحمد مهــدي البصير ، وانا لم نوافق على اعطاء هذا التعهد وقلنا معا نعتزل السياسة ولا نعطي هذا التعهد . وبعدها ارسل لنا المستر لويد مستشار وزارة الداخلية الى هنجام خبرا (احسن ان تقبلوا شروط الحكومة) .

واخيرا وتحت وطأة التهديد والوعيد اضطررنا ان نعطي هذا التعهــد وبعد مدة من الزمن عدنا الى العراق وبقي جعفر ابو التمــن وحيــدا في جزيرة هنجام الموحشة .

الفصل الرابع

سامي خونة

في منزل جميل في محلة الوزيرية مـن مدينة بغـداد سكن رجل جاوز الثمانين من عمره تبدو عليه علامات القوة والنشاط وقد فاجأني منظره الانيق ، وقد كنت اظنه رجلاً هدمته كر الايام ومـر السنون ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث وكان لبشاشته اثرها الكبير في نفسي وقد قادنا الرجل الى غرفة واسعة انيقة تبدو عليها مظاهر الذوق السليم في ترتيب أثاثها القديمة التي تحكي لك تاريخ طويل عاشته وبعد استراحة قصيرة ، بدأت اساله واسجل اجوبته علـى اسئلتي الكثيرة التي امطرته بها . وان اول سؤال يواجه بـه السائل هو : كم عمرك ومتى ولدت ؟ فأجابني الاستاذ سامي خونده قائلا :

قبل ان اتحدث لكم لا بد لي ان اقدم نفسـي وابدأ بوالدي رحمه الله : ولد والدي في شهر رمضان سـنة ١٢٧٥هـ ، ولمـا شب وكبر درس في مدرسة الرشدية التي اسسها والي بغداد مدحت باشـا . وتخرج فيها الاول في صفه ثم الحق بقلم الولاية بتوجيه من والي بغداد الاسبق نامق باشا سـنة ١٣١٥ وتقدم في عمله هذا مواصلا دراسته في اداب اللغة العربية واللغة التركية . وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ــ وبناء على الحاجة الماسة في توسيع الادارة ــ صارت ترسله الحكومة الى مدرسة الاعدادي ملكي ، مرتين في كل اسبوع لالقـاء محاضرات في اداب اللغة العربيـة واللغة التركية ساعتين في الاسبوع ، كما عهد اليه في الوقت نفسه الاشراف على جريدة الزوراء التي كان يومها الجريدة الوحيدة التي كانت تصدر في بغداد بلغتين العربية والتركية ،

وظل والدي يشرف عليها حتى جاء محمد فهمي المدرس فاستلم ادارتها من الولاية .

وكان من طلاب والدي في هذه المدرسة : المرحوم محمود صبحي الدفتري وحكمت سليمان وعارف السويدي وحسن رضا وعلي البزركان وغيرهم .

اشتغل والدي بعض الوظائف الادارية خارج بغداد منها قائمقامية عنه ومندلي وسامراء .

مارس الزراعة في مزرعته الخاصة مع افراد عائلته وكان مزارعوا هذه الاراضي عشيرة الجبور (فرع البوبكر وما زال اولادهم واحفادهم في الارض نفسها) .

ثم قال سامي خوندة : كان والدي صاحب ديوان يلتقي فيه باصدقائه ومحبيه مساء كل يوم وكان يجتمع فيه نخبة طيبة من الادباء والشعراء والسياسيين وكان هذا الديوان منتدا ادبيا وتاريخيا تدور فيه كثير من حوادث التاريخ والادب والسياسة وكنا ونحن صغار يومها نستمع الى تلك الاحاديث من افواه الحاضرين . وكانت مدرستنا الاولى تلك النخبة الطيبة التي تتلمذنا عليها وتعلمنا منها الكثير وانتفعنا بها من حياتنا العملية بعد ان كبرنا ومارسنا دورنا في الحياة العملية .

ثم قال : اما انا فقد ولدت في مساء يوم الاثنين ١٧ رمضان/٣١٧ الموافق ٢٥ كانون الاول ١٩٠١ وقد راخ الشاعر التميمي يوم مولدي ببيتين من الشعر قال :

بالبشر وافى كماقيه تأرخ بل   في الخير محمود سامي حانمولده

وبحسان الشعر يكون مولده سنة ١٣١٦ هـ - ١٩٠١م .

في دارنا الواقعة في محلة جديد حسن باشا ١٧/١ من عائلة موسورة عربية عبادية مهدية يمتهن البعض منها الزراعة من مزرعتنا التي كانت ملكا صرفا لنا والمسماة (العريفية) وقد كان جدي لابي قد انتقل من محلة قنبر علي وحده الى محلة جديد حسن باشا وبقى مع اولاد عمه مزارعا في هذه الارض الواقعة في الجانب الايسر من نهر ديالى المحادة للجسر المسمى باسمه اليوم والتابعة في الحال الحاضر الى ناحية الجسر في قضاء المدائن بمحافظة بغداد وكان يتعاطى الاعمال التجارية في المحلة القريبة من مقهى المصبغة ، وقد سميت هذه الاراضي باسمه الملا معروف العبادي بن الحاج ابي بكر المهدي كان جدي الخامس لابي لعب دورا بارزا في الاشتراك مع العشائر العربية التي قاتلت الايرانيين على عهد السلطان مراد الرابع في استعادة بغداد منهم فاسكنه السلطان المذكور مع البعض من عشيرته بغداد بعد استردادها من الايرانيين ولعل ذلك كان بدء معرفة محلة المهدية باسم عشيرته •

لقد نال جدي هذا وابنه الملا معروف لقب (خوندة) الذي كانت الدولة العثمانية تمنحه للعلماء البارزين من رجال الدين ومعناه (عالم) وسبق لنا ان ابرزنا بعض المستندات الى المحكمة الشرعية ببغداد وما زالت هذه المستمسكات في المحكمة في اغلب الظن •

وتتصل عائلتنا بالخؤلة بآل الوتري في بغداد منذ جدنا الخامس وبعشيرة البو عباس في سامراء منذ ثلاثة أجيال •

الدراسة :

كانت في بغداد في السنوات الاخيرة من العهد الحميدي مدرسة تدعى (المدرسة الحميدية) وهي مدرسة اولية وكان محلها مدرسة الحقوق في العهد العثماني ومتصرفية لواء بغداد ثم دائرة التنفيذ الحالي الواقعة على مقربة من المحاكم المدنية ، فالحقني بها والدي في سنة ١٩٠٨ (١٣٢٦ هـ) وهي تعلم

الصبيان والاطفال القراءة والكتابة بعد ان يقرأ القــرآن الكريم فيها وكانت هذه المدرسة تدار من قبل مديرها المرحوم السيد عثمان ومعلميها السيد فارس والملا عبدالرزاق والالة فضل الدين الافغاني رحمهم الله • وعندما بلغــت التاسعة من العمر التحقت بمدرسة (الرشدية العسكرية) وكان محلهــا اليوم الثانوية[1] المركزية ١٩١٠ وتخرجــت فيها ســنة ١٩١٢ وكانت الحكومــة مشغولة في حرب دول البلقان فلــم اشــأ الاستمرار بالدراســة في المدارس العسكرية وانتقلت الى الصف الخامس من مدرسة الاعدادية الملكي بالامتحان وفي سنة ١٩١٤ بدل اسمها بـ (المدرسة السلطاني)[2] فانتقلنا الى الصف العاشر

---

(١) انشئت بناية هذه المدرسة عام ١٨٧٩ ايام الوالي عبدالرحمن باشا وهو الرابع ثم السابع من ولاة بغداد وانتهى أمرها زمن الاحتلال البريطاني . وكان خريجوها يؤهلون للدخول الــى الاعدادية العســكرية التى تعــد للدخول الى الكلية العسكرية في اسطنبول .

وهذه المدرسة عسكرية صرفة ذات اربعة صفوف مديرها ومأمور الادارة والانضباط فيها والمعلمون كلهم من الضباط . الا بعض الدروس مثل الصــرف والنحو العــربيين وعلوم الدين واللغة الفارســية واللغة الفرنسية فمعلموها من علماء الدين والمتخصصين من الملكيين يشتغلون بالراتب .. اما الضباط فراتبهم العسكري فقط . والمدرسة هذه تعادل المدرسة الابتدائية اليوم .

كانت المدرسة الرشيدية العسكرية والاعدادية العسكرية كلاهمــا في بناية المحاكم اليوم قرب سوق السراي . ثم انتقلت المدرسة الرشيدية الى بناية شيدت لها هي الاعدادية المركزية اليوم ، وبقيت بناية المحاكم خاصة بالاعدادية العسكرية كانت الدراسة في الاعدادية العسكرية ليلية وعلى هذا فأن الطالب فيها ينام في المدرسة طيلة ايام الاسبوع ولا يخرج الا يوم الخميس ويعود يوم الســبت (رؤوف طــه الشــيخلي " مراحــل الحيــاة : حـ١ ص٣٢) .

(٢) المدرسة السلطاني : عندما تولى مدحــت باشــا ولاية بغداد في عهــد السلطان عبدالحميد كان من جملة الاعمال التي قام بها فتح مدرســتين اعداديتين اعدادي عسكري (واعدادي ملكي) . وكان مجلس المبعوثان العثماني (البرلمان) قد قرر نزولا عند مطالبة ممثلي البلاد العــربية ان يكون التدريس في المدارس الاعدادية الملكية في البــلاد العربية في بغــداد

ومن نقل الى هذا الصف رؤوف البحراني وصادق البصام وعبدالعزيز الخياط في متوسطة الجعفرية وعندما نجحوا الـى الصف الحادي عشر اعلنت الحرب العالمية الاولى فأخذوا رؤوف البحراني الى خدمة الاحتياط لانــه كان مــن مواليد ٣١٣ وفي السنة التالية اخذوا صادق البصام الى خدمة الاحتياط لانــه من مواليد ٣١٤ وارسلا الى الاستانة .

وفي صيف ١٩١٦ تخرجت فيها مع عدد من زملائي وهم :

سلمان الشيخ داود

عبدالكريم باقي

ابراهيم عاكف الالوسي

عبدالرحمن خضر الكتبي

عبدالحميد الكيلاني

سامي عبدالله خوندة

توفيق رشدي

خيري السنوي

شاكر السويدي

اسماعيل مجيد

افهم رشيد

ودمشق وبيروت باللغة العربية . وتخلصا من تنفيذها هذا القرار قامت وزارة المعارف في اسطنبول يؤيدها النواب الاتحاديين في (دورة الاجتماع ١٩١٤) بتبديل اسم مدرسة الاعدادي ملكي في هذه الولايات الثلاث الى (المدرسة السلطاني) وبذلك اصبح لا وجود للمدارس التي طالب النواب بتعريب التعليم فيها وارتاح رجال حزب الاتحاد والترقي لتحقيق مـا ارادوه وبقي التدريس في هذه المدارس باللغة التركية . ولكن هذه المدارس ذات الاثنى عشر صفا لم يطل بقاؤها ولم تخرج سوى دورة واحدة فقط . حيث انتهى امرها باحتلال مدينة بغـداد مـن قبل القوات الانكليزية في ١١ آذار ١٩١٧ .

وهـذه الدورة الوحيدة التـي تخرجت ولم تتخرج بعدها ايـه دورة لسقوط بغداد بيد الانكليز في سنة ١٩١٧ م ٠

خدمـة الاحتياط :

كانت الحكومة العثمانية مشغولة في جبهات القتال في الحرب العظمى ولم تكن مدرسة الحقوق (الوحيدة) التي كانت في بغـداد فاتحة ابوابهـا للطلاب فراجعت مع بعض من زملائي في التخرج من مدرسة السلطاني ادارة مدرسة الحقوق وقد كان مديرها المرحوم حكمت سليمان[٣] فاكتفى بتسجيلنا في الصف الاول منها فحسـب وسجلت برقم ٤٠١ ومازلت احتفظ بهويتهـا المؤرخة ١١ آب ١٩١٦ دعيت مع زملاء كثيرين الـى خدمة الاحتياط فجرى تجنيدنا بدورة ضباط الاحتياط التي نقل مقرهـا مـن بغـداد الى استانبول فسافرت اليها والتحقت بمدرسة المدفعية هناك (في رامس) وكنت اول مـن نقل الى هذه المدرسة من بغداد من ضباط الاحتياط وفي شهر نيسان /١٩١٧ تخرجت (وكيل ضابط) ثـم ملازم فجرى تغييني بفوج مدفعي بأمرة مقدم الماني من ضباط الركن اسـمه (المايور بيكل) فسافرنا الـى حلب للالتحاق بالجيش السابع باسم جيش الصاعقة بأمرة المرحوم الغازي مصطفى كمال ومن ثم بدل وجهة هذا الجيش الى فلسطين بعد ان كان مهيئا الى استرداد بغـداد من الانكليز وكان ذلك في ١٧ ايلول / ١٩١٧ وفيه تركنا استانبول الى دمشق وفي دمشق قبيل حركتنا الى فلسطين قابلت المرحوم ابراهيم حلمي العمر وكان يصدر جريدة لسان العرب في دمشق فرحب بي ودعاني الى تناول طعام الغداء في داره وعنده وجدت المرحوم السيد ثابت عبدالنور وكان يسـكن معـه في دار تقع في سوق (ساروجه) من البلدة وهناك دار الحديث بيننـا حـول اعمال جمال باشا وشنقه شباب العرب في دمشق وبيروت وغيرها وقد قال لي

---

(٣) كان حكمت سليمان يشغل يومها قائمقام مركز بغداد اصالة ، ويشـغل وكالة مديرية مدرسة الحقوق ومديرية المعارف في نفس الوقت .

(ابراهيم حلمي) انه يصدر ويحرر هذه الجريدة هنا تخلصنا من ان تصل ايادي الباشا الى رقبتي وعندما زرته مرة اخرى في داره اخبرني بسفر المرحوم ثابت عبدالنور الى الحجاز للالتحاق بثورتها سرا .

جبهة فلسطين

كان قد صدرت الاوامر بوجوب التحاقنا بجبهة القتال وفي ٢٦ تشرين الاول ١٩١٧سافرت قطعاتنا من دمشق الى (قاليكليا) المقابلة الى يافا قضاء طولكرم مارين بسهول وتلول الجولان وبعد ان مكثنا فيها اسبوعا الحقنا بجهات عديدة من هذه الجهة من اريحة والعودة الى رام الله ، وسهول يافا وغيرها ومر علينا مدة تقارب السنة تغيرت فيها جبهات القتال من محل لاخر وفي ٢٧ آب/١٩١٨ اصبت ببعض الجروح في جسمي نقلت على اثرها الى مستشفى حيفا لمعالجة جروحي .

كان معي في جبهة القتال هذه الملازم شوكت يمني[٤] وكان خير رفيق لي في ساحة الوغى نجتمع احيانا ونتسلى بذكر الماضي ونتساءل عن هذه الحرب الطاحنة . والحق كانت مصاحبتنا تتحلى بما جبل عليه هذا الصديق في الاصالة وحسن الخلق والوفاء سيما عندما تقرر ارسالي الى مستشفى حيفا جريحا جاءني متألما ومتوجعا لحالتي فخفف عني الآم الجرح وان لساني ما زال يذكره ويردد له آيات الشكر فلقد تسلم ما لي من الاثاث وقام بالسؤال عني كثيرا طيلة بقائي في المستشفى حتى وقعت في الاسر في ٢٣ ايلول/١٩١٨ وذلك عندما قام الجنرال اللبني البريطاني بهجومه الاخير على جبهة يافا ـ طول كرم بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩١٨ .

وقعت في الاسر يوم الثلاثاء ٢٣ ايلول/١٩١٨ حينما دخلت الجيوش البريطانية بلدة حيفا من جهاتها الاربعة واحاطت بها وقد جاءت حظيرة من

---

(٤) شوكت يمني : صار برتبة عميد مدفعي في الجيش العراقي كان الفوج مؤلف من بطاريتين ثقيلتين وكان في الثانية منه الملازم شوكت يمني .

الجنود الهنود ودخلت المستشفى العسكري الذي ارقد فيه واخذوني اسيرا • لقد بقينا في المستشفى عشرة ايام او اكثر وكانت امور المعالجة تسير في مسيرها بصورة جيدة وقد تعرفت فيها على العقيد الجراح (عزة بك) الذيَ كان قد امضى زمنا طويلا في المستشفى في بغداد وهو تركي الاصل يتكلم العربية العراقية فعالجني وكان لي خير مسل باحاديثه كلما جاء غرفتي ومر بصحبة الممرضات رحمه الله •

لقد امرت السلطة العسكرية تسفيرنا الى مصر بالقطار الذي جرى اصلاحه بسرعة من قبلها من حيفا الى القنطرة ومنها الى (سيدي بشر)[٥] في الاسكندرية مارين في بلدة طنطا ودمنهور وادخلنا في معسكر أعد لأسرى الحرب في صحراء البلدة هذه فوجدت فيها البعض من معارفي قد سبقوني الى هذا المعسكر واذكر منهم[٦] :

١ ــ المقدم محي‌الدين واصف : وكان يرأس مجموعة الضباط العراقيين
٢ ــ الملازم الاول سلمان فتاح
٣ ــ الملازم شاكر الوادي
٤ ــ الملازم رؤوف عبدالله

---

(٥) سميت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة الى مرقد رجل من الصالحين اسمه (بشر) وقد بنى عليه جامع ينفرد في الصحراء على ساحل البحر وحوله مقبرة • وقد انشأ الانكليز معتقلاً هناك واحاطوه بالاسلاك الشائكة •

(٦) وقد انتسب عدد من هؤلاء الضباط الى الجيش العراقي عند اول تشكيله ومنهم :
١ ــ محي‌الدين واصف ــ برتبة عقيد
٢ ــ سلمان فتاح ــ برتبة عقيد
٣ ــ شاكر الوادي ــ برتبة عقيد
٤ ــ رشيد علي ــ برتبة عقيد
٥ ــ عبدالقادر فخري ــ برتبة مقدم
٦ ــ حسن علي ــ برتبة مقدم
٧ ــ رؤوف عبدالله ــ برتبة مقدم

٥ ـ الملازم نصرت الفارسي : حقوقي احتياط

٦ ـ الملازم حسن فهمي علي : مدير الشرطة العام فيما بعد في الحكومة العراقية

٧ ـ الملازم اسماعيل صفوت بالموصل (الفريق الركن اخيرا)

٨ ـ الملازم عبدالحميد نصرت (ضابط اعاشة) في الجيش العراقي

٩ ـ وكيل ضابط محي‌الدين ابو الخطاب ـ الموصل

١٠ ـ العالم الفاضل السيد حبيب العبيدي ـ الموصل وهو من رجال الدين

١١ ـ الملازم الاول عبدالقادر فخري

١٢ ـ الملازم حسن علي ـ الموصل

١٣ ـ الملازم الاول رشيد علي

وقد رأس الضباط العراقيين المقدم محي‌الدين فكان همزة وصل بيننا وبين ادارة المعسكر بمساعدة مترجم ارمني (نسيت اسمه) وهنا كنا نجتمع دوما ونتجاذب اطراف الحديث في امور شتى وقد انتهزت فرصة وجودي في المعسكر فشاركت جمعا من الضباط العرب السوريين والفلسطينين في دراسة اللغة الانكليزية وكان يدرسنا ضابط برتبة ملازم أول ارمني صيدلي كان قد سمح له أن يقوم بتدريس هذه اللغة الى من يشاء من الضباط باجر زهيد .

وفي المعسكر هذا كان قد اعدت لنا خياما كبيرة وضعت فيها أسرة كنا نسكنها وجهزت لنا السلطة محلا (مطعما) وخصت فيه طهي الطعام لثلاثة اوقات يستحضره مساعدوا المتعهد مقابل ثلاثة جنيهات مصرية تستقطع من المخصصات الشهرية حيث خصص راتبا لكل ضابط اسير منا قدره ستة جنيهات في الشهر لمن لا تتجاوز رتبته في الجيش الرئيس (النقيب) وتسعة دنانير الى الرتب العليا من مقدم الى رتبة عميد .

وكان المعسكر هذا يديره ضابط مسؤول اسمه (الكابتن بوش) وهو بريطاني يساعده ثلاثة من الضباط احدهم ارلندي لا اذكر اسماءهم . وكان بوش رجلا دمث الاخلاق لم يبد منه ما يستوجب العتاب او الجدل معه وقد هيأ لنا كل ما اردنا ففتح لنا حانوتين واعد لنا محلا لممارسة الرياضة البدنية وكان يرتاح كلما قام لنا بعمل معروف . كنا نستطيع السباحة في البحر مساء كل يوم وفي احد الايام هرب من المعسكر ضابط تركي من الاسر في وقت كان فيه المصريون يطالبون بالاستقلال بزعامة المرحوم (سعد زغلول) وكنا نشاهد المظاهرات التي كان يقوم بها اهل مدينة الاسكندرية فأهتمت ادارة المعتقل بالبحث عن هذا الضابط ومنعنا من بعض ما كنا نتمتع به من حرية السباحة في البحر وحددت ساعات النوم واجراء التعداد صباح ومساء كل يوم ولم تعثر على الضابط بالرغم من التحريات التي اجرتها السلطة المسؤولة .

لقد امضينا مدة تقارب سبعة اشهر كنا خلالها نتمتع بصحة جيدة . وكان يسمح لنا بقراءة الصحف المصرية ، التي كانت تصلنا وهي جريدة المقطم والاهرام وبعض الكتب المسلية .

ولا انسى حسن مصاحبتنا مع ضباط العرب الذين كانوا معنا من سوريا ولبنان وفلسطين فكنا نتجاذب معهم اطراف الحديث الشيق والمسلي والمخفف لغربتنا وكربتنا . والذي ما زلت اردد تحيات الود والاخاء للصديق رفعت الجوهر من نابلس فقد كان لي خير صديق وفي رحمه الله ان درج الى رحمته وبحسن الصحة ان كان مازال حيا .

كان رقمي في الاسر ٤٩٠٠ وكانت ادارة المعتقل تطلب حضور الضابط الذي تروم مقابلته بقراءة رقمه وكان المترجم الذي عين ليكون مترجما وسيطا بيننا وبين ادارة المعتقل هو ارمني لا يعرف من التركية الا قليلا ولكنه كان يتظاهر بمعرفتها ذلك امام المدير وكنا نكلمه باللغة العربية التي لا يعرف منها اكثر مما يعرف من اللغة التركية يظهر انه كان قد ولد في قفقاسيا وجيء

به مترجما الى معتقلات الاسر • ان حسن الطالع في هذه الحرب لم يحالف دول الاتفاق(٧) المانيا وتركيا وحلفائهم وكان يوم ٣٠ تشرين اول ١٩١٨ يوما مشهودا في معتقلنا كما في العالم كله اذ عقدت (هدنة رودس) بين الجيوش المحاربة • وما أن سمعنا وقرأنا الخبر في الصحف حتى جاش في صدورنا الفرح بقرب عودتنا الى بلادنا وقد تحقق ذلك •

جاءت المعسكر لجنة عراقية يرأسها المقدم علي غالب جروه (ولا اعرف هويته) البغدادي وتنقل من معتقل الى آخر لمعرفة العراقيين الذين هم في معتقلنا والتوقيع على هويتهم فطلبت حضور كل واحد منا لمقابلتها وقررت (عراقيتنا) بعد ان تبادلت الحديث مع المقابل لها من الضباط العراقيين وعندئذ استبشرنا بقرب العودة الى وطننا وكان لنا ما اردنا • وفي ١٩١٩/٤/١٠ بلغنا بقرب عودتنا فاستحضرنا للامر واخذنا نجمع امتعتنا وحاجاتنا • وفي ١٩١٩/٤/١٤ تركنا المعتقل بحراسة حضيرة من الجنود البريطانيين الى الاسكندرية ومنها الى بور سعيد في القطار الى السويس حيث امضينا فيها سبعة ايام ، وهناك حدث حادث لا زلت اذكره حتى اليوم بألم شديد : وضعنا في السويس في غرف عديدة مجهزة لسكنى الجنود البريطانيين ، وقد طلب منا الضابط الموكل بحراستنا التجمع فاجتمعنا وقد تأخر نصرت الفارسي عن الحضور في الموعد وكان يغسل وجهه في الحمام ، فذهب اليه العريف الانكليزي وضربه في السوط على كتفه الايمن ، وقد تأثر نصرت من هذه الاهانة التي لحقت به ، واخبرنا بذلك ، فاجتمعنا واعلنا احتجاجنا على هذه التصرفات غير اللائقة ، فحضر احد كبار الضباط الانكليز الموكل اليه تسفيرنا الى بومبي ، وقال لنا مخاطبا : انكم حتى الان جنود اسرى بامرتنا ولا نقبل منكم هذا الاحتجاج • ومنها ابحرنا الى بومبي بالباخرة واسمها (آررا اوندا)

---

(٧) كان يطلق على الدول المتحاربة المتكتلة الى كتلتين : الكتلة الاولى (دول الاتفاق) وتضم (المانيا وتركيا وبلغاريا وايطاليا) والكتلة الثانية : دول الائتلاف وتضم (بريطانيا وفرنسا وروسيا وامريكا) •

فوصلنا بعد ستة ايام وبقينا فيها اسبوعا بحراسة الجنود وابحرنا بعدها الى البصرة فوصلناها بعد ستة ايام ومن البصرة جرى تسفيرنا بالقطار الى العمارة ومنها ارسلنا الى الكوت نهرا ثم الى بغداد في القطار .

كانت القاطرة التي نقلنا بها من الكوت الى بغداد مخصصة لنقل الحيوانات فهي ملأى (بروث الدواب) وفضلاتها كما وان البرد كان قارسا جدا ولم يكن معنا ما يخفف عناءه عنا . وقد قطعنا المسافة من الكوت ـ بغداد وقوفا فيها تارة ونضطجع على هذه الفضلات تارة اخرى وقد اصيب زميلنا نصرة الفارسي بوكعة شديدة شاركناه في الامها دون ان يكون بوسعنا اسعافه والتخفيف عن الامه وقد كانت هذه من اتعس ذكرياتنا عن حالة الاسر والامه .

وصلنا بغداد صبيحة يوم السادس من مايس ١٩١٩ وادخلنا في المعسكر البريطاني في الهنيدي (معسكر الرشيد حاليا) وبقينا فيه اسبوعا وفي ١٥ مايس ١٩١٩ اطلق سراحنا وسرنا الى البلدة (بغداد) مشيا على الاقدام حاملين معنا ما بقي لنا من امتعة وحاجات كما جاء في كتاب مديرية الشرطة العامة المرقم ٩٥٧٩ والمؤرخ ٣٠ مايس/١٩٣٠ الموجه الى وزارة الدفاع .

وجدنا بغداد قد تغيرت معالم بعض شوارعها وفتح فيها الشارعان المتوازيان شارع حسان بن ثابت الذي يبدأ من مقهى الزهاوي في شارع الرشيد الى ساحة مديرية الشرطة العامة بعد ان شق بناء دائرة البرق والبريد العامة السابقة والثاني شارع الجسر القديم (الشهداء الحالي) الذي يبدأ من مدخله في شارع الرشيد الى رأس الجسر وكان هذا زقاقا ضيقا لا يستوعب مرور اكثر من عربة واحدة . لقد كان يوم وصولنا بالنسبة لعائلاتنا يوما مشهودا لانها لم تكن تعرف مصيرنا لانقطاع الاتصال والاخبار عنها منذ مدة تزيد على السنتين منذ ان انفصلت بغداد عن الحكومة العثمانية بسقوطها بيد الجيش البريطاني في يوم الاحد الموافق ١١ اذار سنة ١٩١٧ .

مجلـة اللســان :

وفي يوم لا اتذكره بينما كنت عائدا الى داري قابلني المرحوم السيد مكي[٨] الاورفه‌لي بالقرب من جامع (القبلانية) الذي كانت تجمعني معه صلة الصداقة وقال لي : مفاجئا ان الاخ احمد عزة الاعظمي[٩] هنا وقد اشار بيده الى الخان المجاور الى المقهى المسمى الجامع وقد سأل عنك كثيرا وهو مواظب على الحضور في احدى غرف الخان صبيحة كل يوم ، فذهبت في اليوم الثاني فوجدته مع صديق له الضابط علي رضا الغزالي وكانا يبحثان عن امور لها مساس بحالة بلادنا سياسيا واقتصاديا وقد لقيت منهما اجمل ترحيب لسبق معرفتي بالمرحوم عزة الذي كان قد عاد حديثا من استامبول وقد افترق كل واحدمنا عن الاخر فترة طويلة من الزمن وان المرحوم السيد احمد عزة الاعظمي معروف في البلاد العربية وخارجها من اوائل المؤسسين لحزب العهد في استامبول مع المرحوم الجنرال عزيز علي المصري وبعض الضباط العراقيين ولطول السعي الذي لازمه في تطور الحالة السياسية والاجتماعية في البلاد العربية قبل وبعد الحرب العالمية الاولى منذ اوائل هذا القرن . وفي اليوم الثاني كنت في محلهما والمرحوم الاورفه‌لي والسيد عبدالغفور البدري وقد طال الحديث عن كيفية اصدار مجلة ادبية تبث في سطورها الابحاث الاجتماعية والادبية والتراث العربي وغيرها . واتفق اخيرا على اصدار مجلة

---

(٨) السيد مكي الاورفلي : صار عضوا في محكمة التمييز العراقية . وهو والد فائق الاورفه‌لي .

(٩) احمد عزت الاعظمي : صاحب لسان العرب التي اصدرها في اسطنبول في سنة ١٩٢١ عندما تشكل حزب العهد العراقي . وهو شخصية معروفة في البلاد العربية بنضالها ضد السيطرة الطورانية . وقد سيق بسبب آرائه القومية العربية الى ديوان الحرب العرفي في بيروت سنة ١٩١٤ من قبل جمال باشا السفاح والي سورية يومها . وقد افرجت عنه المحكمة وكان قد سيق معه كما هو معروف ـ عددا آخر من العراقيين الى هذه المحاكم منهم : ابراهيم حلمي العمر ، صاحب جريدة لسان العرب في دمشق ، وجريدة المفيد في بغداد ومحمد عاصم جلبي .

(اللسان) على ان يكون الضابط علي رضا الغزالي(١٠) صاحبها والاعظمي رئيسا لتحريرها دون ان يكتب ذلك فيها واتخذت الغرفة التي نجلس فيها محلا لادارتها وبعد موافقة السلطة المحتلة على ذلك صدر العدد الاول منها في شهر تموز ١٩١٩ الموافق لشهر شوال ١٣٣٧ هـ : واصبح محل ادارتها ندوة يجتمع فيه الشباب المثقف والعاملين في الحقل الوطني وزمرة من الضباط العائدين من دمشق بعد سقوط حكومتها واحتلالها من قبل الجنرال غورو الافرنسي .

وكان ما ينشر في المجلة يهدف الى غرس روح التفاني في سبيل البلاد ضمن المقالات التاريخية والادبية وكانت اول مجلة تصدر بعد احتلال بغداد من قبل الانكليز واخذت المجلة تهيء جوا للثورة العراقية على الانكليز وتسلط الضوء على اعمال المحتلين واذكر انها قد طلبت في احد اعدادها من القراء تشطير هذين البيتين :

سكت فغر اعدائي السكوت وظنوني لاهلي قد نسيت
فكيف انام عن سادات قوم أنا في فضل نعمتهم ربيت

وفي عدد آخر طلبت تشطير او تخميس هذين البيتين للمرحوم الشيخ (الدكتور) محمد مهدي البصير :

ليس العراق سوى بيت اقيم به وانما اسرتي ابناؤه العرب
وما بنو الضاد في كل البلاد سوى سراة ابناء عمي حين انتسب

فأثارت هذه الابيات من الشعر روح القومية العربية والثورة في نفوس الشعب على المتسلط الاجنبي وكانت خير مجاهد لما تنشر في سبيل الجهاد

---

(١٠) علي رضا الغزالي : ضابط عراقي ، تخرج في المدرسة الحربية في اسطنبول سنة ١٩١١ وهو من سكنة محلة قنبر علي وانضم الى الجيش العربي في دمشق ثم عاد الى بغداد . كان صديقا حميما للمرحوم احمد عزت الاعظمي .

المقدس لخلاص البلاد من الحالة السيئة التي اوجدها الاحتلال البريطاني وقد بقيت دائبة في توعية الشعب العراقي في نشر ما يوقد عزيمته في مقاومة الاحتلال الاجنبي الغاشم للبلاد بمقالاتها الادبية والتاريخية وتثير الشعور القومي والحماس الوطني بين صفوف الشباب المثقف والعاملين في ميدانها • ورفعت شعار (حب الوطن من الايمان) وقد استمر صدور المجلة بحلتها هذه مدة تقارب السنتين ثم توقفت عن العمل •

لقد عاد الى العراق الضباط العراقيون الذين كانوا في الجيش العربي في دمشق بعد هجوم الجنرال غورو الافرنسي عليها ــ كما اسلفنا ــ وكان اكثرهم ممن عمل في الثورة الحجازية وروت دماء زملائهم الزكية ارض البلاد العربية مع الجيوش البريطانية في جبهات القتال ضد الحكومة العثمانية وقد صمموا بعد عودتهم الى الوطن القيام بما يتطلبه واجباتهم تجاه وطنهم وعندما جاءوا بغداد وجدوا كما وجدنا قبلهم ان حكومة الاحتلال البريطاني تحكم بقوانين الاستعمار السارية المفعول في مستعمراتها التي لاتخلو هذه من (شريعة الغاب) وقد تظاهرت الفئة الحاكمة ضم العراق الى مملكتها في الشرق الادنى كالهند وغيرها وتناست ان العرب ومنهم العراقيون قد اشتركوا معها في مقاتلة الجيوش العثمانية بثورتهم المعروفة في الحجاز كحلفاء لها كما سجل ذلك في الاتفاق الذي جرى بين اللورد كنشر[11] وزير بريطاني الذي اناب (ماكماهون) عنه وقد كان هذا بين ماكماهون وبين الملك حسين ملك الحجاز•

لم يمر زمن طويل على هذا الاتفاق حتى اجتمع مندوبو بريطانيا وفرنسا في باريس في سنة ١٩١٦ ووقعوا سرا معاهدة باسم (معاهدة سايكس ــ بيكو) وهي تقضي ان يحكم الفرنسيون سوريا والبريطانيون العراق كأنها

(١١) اللورد كنشر : وزير خارجية بريطانية سنة ١٩١٤م • وقد مات غرقا في مضيق (استازراق) في شمال الدنمارك من قبل بارجة المانية ، حينما كان ذاهبا الى بحر البلطيق حاملا معه مليوني باون ذهبا لاعطائها الى حليفتهم روسيا •

ارث قسم بين الوارثين فهجم الجنرال غورو الافرنسي على سوريا واحتلها في ربيع ١٩١٨ واخرج منها الضباط العراقيين وغيرهم واعتقل اكثرهم في جزيرة (ايرواد) التي تقع في البحر المتوسط مقابل بيروت ثم سفرهم الى بلادهم وقد تكلم هؤلاء البريطانيون معنا بلغة السيف لغة الاستعمار بعجرفة وغرور وقد انساها (الغرور الذي تمتعوا به بانتهاء الحرب) ما اتفق عليه في المكتب العربي بمصر والكيان السياسي الذي رسمه هذا الاتفاق لبلادنا في وقت كانت الجيوش البريطانية بامس الحاجة الى مساعدة الجيوش العربية المحاربة ضد العثمانيين ، وتلك حالة المستعمرين عندما شربوا كؤوس الظفر من الحرب نسوا ان دماءنا اريقت في سبيل الاستقلال ليس الا .

هذا ما كنا نردده نحن شباب الحي صبيحة كل يوم عندما نجتمع في مقهى المصبغة (مقهى الشط) ونتناول اطراف الحديث بالرغم من احاطتنا برجال الامن والعيون والارصاد فيها .

لقد انتهت الحرب العالمية الاولى بعقد هدنة سميت بـ (هدنة رودس) وذلك في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ومن شروطها الظاهرة ان تتألف في العراق حكومة وطنية باعتباره من البلدان التي انسلخت عن الحكومة العثمانية ومنهم الحكومة العربية التي تألفت باستقلالها حسب اتفاق (ماكماهون — الحسين) كما اشرنا اليه آنفا وقد شعر الحكام البريطانيون وعلى رأسهم (الكولونيل ولسن) الحاكم العام بضرورة اجراء الاستفتاء العام من الاهليين حسب الاوامر التي تلقاها من وزارة المستعمرات البريطانية التي كان يرأسها في حينها (المستر تشرشل) عن نوع الحكم الذي يريده الامر الذي استغرق وقتا مديدا لعدم موافقة الحكومة البريطانية على ما يريده العراقيون او بالاحرى عن طلب تمتعهم باستقلالهم التام حسبما اتفق عليه خلال ايام الحرب وقبل ان يذوق هؤلاء حلاوة النجاح في حروبهم وقد سودوا التاريخ بالادوار التي لعبها الحكام السياسيون لتحقيق رغباتهم في الاستفتاء المقرر

عمله وقد احدث هذا صراعا مستمرا بين المواطنين والمحتلين الذي كانت تعوز رجاله معرفة رغبات اهل البلاد في أن تكون بلادهم مستقلة في عداد الحكومات التي ستأخذ استقلالها حسب الاتفاق •

كان المستعمرون يأملون ان تكون نتيجة الاستفتاء قبول ربط العراق مباشرة بالحكومة الهندية المستعمرة من قبلهم وبينما اخذ يشعر كل واحد من شباب الحي بالطريقة التي تضمن لبلادهم استقلالها قرر شباب الحي ان يجتمعوا صبيحة كل يوم في مقهى (المصبغة) او مقهى الشط كما مر ذكرها والمطلة على النهر والتي ما زالت على حالتها وهي شبيهة بناد صغير لبحث ما يجيش في صدورهم وقد علمت بذلك السلطة الحاكمة المحتلة بواسطة مستخدميها من الامن والتي تهتم بما يحدث وبما تلوكه السنة هؤلاء الشباب وبما يجيش في صدورهم لاعتقادهم بان الحكم للسيف وليس لغيره •

ان رجال الاحتلال كانوا يجهلون اللغة التي يجب استعمالها وهم ضعاف النفوس بما عملوا ولم تجد لغة الاستعمار محلها في قلوب الاهليين وقد سرت روح الحماس ضدهم فأخذت السنتهم تلوك ما اتفق عليه خلال ايام الحرب من اراقة دمائهم الزكية في ساحات القتال باعتبارهم حلفاء لبريطانيا بثورتهم المعروفة في الحجاز التي اوقد نارها المرحوم الملك حسين بن علي وفقا لما اتفق بين المتحاربين والمؤيدة من وزير خارجية بريطانيا في بدء الحرب (المستر كتشنر) الذي اغرق في مضيق استأزراف (الدانمارك) من قبل الاسطول البريطاني في شتاء سنة ١٩١٦ في طريقه الى روسيا حليفة بريطانيا حاملا معه مليوني باون استرليني ذهب حسبما رددته البرقيات في حينه •

جمعية حرس الاستقلال السرية :

لقد اخذت وزارة المستعمرات البريطانية تفكر باجراء الاستفتاء حول نوع الحكم الذي يريده الاهلون والذي يروق لهم وهذا ما اتجهوا اليه في حكمهم العراق الامر الذي زاد في تفكير الشعب بايجاد ما يضمن استقلالهم

فلم يجد المفكرون منهم بدا من تأسيس حزب سري يقوم بتوجيه المطالبة لسلطات الاحتلال لتحقق ذلك فقام كل من المرحومين علي البزركان وجلال بابان والشيخ باقر الشبيبي والسيد محمد الصدر وغيرهم بتأليف (جمعية حرس الاستقلال) السريةفي بغداد بموجب منهاج اتفق عليهواتخذ اسم (جمعية في بدء تأليفها لدفع ما قد يحصل في التردد في السماح لمؤسسيه ومن ثم بدل اسمه (بحزب سياسي سري) فأخذ الشباب الذين يعتمد عليهم بالانتماء اليه وكان قد تألف وفقا للخطة التي رسمها حزب العهد المعروف في صيف سنة ١٩١١ في استامبول من قبل عزيز علي المصري ورفقائه والذي اتخذ دارا له من محلة (قوزغو نجق) في تيك اوغلي وقد كان حزب الحرس ان انتفع بما عمله العهد خلال المدة من (١٩١١ ــ ١٩١٨) مما قام اعضاؤه ببعث روح النهضة العربية السياسية في البلاد العثمانية وكان المرحوم احمد عزة الاعظمي ركنا مهما فيه وقد اصدر في شهر ايلول/١٩١٢ في استامبول مجلة باسم (لسان العرب) المعروفة التي كانت تضم في طياتها ما يبعث الى النهضة العربية السياسية في جو لبد بغيوم حكام الاتحاديين في ارجائها وكانت المجلة هذه تصل أكثر البلاد العربية •

ان اهم الاعمال التي كان الشباب يقوم بها في بغداد انحصرت في بث الدعاية ضد اعمال المحتلين ولصق الاعلانات على جدران البيوت وفي الشوارع العامة وغيرها واستمرت هذه الاعمال بصورة سرية حتى وجد هناك حاجة الى اعداد جيل واعي ومثقف فأتجه الى مراجعة السلطة المحتلة في طلب موافقتها على تأسيس مدرسة اهلية (ابتدائية وثانوية) علاوة على المدرسة الجعفرية فتقدم السيد علي البزركان أحد مؤسسيها في شهر ايلول/١٩١٩ بطلب لذلك على أن تسد حاجة المدرسة مما تجود به ايادي المحسنين فوافقت السلطة على ذلك وجرى افتتاح المدرسة في شهر ايلول/١٩١٩ بأسم (المدرسة الاهلية)

مدرسة التفيض الاهلية فيما بعد باحتفال كبير واتخذت ادارتها في محلة العاقولية(١٢) .

الانتماء الى الجمعية :

وفي يوم لا اتذكره زارني صديقي المرحوم صادق حبة في داري مع المرحوم عبدالرحمن خضر (القاضي والمحامي اخيرا) وكان هذا زميلي في الدراسة وصديقي الصدوق وفي اثناء الحديث اخبراني بقيام بعض من يوثق بصدق اعمالهم ونقاوة ضمائرهم بالاتجاه الى تأسيس حزب سري بأسم (جمعية الحرس السري) كما اسلفنا تضم اليها الشباب الخيرين من ابناء البلاد لمقاومة السلطات البريطانية المحتلة التي عهدت لنفسها الوصاية على العراق وقد جرى الحديث بيننا واتفقنا على ان نبذل اقصى جهدنا في استقبال الشباب في عضوية الجمعية في وقت سرت فيه روح التمرد والثورة ضد المحتلين ومحاولة كسر قيودهم التي كبلونا بها بكل الطرق والوسائل المتاحة يومها . ورفض اللغة التي كانوا يتكلمون بها معنا وافشال الخطة التي كان قد جرى تخطيطها في المكتب العربي بمصر حسب اهوائهم . وفي اليوم الثاني ذهبت لاقابل صديقي المرحوم علي محمود الشيخ علي لاخبره بالامر فأتفقنا على الانتساب الى الحزب السري مع نخبة يعتمد عليها يتحلون بصلابة اتجاههم لايقاد نار المقاومة لعهد الاحتلال .

كنا شباب الحي في كافة اعمالنا غير مجربين وكنا نتلقى الاوامر وما يجب عمله من الحزب بطريقة الاتصال الفردي أي ينتقل الخبر من الواحد الى الاخر سرا وقد حافظ كل منا على سرية الامور بكل دقة وحذر وكانت مجلة اللسان التي اصدرها المجاهدان علي رضا الغزالي واحمد عزة الاعظمي (كما

---

(١٢) محلة العاقولية : سميت بهذا الاسم نسبة الى الامام العاقولي الذي ما زال مرقده فيها وكذلك مرقد الامام طه الذي كان قد نقلت رفاته الى سلمان باك ودفنت هناك باحتفال رسمي جرى له واقيم في مكانه تقريبا تمثال الشاعر الرصافي .

اسلفنا) تبث روح الحماس فينا وتشجعنا على العمل حتى نستطيع التخلص من ذلة العبودية ومن الاحكام الجائرة التي يمارسها المحتلون في بلادنا ، ضد ابناء الشعب وكنا ننفذ التوجيهات التي تصدر عن الحزب بكل امانة واخلاص وتصل هذه التوجيهات عن طريق اعضاء الحزب محافظين على السرية .

وكنا نجتمع احيانا في دار المرحوم (الحاج عبدالغني كبة) وفيه تعرفت على صديق العمر الشيخ (الدكتور) محمد مهدي البصير الذي كان يحضرها دوما ونستمع لاصداء اعمالنا في الاحاديث الشيقة التي كانت تضمها جنبات هذه الدار . كنا نحن الشباب محتاجين الى ثقافة والى توجيه فاعتمدنا في ذلك على كهول جمعية الحرس واصبحنا نكون جناح الشباب في الجمعية وكان اعتماد جمعية الحرس على نشاط الشبيبة(١٣) في بث الدعوة الى مقاومة الاحتلال بطريقة اوسع . كان قد اتخذ الحزب ادارة المدرسة الاهلية(١٤) مركزا

(١٣) يؤيد علي البزركان في مذكراته الخطية : وجود هؤلاء الجمهرة الطيبة من الشباب فيقول : (ان صادق حبة وهو من تلاميذه في المدرسة الجعفرية طلب الانضمام الى جمعية الحرس واخبره بوجود شبيبة ايضا ينتمون الى جمعية الحرس وهؤلاء الشباب يجتمعون في داري وقد وصل منهم الى الهيئة الادارية وظل قسم منهم خارج الجمعية يتصلون بأفراد الجمعية ويطلعون على مقرراتها ويقومون ببث افكارها في الخارج . ومن هؤلاء الشباب من كان منهم من طلاب المدرسة الجعفرية ـ مثل : باقر سركشك ، ومحمد حسن كبة ، وصادق البصام ومحمد الشجاع وصادق حبة وعبدالرزاق الازري وعبدالعزيز القطان وصادق الشهربلي وجعفر حمندي وكاظم الشجاع ومحمد مرزه وذيبان الغبان ورؤوف البحراني وسليم الحريري وغيرهم .

(١٤) ايدت مس بيل ذلك فقالت : ان هذه المدرسة اصبحت مقر للوطنيين المتطرفين .

سميت هذه المدرسة بعد ذلك مدرسة التفيض الاهلية . تأسست في ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ ١٤ ايلول ١٩١٩ وانتخب علي البزركان مديراً لها . وفي ٢٠ ايلول عقد الاهالي اجتماعا كبيرا للنظر في تجهيز هذه المدرسة بكل ما يلزمها من وسائل التربية والتعليم فأسفر ذلك الاجتماع عن جمع مبلغ من المال لتأثيثها وعن انتخاب علي البزركان مديرا لهـا .

لاجتماع اعضائه سرا يتداولون في الامر فيما بينهم وقرر ان تتسع اعماله في القاء الخطب المدرسية على تلامذتها بين اونة واخرى يحضرها منتسبوه واولياء امور التلامذة كمستمعين ثم اتجهوا الى ان يهيأ الى اجتماعات عامة في الجوامع والمساجد والحسينيات لالقاء الخطب بصورة عامة وشرح الاسباب التي ادت الى سوء الحالة الراهنة في البلاد وذلك بعد صلاة العشاء في مساء كل يوم خميس وكنا شباب الحزب نقوم ببث ما يقرر في هذا الشأن بين المواطنين ونجمعهم في محلات الاجتماع بالاضافة الى الاجتماعات الخاصة التي يعقدها الموسرون من اعضائه في دورهم وهم من ذوي المكانة المرموقة في المجتمع وقد اقيم اول اجتماع ديني في جامع الحيدرخانة(١٥) مساء يوم الخميس ١ رمضان ١٣٣٨ هـ الموافق ٢٥ مايس ١٩٢٠ حضره كافة اعضاء الحزب وخطب فيه عدد من الشباب اهاجت خطبهم مشاعر الحاضرين لمقاومة الاحتلال البريطاني(١٦). وفي مساء الخميس(١٧) عقد اجتماع عام في جامع الحيدرخانة القيت فيه

وقد احتفل الشباب الوطنيون بافتتاح هذه المدرسة احتفالا باهرا . (محمد مهدي البصير ـ القضية العراقية ص١٤٠ وقد اصبحت هذه المدرسة مقرا لجمعية حرس الاستقلال وصارت الجلسات السرية تعقد فيها على الدوام . وأخذت تلقى الخطب الوطنية والحماسية في ساحتها عصر كل يوم خميس من كل اسبوع وبذلك اصبحت هذه المدرسة ناديا سياسيا .

(١٥) كانت الاجتماعات تعقد في جوامع عديدة فضلا عن جامع الحيدرخانة وهو جامع الميدان (الاحمدي) وجامع الفضل وجامع قضوة عرب وجامع الشيخ صندل بجانب الكرخ وجامع الوزير .

(١٦) ومن الشعراء والخطباء الذين يلقون قصائدهم وخطبهم في جامع الحيدرخانة الشاعر عبدالرحمن البناء ، وطالب مشتاق والشيخ مهدي البصير ومحمد حسن الحداد ، وعبدالكريم العلاف وعبدالرزاق الهاشمي

(١٧) في ليلة ٦ رمضان عقد اجتماع في جامع الحيدرخانة وكان الخطباء يتبارون في هذا الاجتماع ، فقام احد الشباب المتحمسين وهو عيسى افندي الموظف بمديرية الاوقاف . والقى قصيدة حماسية كان لها وقع كبير في نفوس المجتمعين منها :

الخطب اهاجت جمهور المستمعين وبعدها ارتقى المنبر خطيب الثورة العراقية وشاعرها الشيخ (الدكتور) محمد مهدي البصير والقي قصيدته المعروفة والتي مطلعها (ان ضاق يا وطني عليّ فضاكا ــ فتتسع بي للامـام خطاكا) وكانت ساعة مشهودة اعقبتها مظاهرة مكثفة هتف بها المتظاهرون بطرد الاحتلال البريطاني والتخلص من نيره والمطالبة بالاستقلال التام الناجز للبلاد.

وبينما كان المتظاهرون يسيرون في الشارع بالقرب من الجسر (جسر الشهداء الحالي) وعندما وصلوا الى سوق امانة العاصمة في باب الاغا تصدت لهم السلطة بسيارات مسلحة حاملات الجنود البريطانيين وهم يطلقون الطلقات النارية باستمرار في الهواء لتفريق المتظاهرين فحصل الهرج والمرج في السير وقد التجأت مع المرحوم السيد سلمان الشيخ داود الى احد الدكاكين في منعطف الشارع . وبينما نحن كذلك نادى احدهم بمقتل احد المتظاهرين فتقدمنا الى جثته بصعوبة فظهر ان القتيل المرحوم عبدالكريم رشيد الاخرس هو لا يطيق النطق وكان هذا يشتغل في بيع الصحف اليومية فعلا مع متعهد بيعها السيد ناجي محمد(١٨) .

بني النهرين نسل الطيبينا ... افيقوا واسمعوا حقا مبينا
تفرقنا شعوبا وافتراقنا ... فاصبحنا جميعا صاغرينا
واسلمنا باجمعنا لقوم ... وذا شأن البغاة الظالمينا
فماذا يا بني قومي فماذا ... فماذا من تفرقنا لقينا

انظر : القصيدة كاملة في كتاب : الاخبار في سير الرجال ، ص٧٦
وفي ظهر اليوم التالي (٧ رمضان) القت السلطات البريطانية المحتلة القبض على الشاعر عيسى افندي وساقته الى البصرة ولما ذاع خبر القبض عليه ونفيه هاج الجمهور واقفلت المخازن والحوانيت احتجاجا على ذلك العمل ووصل الخبر الى رجال لجنة حزب الحرس التنفيذية حينما كانوا في اجتماع في بيت جعفر ابو التمن .

(١٨) كان في بغداد في ذاك الوقت ثلاثة من بائعي الصحف اليومية المعروفين عند القراءة وهم : عبدالكريم رشيد الاخرس من سكنة محلة الفضل ، وكان هذا بائعا محبوبا ومشهورا بجمال صوته وعذوبة نغماته كان ينادي عما عنده من صحف وكان ذلك مدعاة لحب القراءة له وكان مرحا كثيرا

كان يسكن محلة الفضل وقد أخذته الحمية فرافق المتظاهرين فصعد الى احد سيارات الجيش ولم يتمالك مسك اطرافها فهوى على الارض واصطدم بعجلة السيارة ودهسته وقد نعته الجماهير حالا بأول شهيد للوطن فزاد ذلك في حماسة المتظاهرين حتى بلغوا رأس الجسر ولم يستطيعوا العبور الى الكرخ .

وفي اليوم الثاني جرى تشييع الشهيد المرحوم تشييعا عاما من داره في محلة الفضل الى مقبرة الشيخ معروف رحمه الله وكان هذا الحادث اول حدث عمل على يقظة الجمهور ودفعه الى ايقاد نار ثورة العشرين .

ثورة العشرين :

وقال سامي ايضا : لقد تطرق كثير من المؤرخين والكتاب الى ما حدث في ثورة العراقيين ضد الاحتلال البريطاني في ٣٠ حزيران/١٩٢٠ والثورة التي عرفها التاريخ وسماها بـ (ثورة العشرين) ولم يكتب بحثا عنا الا وتطرقوا اليه صدقا كان ذلك أم كذبا .

ان ما اقوله هنا لم يكن سالما من خطأ التقدير او من سلامة الحكم وان من حق المجتمع والشباب ان يسمع ما اقوله عن ذكريات اعمال قمت بها وقام بها شباب تلك السنوات في سبيل بلادهم الذين كتبوا في جوانحهم (حب الوطن من الايمان) وهذا ما كان يردده شباب الحي في كافة اعمالهم واني اعتقد ايضا ان هذه الذكريات قد ولدتها مشاهد خطها شاهد عيان ومشارك في احداثها وليس لي ما ارجوه سوى تثبيت هذه الذكريات التي اعتقد ان ما كتبه بعض المؤرخين يفتقر الى الصدق لقبوله .

كثير المداعبة والهزل . وبائع الصحف الاخر وزيج حسين في جانب الرصافة واخر في جانب الكرخ ولم تكن العادة يومها ان تباع في الدكاكين وانما كان المتعهد في بيعها ناجي محمد يوزعها على هؤلاء الباعة الثلاث وكان قد اتخذ له محلا مجاورا لمقهى الشابندر مقابل دائرة المحاكم الان .
وكان بقربها مدرسة الاعدادي العسكري بقسميها الدراسي والداخلي .
وقد سميت الشريعة التي تلاصقها باسم (شريعة المكتب) .

ولتتأكد الاجيال القادمة ان ما حدث في هذه الفترة من الزمن كان حب الوطن هو الدافع الوحيد الى القيام به والتصدي له بروح البطولة ومجابهة السلطة المحتلة التي جعلت البلاد موبوءة بحكمهم الجائر وسوء ادارة رجالها في الحكم الذين كانوا بعيدين عن القانون وروح العدل الامر الذي جعل المواطنون يسأمون من الرضوخ الى هذه الفئة الجائرة التي كانت تسومهم سوء العذاب والجور والاذى في ادارة البلاد .

لقد سئم الشعب العراقي مما كان يفعله رجال الاحتلال في ادارة البلاد غير أن آذان السلطة كانت غير صاغية الى ما كان يطلبه الاهلون وهي الحرية وتحقيق العدل باحكامهم فلا يسمح لهم ولا لرؤسائهم المشبعة نفوسهم بروح العظمة والتسلط واهدار القوانين والانظمة الفردية وممارسة ما حوته فيها دون ان يلتفتوا الى عواقب الامور مما تأصل في افئدة الشباب والاهلين من العمل الجدي ضد الاحتلال البريطاني بثورة شعبية عارمة يشترك فيها كل مواطن حسب استطاعته .

واعتقد ان تلك كانت سر ذكرياتي المندفعة من مشاركتي اياها في احداثها في لواء ديالى منذ ان بدأت اغرس في نفوس اهلها شيبا وشبابا . كنا نعلم بان اتفاقية (ماكماهون) التي وقعها المرحوم الشريف الحسين بن علي كانت بتفاهتها حبرا على ورق وكان الانكليز يعيشيون ليومهم ولغدهم في توقيعها وان مغانمها منها آتية لهم لا ريب فيها غير ان صداها هو ما حدث في هذهالثورة الدموية التي لم يحسبوا لها حسابا .

ان الكتب التي كتبها بعض المؤرخين ممن لم يشاركوا احداث الثورة قد احتوت معظمها بطولات كاذبة وقد التقيت مع بعض هؤلاء وجالستهم كثيرا وكان كل واحد منهم يحتار في أمر أظهار حقيقة ما يقول او ما يدونه في سفره ولم يتجنب قبح ما عمله الغير من الاعمال وقد آل أمر هؤلاء الى ان يثبتوا في وريقاتهم بعض الصور (الفوتوغرافية) لاناس سبق ان درجوا الى رحمة

الله قبل ثورة العشرين وزينوا تلك الصور وحسبوا انهم قاتلوا واقتتلوا في ساحاتها في جبهات القتال فبدلوا اسماء اصحابها باسماء أخرى وزينوها بالمدح والثناء •

وقد سبق لي أن قابلت هؤلاء وكتبت ما جاش في خاطري في بعض الصحف بتوقيعي في حينه بالرغم من الصداقة التي كانت تربطني بهم واظهرت فيها عدم الاخذ بما حوته هذه الادعاءات بانها (حقيقة ناصعة) وللتاريخ اقوله واذكر ان الصديق حسن مرزا والاستاذ عبدالرزاق الحسني وغيرهم قد اتفقوا معي على ما كتبت في حينه •

لقد حصرت ذكرياتي هنا عما وقع في جبهات بعقوبة وشهربان (المقدادية) في لواء ديالى التي شاركت في بعض وقائعها مع الثائرين الاشاوش من افراد عشائرها • كان حزب الحرس السري الذي تألف في بغداد في شهر شباط ١٩١٩ قد مهد القيام بمساندة الثورة مع قادتها من ذوي الرأي السديد بما استطاعه منتسبوه ودعوا الى حمل السلاح ووجوبه على من يستطيع ذلك فقام الانكليز بمجابهة الثوار الثائرين باسلحتهم التي جاءوا بها فقرر الحزب ارسال بعض الضباط من اعضائه ومؤيديه الذين يعتمد عليهم الى جبهة ديالى لمساعدة الثائرين واشراك عشائر لواء ديالى بهذه الثورة الدامية وكان نصيب هؤلاء ان ارسل المرحوم الرئيس السيد شاكر محمود وكاتب هذه السطور الى بعقوبة وشهربان في وقت رحب به المرحوم الشيخ حبيب الخيزران رئيس عشيرة العزة بقلبه ولسانه الى المبادرة في اثارة عشائر اللواء ليشاركوا اخوانهم افراد عشائر الديوانية والحلة والكوفة وغيرها وينالوا شرف هذه المشاركة فسافرت الى بعقوبة والمرحوم السيد شاكر الى شهربان وقد شعر بذلك الميجر هايس والحاكم العسكري في بعقوبة فطلب الاجتماع برؤساء عشائر المنطقة فحضر بعضهم وقد فاتحهم بأمور تختص بالمحافظة على الامن كذبا وحذرهم من العبث باموال الناس ولما كان هذا حريصا ويقظا لما يسمعه من

الاخبار من رجاله امر رؤساء العشائر بالبقاء في مركز اللواء وعدم الذهاب الى اهلهم وعشيرتهم الا باجازة منه وقد خص منهم الشيخ حبيب الخيزران رئيس عشيرة العزة والشيخ حميد الحسن رئيس قبيلة بني تميم •

كما عمد حزب الحرس السري الى اشراك اعضائه مع الثوار منذ ان اطلقت الرصاصة الاولى من عشـائر بني حجيم والظوالم في الرميثة في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ في ساحات الوغى في ارجاء العراق وقد خصهم بضرورة اشراك بعض الضباط العراقيين الذين سبق ان قاتلوا في جبهات مختلفة ابان الحرب العالمية الاولى ممن يؤمنون بمبادىء الحزب •

وقد رأى الحزب ضرورة ايقاظ نار الثورة الدموية ضـد البريطانيين المحتلين فكان له ما اراد وفي يوم لا اتذكره مـن شهر تمـوز ١٩٢٠ جاءني المرحوم صديقي السيد صادق حبة واستدعاني لمقابلة المسؤولين من اعضـاء الحزب سوية فاجتمعنا عشية اليوم المذكور في دار واقعة في محلة صـبابيغ الآل بالقرب من جامع المصلوب وكان في انتظارنا فيها المرحومون السـادة علي البزركان وجلال بابان ومحمد حسن كبة والحـاج كاظم ابـو التمن وتحدثنا عن كيفية تحقيق هذه المهمة واعلمونا بان اربعة من الضـباط قد التحقوا باخوانهم في الفرات الاوسط وما يفكرون به هو ايفاد اخرين الى لواء ديالى وقد اتفق على ان يتحمل هذه المهمة المرحوم الرئيس شاكر محمود وان ارافقه لسبق معرفتي ببعض رؤساء بعقوبة وكنعان (مهروت) وبلدروز فتقبلت ذلك برحابة صدر ، وفي اليوم الثاني اتصلت بالمرحوم شاكر محمود وسافر كل منا الى الجهة التي ارادها هو الى اطراف المقدادية وانا الى ناحية بلدروز لسبق معرفتي باكثر رؤسائها •

وكانت معرفتي هذه قد سـاعدتني كثيرا على تنفيذ ما خطط في اثارة عشائرها ضد الحكم البريطاني واذكر ان كلا من الشيخ حميد الحسن واخاه يحي الحسن رئيس عشيرة بني تميم والشيخ عبعوب رئيس عشيرة الداينية

وغيرها من عشائر ناحية مهروت (كنعان) وهم الكرخية وبني زيد والزكوك (من شمر) والداينية كانت قد تأججت في جوانحهم روح الثورة وانتقلت اخبارها من محل لاخر •

كان الحاكم السياسي في بعقوبة قد بلغه كل ما كان يجري في هـذه المنطقة بواسطة رجاله والعيون التي كان قد بثها في ارجاء اللـواء فاجتمع رؤساء العشائر كما اسلفنا وامرهم بالبقاء وعدم الذهاب والعودة الى دورهم في عشائرهم الا باجازة منه وقد خص منهم الشـيخ حبيب الخيزران رئيس عشاير العزة والشيخ حميد الحسن رئيس عشيرة بني تميم • ومن حسـن الصدف ان قد سافر الى بغداد (الميجر هايس) الحاكم العسكري واوكل عنه الكابتن (لويد) الذي كان يشـتغل بامـور زراعية في دلتاوة (الخالص) ظاهرا وفي ادارة اعمال التجسس سرا في اللواء فانتهز الشـيخ حبيب ذلك لسبق معرفته به وطلب منه الموافقة على ذهابه الى بغـداد لمعالجـة بعض يشكو منه من الام في معدته فسافر وهناك اجتمع ببعض اعضاء حزب الحرس والمعارضين من ذوي الميول الخيرة فوجد هذه المحافل تغلي باخبار الثـورة الدامية في لواء الديوانية والحلة وفي كافة الوية الفرات الاوسط التي كان يتسع خبرها يوما بعد يوم واخبار عشائرها في قتال المحتلين واعوانهم •

كان الشيخ حبيب وهو في السابع والعشرين من عمره يرأس قبيلة العزة ويتحلى بحب وطنه وبلاده ويحمل بين جوانحه روح الحمية والوفاء وكان على جانب عظيم من حسن الخلق وعندما اطلع على ما كان يجري في الفرات من اخبار الثورة الدامية تأججت فيه روح الحمية وحب المسـاهمة في خدمـة البلاد اسوة باخوانه رؤساء عشائر الفرات وفي المساء عاد الى اهله في مقاطعة الشوهاني في قضاء الخالص محل اقامته وامضى ليلته متحمسا واستعرض اعمال الظلم التي يمارسها المحتلون في بلاده مع زملائه رؤساء العشيرة فقررا المشاركة في اشعال نار الثورة فثارت عشائرهم هناك وفي ظهيرة اليوم الثاني

وصلنا (وانا في مضيف الشيخ حميد الحسن) طارش (رسول) من الشيخ حبيب يقص علينا شفويا ما دار بينه وبين من اتصل بهم في بغداد وقد سلم له رسالة كتبها الى الشيخ حميد اشار فيها الى وجودي بينهم حسب رغبة الحزب وطلب الاخير اخباره بيوم اعلان الثورة فتقرر ان تقوم عشيرة العزة والبو هيازع وبني تميم والكرخية بقلع السكة الحديدية في الجاسمية من الموقع الذي يقع في راس الطريق المتجه من بعقوبة الى ناحية مهروت (كنعان) ايذانا باعلان الثورة في اللواء •

بينما تتجه جموع الثائرين من كنعان الى بعقوبة ولما كان الامر هذا سريا فقد ذهبت الى بعقوبة لاستطلع ما يجري فيها فاتصلت بالمرحوم السيد حبيب العيدروسي(١٩) في قريته وكان المرحوم بمثابة همزة وصل بين العشائر وبيننا وتحادثنا في الامر جليا وكان القرار ان تبدأ هذه الاعمال في وقت واحد وبقيت في بعقوبة وامضيت ليلتي في خان خليل نصيف الواقع في راس السوق وكانت لي معرفة به وبابن عمه المرحوم نعمان محمد زميلي في الدراسة في بغداد والذي كان قد اشغل رحمه الله ملاحظية القلم الخاص لوزير المالية وفي اليوم الثاني عدت الى مقابلة الشيخ حميد وفي الطريق بالقرب من مركز ناحية مهروت (كنعان) كان بعض شباب عشيرة الكرخية وآل مخيبر وغيرهم يتجولون وهم يحملون اسلحتهم واتجهوا الى مركز ناحية مهروت (كنعان) حيث طلبت اليهم احتلالها حالما يبدأ المقاتلون بعملهم وفي خلال تقدم الثائرين اليها شهدت وانا في قلعة مهروت جماعة يتقربون الينا مكونة من ثلة من الشبانة الخيالة بقيادة الكابتن بانز معاون الحاكم العسكري وبصحبه مأمور الشعبة نصيف عبداللطيف التميمي وقد عرجوا على دار الشيخ محمد سعيد رئيس عشيرة الكرخية واحرقوها وعادوا الى بعقوبة دون ان يصطدموا باحد •

---

(١٩) السيد حبيب العيدروسي : ملاك من قرية (زغانية) من بعقوبة وله معرفة تامة بعشائر بعقوبة وكان محبوبا عند الاهالي مهاب الجانب •

ولما كانت مهمتنا توجيهية في مواقع القتال اولا (ان آل الامر اليـه) والعمل مع افراد العشائر الثائرة بعقدها اجتماعا في مضيف المرحوم الشيخ حميد الحسن مع بعض رؤساء العشائر القاطنة في مهروت (كنعان) وبلدروز وقد حضره السيد شاكر محمود وكل من الشيخ يحي الحسن والشيخ عبعوب واحد رجال آل مخيبر والشيخ محمد سعيد وغيرهم وقد رسـمت الخطة المطلوبة باتفاق الاراء وارسل الشيخ حميد احد اعوانه الى الشـيخ حبيب يعلمه بما جرى في الاجتماع وتقرر ان تبدأ بالهجوم على مهروت وبعقـوبة بعد قلع السكة الحديدية .

كان قد طلب مني المرحوم السيد حبيب العيدروسي التريـث باطلاق الرصاصة الاولى في اللواء ريثما يتم الاتفاق مع عشائر دلتاوة (الخالص) الامر الذي كنا قد فاتحنا بـه الشـيخ حبيب وللتأكد من الامر ذهبت الى بعقوبة لمقابلته وامضيت ليلتي في النزل (مسافرخانة) المرحوم جاسم لفتة وفي صبيحة يوم ١ آب / ١٩٢٠ بينما كنت امضي بعض الوقت في مقهـى النزل متظاهرا برغبتي في شراء الرز بكمية كبيرة من بلدروز وغيرها سمعت بعض الاطلاقات من خارج المدينة ففزعت للامر وظهر الشقي الشـهير المرحـوم (ابراهيم عبدكة) ومعه اثنان من اقربائه جاءوا الى شمال بعقوبة وامطروها وابلا من الرصاص المفاجئة في القنطرة المعروفة (بقنطرة خليل باشـا) وقد وصلت بعض الاطلاقات الى النادي الذي كان قد اتخذ محلا له بالقرب من القنطرة والذي قد اتخذ مؤخرا مركزا لمديرية شرطة اللواء وعادوا من حيث اتوا وقد احدث هذا العمل بلبلة واسعة بين سـكنة البلدة واختل العمل في كافة انحائها وقام الحاكم العسكري ومعاونه شاهرين السلاح يتجولون في شوارعها ويسألون هذا وذاك عمن عمل هذا العمل المفاجيء ، وكانت هذه الاطلاقات النارية بمثابة انذار الى الميجر هايس الحاكم العسكري واعوانه بوجوب ترك البلدة وتسليمها الى الثوار .

لقد تركت بعقوبة عائدا الى الشيخ حميد دون ان اقابل المرحوم السيد حبيب واضطررنا الى ان نعلم رئيس عشيرة العزة الشيخ حبيب بالوقت الذي سنقوم به بالهجوم على بعقوبة وذلك بواسطة ساع ارسله الشيخ حميد وفي المساء كنا في مضيف الشيخ عبعوب ثم اتصلنا بمن يعتمد عليهم من عشائر مهروت وفي يوم ٧ أيلول / ١٩٢٠ وفي منتصف الليل هجمت ثلة من قبائل العزة والبو هبازع والكرخية على السكة الحديدية من مكانين يبعد الواحد عن الاخر بمئتي مترا تقريبا وعادوا الى محلاتهم قبل فجر اليوم الثاني وكنت قد عدت صبيحة اليوم المذكور معهم الى مركز ناحية مهروت المحتلة من قبل عشيرة الكرخية بعد ان تم رفع السكة الحديدية واعلنت الثورة الدامية في هذا اللواء بزعامة رؤساء عشائرها وكان الفضل الاكبر في ثورتهم لرائدها المرحوم الشيخ حبيب الخيزران وعشيرة بني تميم والكرخية •

ولما ظهر الميجر هايس الحاكم العسكري في بعقوبة ومعاونة الكابتن بانز عدم استطاعتها بما لديهم من القوة لمقاومة الثوار تركا البلدة فجأة وسافرا الى بغداد بعد ان حشدوا ما لديهم من القوة في رأس جسر القطار من الساحل الايمن لنهر ديالى اي من جانب الطريق المؤدي الى بغداد • فدخل بعض افراد العشائر بعقوبة ظهيرة يوم ٨ / ٩ / ١٩٢٠ حسبما تقرر باتفاق الرؤساء فتقدمهم كل من الشيخ حميد والشيخ عبعوب والشيخ محمد سعيد وآل مخبير وذهبوا الى الساحة الصغيرة مقابل السراي وهناك نودي بالمرحوم السيد محمود المتولي حاكما فيها كما هو مقرر قبل ذلك ورفع العلم العراقي فوق دائرة البريد اول مرة من قبل السيد حسين عبدالكريم مأمور البريد وهو رجل كردي متحمس لاستقلال العراق ويحب وطنه وبلاده وقد خطب بحماسة في جموع الناس بعربيته البسيطة محرضا اياهم على القتال والثورة في وجه الانكليز المحتلين وبارك الحاضرين بثورتهم واخذ كل منهم يمارس عمله خلافا لما سودته بعض الاقلام المأجورة وهكذا صار الحكم في بعقوبة

ثوريا . وفي مهروت (كنعان) احتل الثوار مركز الناحية واخذ رؤسائهم في ادارة شؤونها بهدوء وامان .

اما ناحية[٢٠] بلدروز فقد بقيت فيها ادارة الحكومة التي كان مديرها السيد عبدالله الخشالي وكاتب الناحية السيد احمد (والد الدكتور ضياء احمد) الاخصائي بالزراعة ولم يمس الثوار احدا من سكانها كما ولم يسمع عن حدوث ما يعكر صفو بقاء الحكومة فيها اذا لم تصلها يد الثوار مطلقا .

---

(٢٠) بلدروز : ناحية في لواء ديالى كانت هذه مفوضة بالطابو باسم عائلة (زريفي) الرومية وقد كان بعض افراد هذه العائلة يسكن في استانبول والبعض الاخر في باريس . وكان يدير شؤونها وكلاء هذه العائلة المعتمدون . وكان عند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، يتولى شؤون ادارتها المسيو (قرهيجو) الروماني الاصل يساعده في ادارتها المسيو (لئون) وهو صهره وكان محبوبا عند رؤساء العشائر التي تقطن فيها . وكانت هذه الاراضي قبل ذلك ملكا من املاك السنية التابعة للدولة العثمانية التي يطلق عليها (المدورة) ويعود التصرف فيها الى السلطان العثماني وكانت هذه العائلة كما هو مذكور في سجلاتها قد اقرضت الدولة العثمانية مبالغ كبيرة تقارب النصف مليون ليرة ذهبية خلال الحرب التي دارت رحاها بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية . سنة ١٨٥٣ - ١٨٥٦ . وبعد انتهاء الحرب ارجعت الحكومة المبلغ الذي استدانته من هذه العائلة . ولكن العائلة رفضت استلام فائض المبلغ الذي ترتب عليه . وقد رأت الدولة العثمانية أن تكرم هذه العائلة على مبادرتها الطيبة فاعطى السلطان حصته من هذه الاراضي وسجلها باسم العائلة (بالطابو) ولما كانت هذه الارض تسقى سيحا فقد كانت العائلة تحصل على خمس وارداتها . وقد اقتصرت الزراعة فيها على الارز فقط وعلى هذا الاساس سميت بلد (الرز) ثم حرفت الكلمة الى بلد روز كما تقول العامة . اما الاب انستاس الكرملي فيقول في اصل الكلمة انها (براز الروز) ومعنى براز الروز تعني (ضياء او بهاء النهار) لحسن موقع المكان . وقال توفيق وهبي ان معنى كلمة (براز روز) النهر الخنزير . انظر : مجلة المجمع العلمي العراقي حـ١ ص٧٤ .
واخيراً باعت هذه العائلة حصتها الى بعض الملاك العراقيين الذين اقتسموها فيما بينهم . وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ شملها قانون الاصلاح الزراعي فوزعت على الفلاحين .

وفي دلتاوة (الخالص) كان الكابتن لويد ومعه بعض رجاله يقومون باعمال تخص الري والزراعة ظاهرا وعندما ثارت عشائر العزة والبو هيازع كما اسلفنا قام الشيخ بيب الخيزران رئيس عشيرة العزة وقبض على الكابتن لويد ومعه مهندس الري المستر ستراخن ومستر ريكان واعتقلهم اسرى في مركز ناحية دلي عباس (المنصورية) ووفر لهم مقتضيات الراحة والعيش الكريم كما تقتضيه الحمية العربية الاصيلة التي تأمر بالعناية بالاسرى . وفي شهربان (المقدادية) كان المرحوم السيد شاكر محمود قد اجتمع بافراد عشائرها عدة مرات وهم عشيرة المهدية والجبور وبني تميم وحثهم على حمل السلاح في وجه المحتلين بعد ان اعلمهم بكل ما جرى ويجري في ساحات المعارك في الفرات الاوسط وبسقوط بعقوبة بيد الثوار فثارت ثورتهم بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠ وهجمت ثلة من هذه العشاير على دار الحكومة التي احتمى بها الحاكم العسكري الكابتن ريكلي والكابتن بروفلد والسارجن ميجر نيوتن والمسز بوكانان وتبادل الطرفان اطلاق النار بشدة اسفر عن مقتلهم جميعا مع حظيرة من الشبانة اما مسز بوكانان فقد اخذت الى دار الشيخ مجيد في البلدة وكان قد اخبرني صديقي المرحوم عبداللطيف الفارسي الذي ساهم في هذه الثورة ان الهجوم على دار الحكومة كان بتشجيع من الشيخ مجيد التميمي الذي يسكن بلدة المقدادية وجيها فيها مسموع الكلمة محترم المنزلة وقد بقيت في داره حتى استعاد المدينة الجيش البريطاني .

لقد استمر احتلال بعقوبة وشهربان (المقدادية) عشرين يوما كان الثوار قد ابلوا بلاء حسنا وكافحوا كفاح الابطال غير ان ما لديهم من الذخيرة والعتاد قد نفذت ولم يبق عندهم ما يكفي لمقاومة الجيش البريطاني الذي بدأ بزحفه من بغداد بعدده وعدته برتلين احدهما من بغداد والاخر من قزلرباط بقيادة العقيد كرير فاضطروا الى الانسحاب من ساحاته واسترد

الجيش المهاجم بعقوبة في ٢٩ آب ١٩٢٠ واسترد بعدها شهربان (المقدادية) في ٩ ايلول ١٩٢٠ وعندما دخلت القوة البريطانية بعقوبة اتجه ضابط بريطاني منها الى دار المرحوم السيد حسين البهرزي قاضي شرع المحكمة واطلق عليه عيارا ناريا من مسدسه ارداه قتيلا وذلك بالنظر لما كان قد وصل القوة الزاحفة خبرا بأن هذا القاضي كان من المحرضين على قتالهم وفي اليوم الثاني دفن المرحوم السيد حسين في جامع الشهبندر رحمه الله .

لقد استعان الجيش البريطاني بالاثوريين الذين كانوا يسكنون على مقربة من الجسر الحديدي في الجهة اليمنى من نهر ديالى في محل يقع بين ناحية بني سعد وبعقوبة وتسلح هؤلاء للدفاع عن نقطة على طريق بعقوبة خشية عبور الثوار الجسر باتجاه ناحية بني سعد مع انه لم يكن ضمن الخطة الحربية المرسومة للهجوم على بغداد من هذا الطريق او غيره . اسفرت عن قلع السكة الحديدية من الجاسمية كما مر ذكرها فعطلت خط المواصلات بين ايران والعراق حيث كانت سريتان من الجنود البريطانيين تصطاف في (كرنت) البلدة الايرانية القريبة من قصر شيرين والتي تبعد عن حدود العراق بـ (١٤٠) كيلومترا تقريبا وكان الجنرال (هالدين) قائد القوات البريطانية في العراق قد اشار في كتابه الذي وضعه عن ثورة العراق ١٩٢٠ (ان قطع السكة الحديدية ما بين بعقوبة وشهربان (المقدادية) وبقائها مدة تقارب الشهرين قد سبب عدم امكان سوق الجيش المصطاف في ايران الى العراق للمشاركة في قمع حركة الثوار في كافة الجهات) .

كان القتال يجري في كافة ساحاته وفقا لما هو قريب الى التفنن في ادارة شؤونه مما حمل قادة الجيوش البريطانية الزاحفة الى الاعتقاد بان القتال يدار من قبل ضباط عسكريين لهم معرفة بالتعبئة وسوق الجيش مما حدا بهم ان يعتقدوا بأن هؤلاء الضباط قد جاءوا من تركيا لهذا الغرض .

ابراهيم بن حسن بن عبدكه :

ان بعض ثورات الشعوب الدامية التي تضم صحائف التاريخ اخبارها تلد رجالا اشداء قاموا باعمال وبطولات مع الثوار دون ان تكون لهم صلة بموقدي نارها وبزعمائها وبمعرفة اتجاهها وما اريد منها بسفك الدماء ، فهم متبرعون بدمائهم من تلقاء انفسهم يقاتلون بما توحي اليهم ضمائرهم كيفما شاءوا ويفاجئون ساحات الوغى باعمالهم البطولية برغبة منهم فحسب ، ومن هؤلاء الشاب ابراهيم عبدكه الذي كان قد ترأس عصابة (شقاوه) من اخيه وابن اخته لاخذ ثأر ابيه القتيل في قرية (ذيابة) في لواء ديالى في سنة ١٩١٩ في العهد التركي وصار شابا شقيا .

تسكن عائلته قرية (ذيابة) وهي من قرى الاوقاف القادرية التابعة الى ناحية (ابو صيدا) في شهربان (المقدادية) عرف بشجاعته وبطولته وكان جريئا مقداما لايهاب الموت ، ويقول سامي خوندة عندما كنت معاونا لتسوية حقوق الاراضي في لواء ديالى (بعقوبة ــ المقدادية) واتصلت بمختار قرية ذيابة المرحوم السيد داود سلمان (ابو غازي) من مواليد محافظة ديالى ، ناحية ابي صيدا ، قرية ذيابة معاون مدير عام الاعاشة في وزارة التجارة في صيف سنة ١٩٤٢ لاطلع على نبذة من حياة ابراهيم فقص لي :

كان ابراهيم شابا يافعا هادىء الطبع يقوم بمساعدة ابيه بعمله وعيشه في قريتنا ومن سوء الصدف ان اقدم احد سكان القرية المجاورة على اغتيال المرحوم والده على اثر نزاع بسيط حصل بينهما وذلك خلال صيف سنة ١٩١٩ فاستفز حمية ولده الشاب الى طلب الانتقام كما هي عادتنا من القاتل او من اقرباء القاتل . ولما كان ابراهيم وليد من عشيرة (السمرلية) الكردية التي تسكن في اكثر قرى هذه الناحية فقد قام يتربص لقاتل ابيه في جميع القرى حاملا بندقيته وقد شاركه في الامر ابن اخته واخوه . فقتل اربعة من اقرباء القاتل بالاضافة الى قتل القاتل نفسه . فأصبح منذ ذلك الحين شقيا

خارجا على القانون يتجول في القرى حماية لنفسه وينتقل من قرية الى اخرى وقد شارع ذكره وصار الناس يضربون به المثل وقد عجزت الحكومة التركية في حينها عن القاء القبض عليه فوضعت مكافأة مالية لمن يأتي به حيا أو ميتنا •

والذي عرف عنه انه ذو مروءة لم يقتل رجــلا ضعيفا و لايعتدي على شيخ او عاجز أو صبي ، و لايعتدي على الضعفاء والفقراء والنســاء وكان هذا سببا من الاسباب التي جعلت الناس يعجبون به ويساعدونه في التخلص من مطاردة الحكومة فترة طويلة •

وكان ممن اغتالهم ابراهيم جاسوسا كان يتبعه في الغدو والاصال هو نجم بن زهو العزاوي[٢] • وقد زاد هذا الامر من نقمته على رجال الحكومة الذين كانوا قد ضيقوا عليه سبل العيش •

وعندما بلغ ابراهيم أمر الثورة المسلحة ضد الاحتلال البريطــاني في انحاء العــراق ســنة ١٩٢٠ وتأجيج نيرانها بــين ســكان العشــائر تقدم من تلقاء نفسه مع اخيه الى بعقوبة في الاسبوع الاول من شــهر ايلول سنة ١٩٢٠ واقتحمها وامطرها وابلا من الرصاص من شمال البلدة مــن قنطرة (خليل باشا) قبل أن تدخلها عشائر الكرخية • ولما ســمع الانكليز الذين كانوا في بعقوبة طلقات الرصــاص التي اطلقها أبن عبدكة واعوانه هربــوا والتجأوا الى حامية الجسر وحينما جاءت عشيرة الكرخية بعد ذلك وجدت المدينة خالية من الســلطة •

غادر ابن عبدكة بعقوبة الى شهربان فوصلها يوم ١٤ آب حينما كان الثوار يهاجمون القشلة فشارك بالهجوم معهم • وعندما اســتعاد الانكليز مدينة بعقوبة ومدينة شهربان ومدينة دلتاوة ظل ابن عبدكــة واعوانــه في

---

(٢١) والمعروف عن نجم العزاوي انه كان شقيا يضاهي ابن عبدكه في الشجاعة والجرءة ولكنه انخرط في سلك الشبانة . وقد قتله ابن عبدكه دون ان يعــرفه .

خرنابات يقاومون الانكليز وقد اعتقد الانكليز ان الامن لا يمكن ان يستتب في هذه المنطقة ما لم يلقى القبض على ابن عبدكة ولهـذا وجهوا قوة كبيرة الى خرنابات ومعها مدفع وفي يوم ٢٨ ايلول ١٩٢٠ اخذ المدفع بقصف المدينة بالقنابل فقتل ٣٦ شخصا مـن سكانها ثم دخلت القوة القرية واعتقلت ٣٥٠ رجلا من سكانها وساقتهم الى احدى ابواب القرية وهي الباب التي سميت فيما بعد (باب الحصار) ثم اطلقت سـراحهم بعـد ذلك حينما لم يجدوا ابن عبدكة بينهم . ويبدو انه تخلص من الحصار وهرب وعلى أثر ذلك صدر في بغـداد البلاغ التالي :

« لقد حاصرنا نهار ٢٨ ايلول قرية خرنابات الواقعة على مسافة ثلاثة اميال من شمال شرقي بعقوبة للقبض على ابن عبدكة الشقي المعروف ، ولقد تمكن من الفرار وقد قتل ٣١ من اتباعه واسر ١١٩ منهم » .

كانت شرطة اللواء تنصب الكمين الواحد تلو الاخر للقبض عليه وفي حزيران سنة ١٩٢١ القي القبض عليه في قرية (ضبات) احدى قرى الاوقاف القادرية على ما اتذكر[٢٢] وسيق الى المحكمة وحكم عليه بالاعدام شنقا حتى الموت لقتله موظفا حكوميا (وهو الجاسوس الذي مر ذكـره آنفا)

---

(٢٢) اما رواية علي الوردي في كيفية القاء القبض عليه فيقول : صار ابن عبدكه عقب فراره من خرنابات يتنقل متنكرا من موضع الى آخر . وقد التجأ اخيرا الى شيخ من شيوخ المحاويل في لواء الحلة كانت له معرفة سابقة فآواه الشيخ عنده وقد ظل في حمايته بضعة اشـهر كـان فيها متنكرا لا يعرفه سوى الشيخ نفسه وقد اطلق على نفسه في تلك الاوانة اسـم (عبد) . وفي فترة تنكره هذه انه سـمع في عصـر احـد الايام شـبان القرية يتبارون في اصابة هدف لهم وضعوه على قمة بيدر مـن الحبوب فجاء ابن عبدكة واخذ البندقية من احدهم ورمى الهدف فأصابه بشكل أثار دهشتهم واعجابهم . وصار الشبان بعد ذلك يتحدثون عنه باعجاب حيث وصفوه قائلين بانه اصاب الهدف ببراعة (كانه ابن عبدكة) .

وقد اعتبرته المحكمة موظفا فتلقى ابراهيم الحكم عليه برباطة جأش واعترف لها بقيامه بقتل هذا الشخص دون أن يعرف عنه أنه موظف حكومي وقال للمحكمة بأن ذلك قد عمق ثأرا لقتل والده لوجود علاقة بين قاتل ابيه وهذه عادة العشائر في أخذ الثأر وانه من عشيرة معروفة (السمرلية الكردية) تسكن اطراف هذه القرى جميعها ولا شأن له مما نسب اليه من أنه يأنس باراقة الدماء وانه ليس بشقي •

وكانت المحكمة برئاسة حاكم بريطاني اسمه (مستر ودمن) وعضوية حاكمين عراقيين هما عبدالمجيد افندي الياسين ويعقوب سويدة افندي وقد توكل عن ابن عبدكة المحامي معروف علي اصغر وقد عرف هذا المحامي فيما بعد باسم (معروف جياووك) •

كما اصدرت المحكمة حكمها على اثنين من اعوانه محمد العباس وحسين الشحام بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة لوجودهما مع ابن عبدكة في اثناء مقتل نجم بن زهو العزاوي •

ميز محامي الدفاع عن ابن عبدكة الحكم ولما كانت محكمة التمييز يرأسها في حينه رجل انكليزي هو (المستر بريجارد) فقد صدقت على حكم الاعدام من قبل ثلاثة اعضاء وهم : الحاكم داود سمرة والحاكم صالح الباجهجي (من خمسة اعضائها) وخالف الحاكمان المرحومان السيد سليمان

في شهر حزيران ١٩٢١ تمكنت الشرطة من معرفة مكان اختفاء ابن عبدكة وفي ١٤ منه بينما كان ابن عبدكة طريح الفراش من حمى اصابته فوجىء بثمانية من رجال الشرطة وهم يحيطون به شاهرين مسدساتهم فاضطر الى الاستسلام لهم فنقلوه مخفورا الى بغداد •

علي الوردي : لمحات اجتماعية حـ٥ • القسم ٢ ص١٧١ • وكان معاون الشرطة الذي اعتقل ابن عبدكه المرحوم ابراهيم الشاوي •

فيضي[٢٣] والسيد رشيد عالي الكيلاني • ولكنها خفضت الحكم على صاحبيه محمد العباس وحسين الشحام الى خمس سنوات وقد نشر محامي ابن عبدكة مقالة في الجرائد وضح فيه الظروف التي احاطت الحكم ومما قال فيه (ان الحكم صدق بالاكثرية المطلقة لا بالاكثرية المقيدة) وذكر أن الاكثرية المطلقة معناها زيادة واحدة على نصف الاراء اما المقيدة ثلثا الاراء • وختم المحامي توضيحه قائلا : (واني واثق ان جلالة مليكنا العادل المفدى سينظر في هذا الامر بعين الرحمة والرأفة) وعندما عرض قرار المحكمة على الملك فيصل للتصديق عليه بدل الملك الحكم (حكم الاعدام) الى الاشغال الشاقة

---

(٢٣) ذكر سليمان فيضي في مذكراته قضية ابن عبدكة : فقال كان ابن عبدكة ثائرا شعبيا من عامة الاكراد اشتهر بالشجاعة والاقدام وكانت له اثناء الثورة العراقية مواقف مشرفة ضد الانكليز في لواء ديالى .. فلما نشبت الثورة العراقية واخلى الانكليز بعقوبة دخلها ابن عبدكة ونصب نفسه مديرا للامن فيها وبطش بالجواسيس فقتل بعضهم واحرق دورهم مما اثار حقد الانكليز ونقمتهم عليه . وفي عهد الحكومة الوطنية القي القبض على ابن عبدكة وسيق الى المحكمة الكبرى في بغداد بتهمة قتل موظف رسمي اثناء تأدية واجبه فحكم عليه بالاعدام شنقا . ميز ابن عبدكة الحكم لدى محكمة التمييز فتبين لنا ان القتيل لم يكن موظفا [illegible] هو أحد الاهلين المأجورين كان الانكليز قد عهدوا اليه بالتجسس على الناس لحساب دائرة الاستخبارات . وان القانون لا يعاقب على مثل هذه الجريمة اكثر من الحبس خمسة عشر عاما . اختلف حكام التمييز في أصدار القرار على هذه الجريمة . فاتفق الرئيس وعضوان على تصديق حكم الاعدام وعارضته انا ورشيد عالي . واجلت الجلسة عدة مرات وكانت تأتينا التوصيات المتكررة من المندوب السامي بتصديق الحكم فلم نابه لها . وقد شغلت هذه المحاكمة الراي العام فكنت ترى قاعة المحاكم وفسحتها مكتظة بالاف الناس . وكانوا كلما خرجت او خرج رشيد عالي هتفوا لنا واكبروا موقفنا لانقاذ ابن عبدكة من المشنقة . صدر الحكم بتصديق قرار الشنق باكثرية الاصوات ، ودونت معارضتنا الشديدة انا ورشيد في نص القرار فلما اطلع جلالة الملك عليها امتنع عن تصديقه وامر بتخفيف العقوبة الى الحبس لمدة خمس عشر سنة . وقد علمت بعد ذلك ان ابن عبدكة قضى مدة الحبس ثم اطلق سراحه .. (سليمان فيضي ، في غمرة النضال . ص٢٨٥–٢٨٦).

لمدة خمسة عشرة سنة • وذكرت جريدة العراق في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٢ ان الارادة الملكية صدرت بتبديل حكم الاعدام المصدق تمييزا على ابن عبدكة الى السجن لمدة خمسة عشرة عاما • وبعد ايام عدة نشرت خبرا • كذبت فيه هذا الخبر وظهر اخيرا ان الملك فيصل لم يبدل حكم الاعدام الا بعد مرور نحو سنتين على صدور الحكم • ويرجع ذلك الى ان الملك لم يرد ان يغضب المندوب السامي السر برسي كوكس يومها • فلما نقل كوكس من العراق وحل محله السر هنري دوبس اتيحت للملك فرصة لتبديل الحكم(٢٤) •

البلاط الملكي

الديوان

بغــداد : ٨ / يناير / ١٩٣٢ رقم ٦/٤/٢٥٦

معالي وزير العدلية المحترم

جوابا عن كتاب معاليكم ج٧/١١٦٠٢ • لقد عرضت اوراق محاكمة ابراهيم ابن عبدكة على صاحب الجلالة فلاحظ ان الحكم الصادر من محكمة الاستئناف لم يكن باتفاق الاراء ولا باغلبية ساحقة بل باغلبية مطلقة خالف

---

(٢٤) ولكن السيد يونس سعيد البغدادي : ذكر في كتابه شقاوات بغداد في العصر الماضي ان مس بيل هي التي توسطت له وانقذته من حبل المشنقة فقال : ذات يوم من أيام الاحتلال البريطاني الى العراق بعد سنة ١٩١٨م قدم قطار كركوك النازل الى بغداد وهو يقل قوة بريطانية وكانت المس بيل في ذلك القطار وعند وصول القطار الى محطة شهربان داهمه بعض الرجال المسلحين وتغلبوا على القوة واسروا (المس بيل) وفي هذه الاثناء جاء ابن عبدكة فاستقبله الرجال بحفاوة بالغة ، فلما شاهدت مس بيل ذلك احتمت به فحماها واوصلها الى بغداد .

وظل ابن عبدكة طريد السلطة حتى القت القبض عليه في المحاويل في ١٤ حزيران ١٩٢٤ . واجريت محاكمته وصدر عليه الحكم بالاعدام وقبيل تنفيذ الحكم تدخلت المس بيل فخفف الحكم الى الاشغال الشاقة لمدة عشرين عاما . وخرج من السجن سنة ١٩٣٦ بعد ان قضى اثنى عشر عاما . ص٦١ .

فيه عضوان من خمسة لذلك امرني ــ ايده الله ــ بان ابلغ معاليكم رأفة جلالته بتخفيف عقوبة الاعدام على ابراهيم بن عبدكة الى الاشغال الشاقة المؤبدة واوراق الدعوة معادة لمعاليكم ٠

واقبلو فائق الاحترام

رستم حيدر
رئيس الديوان

وقد لعب الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر دورا كبيرا في انقاذ ابن عبدكة من حبل المشنقة ٠

فالخالصي : ارسل رسالة الى الملك بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ ٢٥ آب ١٩٢١ ذكر فيها الخدمات الجليلة التي قدمها ابن عبدكة واصحابه للعراقيين ثم قال : (فنحن ننتظر ان ينال العراقيون خيرا بتخلية سراحهم اول جلوسكم الميمون) ٠

اما السيد الصدر : فقد ذهب بنفسه لمقابلة الملك وقال له ان ابن عبدكة كان من اعوانه في ثورة ديالى وان الواجب يقضي بمساعدته ٠

وقد ظل ابن عبدكة طيلة مدة سجنه يتوسط الشخصيات الوطنية في سبيل انقاذه واطلاق سراحه ، فأرسل الى الشيخ عبدالواحد الحاج سكر رسالة يستدر بها عطفه ويتوسل اليه أن يبذل قصارى جهده في سبيل خلاصه من السجن وهذا نصها :

لحضور حضرة الاكرم الامجد الحر الغيور الشيخ عبدالواحد المحترم دام مجده امين ٠

بعد عرض الاحترام من خصوص الداعي في اتم الضيق هذه المدة فكنت مفتكرا في اموري لمن التجيء وبمن الوذ فما خطر احد ببالي سواك ، فذكرتك وانا بهذه الحالة ، الرجاء من همتكم العالية ومفاخركم السامية ببذل الجهد

واطلاق سراحي من السجن وانا لك رقا ما دمت حيا . وجنابكم اهل لذلك ، فجعلك الله سببا لامور المسلمين وخلاصهم من السجون وغيرها ايها البطل الكريم . ولا يسو غلي (كذا) البيان .

ولا اظن ان يخفى على حضرتكم اموري ودمتم مؤيدين .

خادمكم

٤ شوال ١٣٣٩ ابراهيم عبدكـه

وبعد مرور عدة اعوام افرج عنه وعين حارسا في دائرة الاثار في بابل[٢٥] وفي يوم قصده شاب يسكن محلة الفضل في بغداد واسمه سهيل نجم العزاوي وهو قائم بواجبه في هذه الدائرة وتقدم اليه شاهرا مسدسه واطلق عليـه اطلاقتين اردته قتيلا وفي سكرات موته سأل ابراهيم عن هوية هذا الشـباب القاتل فقيل له ان اباه نجم العزاوي الذي كان يسكن قرية ضباب الذي قتل وجاء ابنه هذا يأخذ ثأر ابيه منك فسكت واسلم روحه رحمه الله[٢٦] .

---

(٢٥) استخدم الموما اليه مراقبا سريا للاثار القديمة بصورة مؤقتة في بغـداد وبمخصصات شهرية قدرها اربعة دنانير اعتبارا من يوم ١٩٣٣/٨/١٦ .

(٢٦) قتل ليلة ٥/٦ــ١٩٥٤/٩ اثناء قيامه بواجبه الرسـمي في منطقـة آثار بابل . في أيـام المرحـوم ناجي الاصـيل ، مديـر الاثار العام (انظـر الملحق رقـم ٢) .
نشير هنا الى بعض الكتب المتبادلة بين متصرفية لواء الحـلة ومديرية شرطة اللواء بخصوص ابراهيم بن حسن بن عبدكة :

١ ــ صورة كتاب مديرية الشـرطة . المرقـم س/١١ والمـؤرخ ١٩٣٥/١/١٦ متصرفية لواء الحـلة .
اشارة الى كتابكم المرقم س/١١ والمؤرخ ١٩٣٥/١/٢ ، ان ابراهيم عبدكة ، اصلا يسـكن ديالى في خريسان . قبلا يشـتغل في الفلاحـة والزراعة عند محمود المتولي . انه منذ القديم من اهالي ديالى ، رئيسه عبدالحسن الجواد . قبلا قد حكم مؤبد على اثر هيجان العشــائر في الثورة . قبل مدة قد تعين كمراقب للاثار القديمة براتب خمسة دنانير ونصف ، فصارت منطقته الحلة ، ويسكن في محـلة التعيس انه قائمـا

والامر الذي يجب ذكره للحقيقة والتاريخ ان كافة الاعمال الثورية التي قامت بها العشائر المحيطة في بعقوبة ودلتاوة (الخالص) لم ترق فيها دماء الطرفين المتقاتلين الا ما ندر سواء كانت في هجوم الثائرين عليها أم في الدفاع عنها من قبل رجال الاحتلال في حالة صد الهجوم المتكرر عليها وذلك لتجنب (الميجر هايس) الحاكم العسكري لبعقوبة اراقة الدماء لعدم وجود قوة كافية تمكنه من الدفاع عنها عدا ما حصل في شهربان (المقدادية) فقد كانت نتيجة المجابهة الدموية فيها ان قتل كافة الرجال البريطانيون بما فيهم الحاكم العسكري الكابتن ركلي ومن صحبته من افراد الشبانة كما اسلفنا • واسر الاخرون وارسلوا الى ناحية (دلي عباس) المنصورية للتأمين على حياتهم من قبل رجال الشيخ حبيب الخيزران رئيس قبيلة العزة فيها •

لقد كتبت في ذلك اسفار عديدة وبحثت فيها اتساع الثورة الكبرى في اماكن عديدة سواء ما صدر منها في العراق ام في البلاد الاخرى وفي لغات مختلفة والذي بان لي من دراسة بعض هذه الاسفار ان ما كتبه المؤرخ العراقي

بعفته ونزاهته . اما الحارسين عطية ومحسن بن عطية البحث ذات سلوك جيد .

٣ ــ وقد اجابت متصرفية لواء الحلة بتاريخ ١٥/١٠/١٩٥٣ رقم ٤٦٥ على بيان سلوك اشخاص كان قد طلبته مديرية الاثار العامة .

نص الكتاب :

من متصرفية لواء الحلة

قلم التحرير

الى مديرية الاثار العامة

الموضوع : بيان سلوك شخص

كتابكم المرقم س/١٤٢٢/٢٣/٣١ والمؤرخ في ٢٩ كانون الاول ١٩٥٤ نرسل اليكم في طيه صورة من كتاب مديرية الشرطة في اللواء السري المرقم ١١ والمؤرخ ١٩٣٥/١/١٦ حول التحقيق عن سلوك عطية ، البحث، وولده الحارسين في موقع كيش وعن سلوك ابراهيم عبدكة مراقب الاثار في الحلة للاطلاع .

التوقيع

متصرف لواء الحلة

الاستاذ عبدالرزاق الحسني في كتابه (الثورة العراقية الكبرى) هو خير سفر ضم بين صحائفه الحقائق التاريخية لها تفصيلا وقد اعطى لكل حادثة اسبابها وعملها ونتائجها دون ان يتميز فيما كتب على انه قد حوى كل واحد من هذه الاسفار قصة دامية منها •

وقبل أن انهي ما مر ذكره في هذا المضمار اود ان ابين ما فقد من المقاتلين في ضحايا الثورة هذه للاطلاع عليه • قال الجنرال هالدين في كتابه عن الثورة الدامية في العراق خلال سنة ١٩٢٠ (ان ما فقده البريطانيون في قتالهم الثوار من العشائر المسلحة في العراق هو (٢٢٦٩) جنديا بين قتيل وجريح واسير **وقد قدر ما فقدته العشاير المقاتلة بـ (٩٠٠٠) تسعة الاف** مجاهد من كافة الجبهات على أن هذا التقدير قد جاء على لسان ذوي العلاقة ولا يوجد احصاء رسمي بالشهداء والمفقودين •

اما الناحية السياسية فلم ينشر عنها سوى ما نشره الاستاذ الحسني والمرحومين ناجي السويدي والايوبي وجلال بابان والسيد محمد الصدر والشهرستاني والحاج عبدالواحد آل سكر والسيد محسن ابو طبيخ وغيرهم وقد كتب كل منهم ما تراءى له من آراء لها وزنها وقيمتها التاريخية •

انها لصحيفة بيضاء سجلها التاريخ في صحائفه الذهبية وقد مر على وقائعها تسع وستون عاما ولم تنس الاجيال التي مرت بها ماقام رجالها في بذل النفس والنفيس لتحطيم الحكم الاستعماري البغيض والذي جر وراءه اسوأ الذكريات التي ما زالت الاجيال تحتفظ بها في جوانحها وقلوبها •

لقد اشغل القيادة العامة لجيش الاحتلال البريطاني في العراق سقوط بعقوبة بيد الثوار والضحايا الذين سقطوا في شهربان (المقدادية) والسعدية (قزلرباط) وغيرها باعتبارها نكسة لم تحسب لها حسابا قبل وقوعها من قبل رجال الاحتلال وبغية الاسترداد ما سقط في ايديها قامت بارسال حملتين

مجهزتين باسلحة خفيفة وثقيلة وهاجمت الثوار في جهة بهرز بعد أن عبرت نهر ديالى بمشاركة النسطورين (الاثوريين) الذين سبق ان اسكنتهم السلطات البريطانية في الساحل الايمن من النهر فاضطر المقاتلون الى الانسحاب لعدم استطاعتهم مقاومة الجيوش الزاحفة .

يقول سامي خوندة عندها اضطرت الى الابتعاد عن مركز ناحية (كنعان) لعدم بقاء ما يجب ممارستها من الامور التي كانت ملقاة على عاتقي وذهبت توا الى بلدروز لسبق معرفتي بأهلها وتظاهرت بشراء كمية من حاصلاتها من الرز كما سبق لي أن مارست تلك مساعدا لاحد اقربائي في شرائها في صيف سنة ١٩١٩ من وكلاء المقاطعة وعدت الى بغداد بعد ان امضيت ليلة واحدة فيها وليلتين في مضيف حميد الحسن متظاهرا برغبتي في شراء الرز (المولاني) في مقاطعة بلدروز كما اتفقت والشيخ حميد الحسن على ذلك لعدم بقاء ما يجب ممارستها من الامور التي كانت ملقاة على عاتقي في توجيه المقاتلين ومشاركتهم في بعض اعمالهم .

وبقيت استمع وزملائي لما كانت تصلنا من اخبار الثورة في الفرات الاوسط وديالى وغيرها وقد اشار عليّ بعض ذوي المكانة الذين كنا نتصل بهم حزبيا في اعمالنا ان ابتعد برهة من الزمن عن بغداد حتى تنجلي الامور . كانت بغداد واجمة تنتظر ما عسى ان يقوله رجال الاحتلال بعد ان بدأت تخمد نار الثورة المسلحة التي تأججت في شتى انحاء البلاد وبوشر في التفكير لاعادة الامور الى مجاريها من قبل رجال الاحتلال . فكرت كثيرا في قبول هذه المشورة واخيرا اقتنعت فاتجهت الى مدينة الموصل حيث لي فيها معارف كثيرون سبق لهم أن اتصلوا بي خلال ايام الثورة في مختلف جبهاتها لمعرفة ما يدور بها .

كان لنا جار لدارنا في محلة (جديد حسن باشا) عالم فاضل وتاجر معروف نزيه هو المرحوم الحاج مصطفى الوتار الموصلي وكان يمارس التجارة

في محله في الطابق الاول من صيدلية كمال الواقعة في باب الاغا وكان له ثلاثة اولاد يديرون اعماله التجارية وكان المرحوم يتحلى باخلاق فاضلة وعلم غزيز وكانت تربطنا به صلة الجوار وكنت اصاحب احد ابنائه واسمه محمد الوتار الذي كان يتردد كثيرا الى الموصل لاعمال تجارية وكثيرا ما كان يلح علي في زيارة الموصل فوجدت الفرصة قد حانت لتحقيق رغباته واتفقت معه على زيارة بلده ، وفي احد ايام شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ سافرنا معا الى الموصل في القطار الذي كان يصل بنا الشرقاط فحسب وكنت احمل رسالة من احد الاصدقاء الى المرحوم ابراهيم عطار باشي وقد تظاهرت برغبتي ببيع السكاير من نوع (سيرز) بالجملة والتي كان لواء الموصل مفتقرا اليها لتصديرها من هناك الى (زغرت) البلدة التركية وتبيع (الخيوط المعروفة بالاسود والابيض) وهي خيوط رقيقة وقد فقدت يومها من الاسواق وقد رسم رفيقي محمد الوتار هذه الخطة والبستني هذه الفكرة ثوبا باعد عني الشبهات .

وصل القطار الشرقاط في منتصف الليل فذهبنا توا الى خيمة اعدها المرحوم توفيق جليمران وكيل التجار قضينا ليلتنا فيها وفي الصباح سلمته وصلا باربعة صناديق من نوع السكائر المار ذكرها واربعة صناديق من الخيوط باسمي مرسلة معي من قبل اخي الى الموصل فرحب بنا . واستأجر لنا محلا في العربة التي كانت متجهة الى الموصل تسحبها الخيول فقضينا خمس ساعات في الطريق ووصلنا الموصل عصر ذلك اليوم فذهبت الى نزل في محلة باب الطوب وذهب رفيقي محمد الى دار اخيه صالح وفي اليوم الثاني سألت عن المرحوم السيد ابراهيم عطار باشي الذي كانت له غرفة (دائرة) في خان البير فذهبت لمواجهته فوجدته جالسا في غرفة واسعة يتعاطى فيها تجارة الصوف والوبر (صوف الابل) حسبما اتذكر ومعه شاب قيل انه ابن اخيه فسلمت عليه واعطيته الكلمة التي حملتها اليه من رفيق له ببغداد فرحب بي وامضيت معه

وقتا ممتعا واشار عليّ بما يجب ان اتظاهر به بالاضافة الى مهمة التجارة التي جئت بها وانتقلت بعدهـا الى محل السيد صالح شقيق رفيقي ووجدت هذا ينتظرني فيها وهكذا امضيت في الموصل مدة تقارب ثلاثة شهور مارست خلالها جلب وبيع صناديق السكاير والخيوط بمساعدة شقيق رفيقي وفي يوم لا اذكره زرت المرحوم عطار باشي ووجدت عنده رجلا باش الوجـه يعلمك بوجاهته وحسن خلقه وقد عرفني المرحوم عطار باشي به وقال هذا اخي سعيد الحاج ثابت الذي يسأل عنك كثيرا فسر بلقيائي كما سررت بالتعرف عليه وكنت اتصل بمن تعرفت عليهم في بغداد من الاصدقاء من اهل الموصل في مجالسهم بدورهم وكانت احاديثنا تدور فيها عن امور لا تستوجب الظن والشك وعن التمتع بما تجود به سماء الحدباء وعذوبة مائها وهوائها ولم يحدث ما يعكر صفو اقامتي فيها سوى حادث واحد فوجئنا به عفوا •• رحمه الله كلا من عبدالله باشعالم وصدقي سليمان واحمد الجلبي وسعيد عبيد آغا الجليلي امضيت معهم وقتا عذبـا •

كانت في الموصل مقهى تسمى (مقهى باياتي) واقعة في راس الجسـر الحجري القديم وكانت شبيهة بمقهى (الشط او المصبغة) الموجودة في بغداد وكانت هذه ذات طابقين يشغل الطابق الارضي فيها التجار والشيوخ واصحاب الحرف والمسنين الذين اقعدتهم سنون العمر الطويل عن العمل ، ويشغل الطابق الثاني فيها شباب الحي والمثقفون (نظير مقهـى المصبغة) وفي المساء يقام في المقهى ملهى (تياترو) يقضي فيها الشباب بعض ساعات من الليل • وكانت من العادات المألوفة ان توضع بعض الكراسي على بعض الارائك (التخوت) عاليا في مؤخرة (الساحة) يجلس عليهـا اولاد وجهـاء البلدة ويقضوا متعتهم في مشـاهدة ما تقدمه الراقصـات من العرض ولما كان جلوس هؤلاء الشباب فوق الكراسي اعلى من سوية الجالسين من غيرهم من الاهلين يحـدث ذلك البغضاء والجدال بين الجالسين دوما فقد كانت ساعات العمل فيها تدور بمراقبة

المرقص من قبل شرطي يحمل رتبة عريف واسمه مازلت اتذكره (محمد العاشق) وكان هذا دمث الاخلاق محبوبا من كافة رواد المرقص وفي احدى الليالي كنت والمرحوم محمد الوتار في الملهى تتمتع بقسط من الراحـــة متخذين محلنا في صفوف الاهلين وفجأة حصل نزاع بين اخوين من اولاد الذوات (كما سمعنا) وبعض جلساء التخوت من الاهلين وكان اسماهما بشيرا ونذيرا فجأت الشرطة الى الملهى واحاطوا بالمتنازعين وكنا ضمن من احاطوهـــم دون ان تتمكن من اعلام الشرطة بعدم وجود علاقة لنا بأمر النزاع لم ار هذين الاخوين من بعد ذلك الحادث ولكننا لم نوفق في ذلك واقتدت انا وصاحبي الى مركز الشرطة وكانت العادة الجارية ان يساق المخالفون الى دوائر البلدية لاجراء محاكمتهم من قبل ضابط بريطاني فتقدمت اليه وسألني عن هويتي فأجبته جئت الموصل من بغداد لامارس تجارة السكاير الانجليزيـــة (سيزر) وبيع الخيوط وقد وصلتني اربعة صناديق منها لبيعها هنا بواسطة وكيل التجار توفيق جلميران وابرزت لـــه ما كان عندي من الوصـــل (الستمي) فتسلم الضابط الوصل وترجمها له مترجم خاص فافرج عني ولا انســى ما قام به شاب مفوض من الشرطة اسمه (كامل) كان واقفا بجانبي فهذا ساعدني لانهاء هذا الامر جليا : وافرج عني اما رفيقي محمد فقد حكم عليه بغرامة قدرها عشر ربيات دفعت الى صندوق البلدية من قبله حالا وافرج عنه ٠

وفي المساء كنت في دار المرحوم محمد سعيدا الجليلي آل عبيد آغا وقد ضم مجلسه الاصـــدقاء الاوفياء المرحومين عبدالله باشعالم العمري وصديق سليمان المحامي اخيرا) واحمد الجليلي وفاضل الصيدلي وقد درج جميعهم الى رحمة الله تعالي ولا انسى ما وجدته من هؤلاء الاوفياء من اللطف طيلة بقائي في الحدباء ٠

وفي الاسبوع الاول مـــن شهر كانون الثاني سنة ١٩٢١ تسلمت كتابا من احد اصدقائي يخبرني فيه بعدم وجود ما يخشى منه في عودتي الى بغداد

لاستقرار الحالة ولتأليف الوزارة المؤقتة من قبل المندوب السامي البريطاني برئاسة المرحوم عبدالرحمن النقيب ولصدور بيان العفو العام عمن اسهموا في الثورة باستثناء بعضهم فذهبت الى الخان الكبير للسلام على المرحوم عطار باشي لاودعه واشكره على ما ابداه لي من المساعدة التي ولدت لي روح الاطمئنان ورجوته ابلاغ سلامي وشكري للمرحوم السيد سعيد الحاج ثابت الذي لم اجد وقتا لزيارته ، وفي اليوم الثاني سافرت الى بغداد بالطريقة التي جئت الموصل بها فوصلتها .

وجدت بغداد واجمة تنتظر ما عسى ان يقوله رجال الاحتلال بعد ان اخمدت نار الثورة المسلحة التي تأججت في شتى انحاء البلاد . لقد بوشر بتأليف وزارة مؤقتة تكون نواة لولادة حكومة في العراق وفق ما خططته وزارة المستعمرات البريطانية في لندن .

مكتبة السلام ..

لقد شعر رجال الاحتلال منذ ان وطئت اقدامهم ارض العراق بضرورة العمل على اصطياد الشباب بالطرق التي تسهل عليهم ذلك فقامت سكرتيرة المندوب السامي (المس بيل) في شهر آب سنة ١٩١٩ بتأسيس مكتبة سميت بـ (مكتبة السلام) وجمعت فيها بعض الكتب العربية والانجليزية المستوردة من الاقطار العربية وفتحت محلا لها بالقرب من (سينما سنترال) في شارع الرشيد مقابل صيدلية فتو تقريبا وفتحت ابوابها لمن شاء مراجعتها بكامل الحرية واودعت سكرتاريتها الى المرحوم السيد جميل الوسواسي وكنا نجتمع فيها احيانا في بعض الامسيات ونطالع اسفار المؤرخين العرب كالمرحوم جرجي زيدان وغيره ونتحدث في امور شتى وكانت (المس بيل) تزورها في اغلب الاوقات وهي مسؤولة عنها في الاكثر فكانت تحادث من تجده فيها من الشباب وتغرس في روحهم حب الدرس والاستطلاع كما كانت تسميها وفق توجيهات رجال الاحتلال .

المعهد العلمي : يقول سامي خوندة :

تقدم السيد سعيد العزاوي وهو ضابط عراقي عاد من دمشق بعد احتلالها من قبل الفرنسيين والمرحوم ثابت عبدالغفور بطلب الى السلطات المسؤولة الموافقة على فتح معهد باسم (المعهد العلمي) فوافقت وقد اتخذ محلا له مقابل فندق (مود) القريب من (مكتبة مكنزي) الان فأقبل الشباب على الانتماء اليه باعداد كبيرة وفتحت فيه شعبة لتدريس اللغة الانجليزية يديرها مدرس عراقي وكنت قد انتسبت الى هذه الشعبة للدراسة فيها واخذ المعهد يبث روح مقاومة الاحتلال البريطاني للبلاد وقد دام فتح ابوابه حولا كاملا انسحب بعدها اعضاؤه الواحد تلو الاخر واغلقت ابوابه تخلصا من رجال التحقيقات الجنائية (الامن) من مراقبتهم بعد ان دسوا في عضويته بعض اعوانهم من العملاء .

رواية وفود النعمان على كسرى انو شيروان في ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ :

تشكلت الوزارة المؤقتة في البلاد برئاسة السيد عبدالرحمن النقيب من قبل المندوب السامي البريطاني لجعلها نواة لتأسيس الحكومة العراقية وكانت تدار من قبل رجال الاحتلال بعد ان خمدت الثورة الكبرى في كافة الجهات كما اسلفنا قد سببت بعض المتطلبات في استمرار المطالبة باستقلال البلاد فأتجه زعماء الثورة الى الاستمرار في توعية الشعب وايقاظ مشاعره في تحقيق ما تصبو اليه البلاد فوجدوا بعد التفكير ودراسة الوضع الراهن ان اقامة تمثيلية مناسبة عمل في هذا الاتجاه ويصرف ريعها الى مساعدة الفقراء في مدرستي (الجعفرية والاهلية اي التفيض) وتوقظ روح الحماس في مشاعر الشباب الواعي في نفس الوقت .

يقول سامي خوندة وفي يوم لا اتذكره تألفت لجنة خاصة ودعت بعض الشباب للمداولة في الموضوع فعقد الاجتماع في مدرسة الجعفرية التي كان محلها في محلة صبابيغ الآل وتقرر ان يبدأ في تهيئة ما يلزم لتمثيل رواية (وفود النعمان على كسرى أنو شيروان) على مسرح (رويال سينما) التي

كان موقعها بالقرب من ساحة الرصافي والتي غيرت الى سوق الرافدين عمارة لموقف السيارات في الحال الحاضر وتولى الاشراف على تمثيل ادوارها (البروفا) المرحوم علي غالب العزاوي (المحامي) اخيرا والمرحوم ابراهيم الواعظ واختاروا الممثلين كلا حسب دوره فيها وقد مثل الكاتب الحر المرحوم السيد قاسم العلوي[٢٧] (المحامي اخير) دور النعمان والذي تولى رئاسة تحرير جريدة الاستقلال البغدادية منذ ولادتها ومثل كسرى انو شيروان الضابط السيد جميل قبطان احد ضباط الجيش العربي الذي عاد من دمشق بعد هجوم الافرنسيين عليها •

كان المرحوم السيد قاسم العلوي طلقا في اداء رسالته جدا بالرغم من انه لم يسبق ان حضر معنا في (البروفا) واكتفى بدراسة الرواية لوحده واجاد في تمثيل دوره ، وكان على جانب عظيم من الذكاء والفطنة كما وقد أجاد المرحوم جميل قبطان دور كسرى اجادة تامة قدرها المشاهدون •

يقول سامي خوندة :

كنا عشرين شابا يمثل كل واحد منا دوره بهدوء واعجاب لم يسبق ان مثل احدنا على اي مسرح قبل ذلك • عندما تم ما يتطلبه اظهار الرواية قامت ادارة هاتين المدرستين بمراجعة وزارة الداخلية في الوزارة المؤقتة وطلبت موافقتها على ذلك فوافقت الجهة المسؤولة على اقامتها وقد بدأ العرض مساء الثلاثاء في ١٥ تشرين الثاني وقد حضر عرض التمثيل بعض المسؤولين في الحكم ومنهم المرحوم السيد طالب النقيب وزير الداخلية وكثير ممن اراد ان يطلع على كيفية اشغال المسرح بممثلين لم يسبق لهم ان قاموا بعمل مماثل لا

---

(٢٧) قاسم العلوي : من عائلة معروفة اجتماعيا تسكن محلة الكرخ من بغداد، كان على جانب كبير من الذكاء ، وحسن الخلق والسيرة . درس الهندسة وصار مهندسا ثم درس في كلية الحقوق وتخرج فيها وصار محام معروف توفي سنة ١٩٧٧ م .

سيما وقد ضم رهطا من الشباب المثقف ممن امتهن المحاماة او ممن ما زال يدرس في مدارسها[٢٨] • والذي يجب ذكره هنا (للتاريخ) امران حدثا في المسرح ••!

الاول كان المرحوم السيد انور النقشلي[٢٩] يمثل احد قواد النعمان فالتفت الى الشرفة التي كان يشغلها المسؤولون منهم السيد طالب النقيب وزير الداخلية وقد نسى ما يقوله وقال بصوت جهوري ممزوج بروح الايقاظ لمن اضاع حق البلاد مؤشرا الى السيد طالب (نحن هنا واقفين بالمرصاد لكل جاسوس ••) وذلك ليستمر من اداء دوره بعد ان نسى ما يجب ان يقوله كقائد وقد اثارت هذه الكلمات موجة من التصفيق من قبل المشاهدين واخذ يلتفتون الى السيد طالب النقيب وقد طلب بعض الحاضرين اعادتها ولكن السيد انور لم يفعل ذلك •

وعلى اثر ذلك ترك الوزير ومن معه من اصدقائه القاعة برباطة جأش بعد ان سلموا على المرحوم علي غالب وشكروا القائمين بالتمثيل •

والامر الثاني ان تمثل رواية وفود النعمان على كسرى انو شيروان كانت مفتقرة الى وجود امرأة تمثل دورا مهما فيها ولما كان الشعب (وهو في سنة ١٩٢٠) بعيدا عن قبول ظهور فتاة في المسارح فقد اشغل المسؤولين عن التمثيل التفتيش عمن يسد هذا الفراغ من الشباب فلم يجدوا بدا من تكليف احد زملائنا ، فتقدم المرحوم علي غالب طالبا اليه قبول هذه المهمة

---

(٢٨) وقد كتبت جريدة الاستقلال ليوم ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ وصفا مفصلا وجميلا لهذه المسرحية •

(٢٩) انور النقشلي : من عائلة نزحت من كركوك الى بغداد زمن الوالي العثماني داود باشا وهو محام درس الحقوق في العهد العثماني في بغداد. تولى بعض الوظائف الحكومية واخرها مديرا عاما لمجلس النواب العراقي وقد بقى فيه حوالي عشر سنوات حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ • توفي سنة ١٩٨٠ •

التي ظهر ـ كما قال له اجادتهـا فتقدم هذا طالبا من اللجنة وقتا ليفكر في الامر واخيرا وافق على ذلك وقام باداء دوره واجاد فيـه بصـورة لم يبق شكا بمعرفة هويته •

كان من ضمن من حضر القاعة الشاعر الكبير معروف الرصافي فلـم يستسغ (قلبيا) قيام رجل يمثـل دور المـرأة وبالنظر الى رجاء البعض في القاء كلمة بالمناسبة فاعتلى المسرح والقى قصيدة من غرر شـعره حـول التمثيل قائلا :ـ

وما العـار ان تبـدي الفتاة بمسـرح
تمثـل حالـي عـزة وابـاء
ولكـن عـارا ان تزيـا رجالكـم
على مسـرح التمثيـل زي نسـاء

فصفق الحاضرون وطلبوا اليه اعادتها فلم يقبل رحمه الله وقـد اراد بذلك ان يباح للفتاة الاشتراك في التمثيل على المسرح •

وبعد مرور مدة تقارب اربعة اشهر على ما اتذكر طلب ممن اخرج رواية (وفود النعمان الى كسرى انو شـيروان) ان يتبعها بتمثيل رواية اخـرى لتحقيق ما قصد من أمر تمثيلها فقبلوا ذلك برحابة صدر وقد اختيرت رواية (طارق بن زياد) فقام المرحوم احمد زكي الخياط بتمثيل دور طارق ومعـه الزملاء واجادوا التمثيل اجادة اوقدت في قلوب الحاضرين التفاني في سبيل تحطيم عبودية الاحتلال •

ان هاتين الروايتين كان لممثليها الفضـل الاكبر في غرس دعائم حـب الوطن في قلوب الحاضرين والمحـافظة على كرامتـه باصـالة متدفقـة من الصـميم •

في الصـحافة :

على اثر زحف الجيش العثماني الرابـع بقيادة اللواء الركن محمـود شوكت باشا وهو أخ (المرحوم حكمت سليمان) البغدادي المولد والنشأة الزاحف مـن ولايـة سـلانيك الى العاصـمة اسـطنبول وذلـك فـي صـيف سـنة ١٩٠٨ فخلـع السـلطان عبدالحميـد ونـودي باخيـه السلطان محمد رشـاد سـلطانا على الدولـة العثمانيـة فأخـذ بعـض المفكرين ممـن اشـتركوا في هـذه الحـركة بتأسيس حـزب سـياسي يتسلم زمام الامور في الامبراطورية العثمانية باسم (حزب الاتحاد والترقي) وكان في بدء تأسيسه (جمعية) واتسـع منتسبوه في ارجـاء البلاد ينهـج وفقا لما جاء في مواده التي تهدف الى خدمة البلاد فلم يمر على تأسيسه ايام حتى ظهر لبعض المفكرين من خلال نهج هذا الحزب سوء اهدافه ومراميـه فأخذ بعض اعضاءه من سكنة استامبول عاصمة الدولـة العثمانية باتجـاه تأسيس حزب آخر يضمن باهدافه (الحرية والائتلاف) كما سـمي ويكون سدا منيعا لاعمال الاتحادين الذين استهدفوا سوء نواياهم في ادارة البلاد التي يسكنها العرب والقوميات الاخرى ومن هؤلاء الذين قد اضمروا السوء وهم من اعضاء الاتحادين الذين زحفوا الى استامبول من سلانيك وهم من اصل يهودي يعرفون فيها باسم (دونمه) اي المنحدرين من اصـل يهودي واعتنقوا الدين الاسلامي وتظاهروا به .

واشهرهم في الاساءة الى البلاد غير التركية الاصل هما وزير الداخلية طلعت ووزير المالية جاويد اللذان كانا زعيمين لهؤلاء (الدونمة)[٣٠] وعاملين مهمين في حزب الاتحـاد .

كان حزب الاتحاد والترقي هذا قد انتخب القائد للجيوش الزاحفـة اللواء الركن محمود شوكت باشـا رئيسا لـه وانتخب السـيد عبدالرحمن

---

(٣٠) الدونمة : وهم اليهود في سلانيك (اي منحدرين من اصل يهود سلافيك).

الحيدري وهو احد وجهاء سكنة بغداد ووالد الدكتور سالم الحيدري رئيسا لحزب (الائتلاف) وكانت بغداد قد اتخذت مركزا له واخذ منتسبوه بالسعي المتواصل لتوسيع اعماله في البلاد العربية كافة ويهدف الى ان تتمتع هذه البلاد بالحكم (اللامركزي) وهو شبيه بالاستقلال الداخلي ضمن الدولة العثمانية .

وكان ذلك في صيف سنة ١٩١١ بينما كان رئيس حزب الاتحاد والترقي محمود شوكت باشا مارا بشارع (طوب قپو) في استامبول في طريقه الى مقر عمله كان حزب الائتلاف قد اعد تشييع جنازة كذبا تمر في الشارع فعارض المشيعون سيارته فوقفت ففاجأها رجل اسمه (طوبال توفيق) أي توفيق الاعرج في حزب الائتلاف واطلق عليه ثلاثة عيارات نارية فأرداه وسائق سيارته قتيلين فارقا الحياة في الحال وقتل الجاني ايضا .

وأعلن في مساء ذلك اليوم تأليف وزارة من حزب الائتلاف برئاسة الفريق الركن ناظم باشا الذي سبق له أن تولى ولاية بغداد في سنة ٩١٠ وقد اشتهر بالاصلاحات التي اجراها في الالوية بجرأة واقدام وترك في البلاد مأثرة .

كان حزب الائتلاف يمارس اعماله ونهجه في تحقيق الحكم (اللامركزي) الذي مر ذكره ويبذل اقصى الجهود المتواصلة وقد عم الانتساب في عضويته في انحاء البلاد بزعامة وجهائها في وقت كان رجال حزب الاتحاد لم يتركوا اغتيال رئيسهم يذهب سدى وصار همهم ان يستعيدوا الحكم من الائتلافيين باية طريقة كانت وبعد مدة لم تكن مديدة بينما كان ناظم باشا رئيس حزب الائتلاف ذاهبا الى مقر عمله سائرا في الطريق الذي يصل (مقام الصدارة) في استامبول تقدم ثلاثة من الفدائيين واطلقوا عليه عدة عيارات اصابته وفارق الحياة(٣١) .

(٣١) ان اغتيال ناظم باشا تم حينما خرجت مظاهرة للاتحاديين يقودها زعماؤهم طلعت وانور وجمال وكان مجلس الوزراء مجتمعا فلما سمع ناظم باشا — وزير الحربية — هذه الضوضاء خرج من بهو الاجتماع وهو يستشيط

لم اجد بأسا في تثبيت هذه الذكريات لما لها من صلة بما جاء ادناه :

في منتصف شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢١ كنت في ادارة جريدة (الرافدين) استحضر المقال الافتتاحي فاجأني زائر في وسط العمر بلباس هندي وطربوش احمر متوسط العمر فحياني ورددت عليه التحية وانا معجب بهذه المفاجأة فقال لي بعد ان تجاذبنا اطراف الحديث : لقد اردت زيارتك بزيارة خاطفة : فقلت له بمن انا متشرف فقال يا ولدي انا السيد محمد كامل الطبقجلي (والد الشهيد ناظم الطبقجلي) ففزعت وقلت انا جدا مسرور بلقياك وقد سمعت هذا الاسم وانا طفل يافع وشاب فسكت وقرأ لي قصيدة لم اذكر منها سوى مطلعها :

وقفت انادي ربعها وأسائله   الى اين سارت بالضعين رحائله

ثم سكت وقال :

لقد قرأت جريدتكم وانا خارج العراق فتذكرت ما لابيكم المرحوم من حق علي ومن صداقة اخوية مع آل الطبقجلي • أني تركت البلاد منذ سنوات عديدة وها انا اليوم اعود وملأ قلبي الفرح والسرور لما وجدت فيكم وفي البلاد من النهضة المباركة ، قد اعود الى خارج بلدي واملي بالله ان يعود للعراق عهده السابق ومفاتنه في المجتمع وينال استقلاله السياسي الذي كنا قد غرسنا بذوره في صدور ابنائه جيلا بعد جيل •

كنت افكر في قصة حدثت لي وأنا طفل لم اتجاوز التاسعة من عمري واحببت ان اسمعها منه واسجلها هنا فقلت اريد أن اقص عليك يا عم قصة مرت عليها عشر سنوات فأذن لي قائلا قل ما تشاء :

غضبا والجمع المحتشد يموج وقبل ان يتم كلمته التي يؤنبهم فيها اصابته رصاصة في رأسه اردته قتيلا ، وحين هم مرافقه ـ مصطفى ـ بسحب مسدسه عاجله انور بك برصاصة الحقته برئيسه (احمد عزت الاعظمي ، القضية العربية حـ٢ ص٨١) .

كان ذلك في سنة ١٩١١ كنا مع اطفال المحلة قد سمعنا بوجود حفلة عرس في محلة العاقولية فذهبت مع (خادمنا) كما كان يسمى واسمه المرحوم مجميد اليها لنستمع الى نغمات الموسيقى البلدية فوجدت هناك مجلسا كبيرا يضم اناسا مسرورين يحتسون الشربت ويستمعون الى نغمات الموسيقى ولا انسى اني سمعت من الواقفين ان السيد محمد كامل الطبقجلي قد اقام هذا الحفل عندما سمع بمقتل محمود شوكت باشا الاتحادي واستمرت نغمات الموسيقى تضرب اوتارها في داره عصر ثلاثة ايام متتالية . ورجوته ان يذكر لي لم اقيم هذا الحفل والقتيل بغدادي المولد والنشأة فقال لي :

كنا مع بعض علية القوم قد اسسنا حزبا سياسيا في بغداد اسمه (حزب الائتلاف) وقد عم الانتساب الى عضوية الحزب والعمل بنهجه في البلاد العربية وشد ساعده من الوجهاء في كل بلد سمعه ولكن الاتحاديين قد اساءوا للبلاد وعبثوا في مجتمعه العربي واتجهوا الى (تتريك) العرب اي جعلهم (اتراكا) بعيدين عن قوميتهم وامانيهم فلم يتحمل (حزبنا) ما عملوا به اعضاء الاتحاديين وجلهم من ولاية سلانيك (الدونمة) أي منحدرين من عوائل يهودية وكانت هذه كلها قد سببت في اغتيال رئيسهم محمود شوكت ولم اتمالك نفسي وانا بصفتي نائبا لرئيس (حزب الائتلاف) في بغداد ما عم قلبي من السرور ولاعلان سرور القوم بهذه الحادثة اقمت المجلس الذي ذكرته لي واسمعت الاهلين نغمات الموسيقى واهديتها الى روح المرحوم محمود شوكت وهو في قبره ... فشكرته وودعني وداعا حارا .

لقد سمعت اخيرا بنفي المرحوم السيد محمد كامل الطبقجلي فأسفت جدا على نفيه ، كان قد بان لي من لقياه وبان للمجتمع في اعماله وخدماته في الصحافة والحزب جل الخدمات ، كان وفيا لاصدقائه وقد حزن حزنا لا مزيد عليه عندما بلغه خبر اغتيال المرحوم ناظم باشا والي بغداد اذ كانت تربطه واياه

روابط اخوية وسياسية وقد سمى ابنه اسم ناظم ليردد اسـمه هذا في داره واهله امطره الله شآبيب رحماته .

جريدة الرافدين ، وأول حفل اقيم للملك فيصل بعد توليه العرش :

يقول سـامي خوندة :

في الايام الاولى التي مرت على اعتلاء الملك فيصل عرش العراق اخذ وجهاء القوم وبعض المؤسسات القومية يتسابقون في اقامة الحفلات التكريمية للملك وقد عمت ارجاء البلاد ومنها أول حفل اقيم بهذه المناسبة في صـحن الكاظمية حيث ازدان الصحن الشريف بانواع السجاد الثمين وقد حضر الملك بدعوة من السيد محمد الصدر بأسم اهالي الكاظمين والقى فيها السيد محمد عبدالحسين كلمة الترحيب لملك البلاد بأسم السـيد محمد وأهل الكاظمين فأجاب الملك بكلمة شكر بها الحاضرين وقال انه سيبذل اقصى جهـده في تحقيق استقلال البلاد فنهض الداعي المرحوم السيد الصدر وقدم للملك سيفا مرصعا غمده بالذهب والاحجار الكريمة بأسم الاهليين وعند الانتهاء مـن تقديم السيف تقدم الشاعر المعروف السيد رشيد الهاشمي فجأة دون ان يكون له في منهج الحفل دور والقى قصيدة من غرر الشعر لا تخلو من معاني الغمز واللمز بالملك الذي اعتلى عرش العراق كما يظهر منها فبـدا على جبين الملك الامتعاض مما حوته القصيدة لا سيما وقد سبق للشـاعر المرحوم ان لاحق الملك فيصل والقى عدة قصائد من غرر قصائده في دمشـق امامه عندمـا كان ملكا فيها وقد خشى الملك ان يستمر هذا بملاحقته في الحفـلات الاخـرى وقد القى قصـيدة في هـذا الحفـل اغضـب بهـا الملك فيصـل الاول ولما كان حضور الشاعر هذا معي سوية من بغـداد فقد خشـيت ان يقوم رجال التحقيقات الجنائية بالقاء القبض عليه فاستصحبته الى دار المرحـوم السيد محمد الصدر التي كانت تقرب من الصحن الشريف وبقينا فيها حتى ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم وبعد ان اطمأنا على عدم تفكير رجال الامن

بالقاء القبض عليه عدنا سوية الى بغداد وهذا مقطع من القصيدة المذكورة والتي لم تنشر في الصحف المحلية :

وقال مخاطبا ملك البلاد :

يا لابس التاج تاج الملك هنيتا
به اذا كنت لاستقلاله جيتا

زينته بالعدل والعلم العميم ولا
تختر لزينته درا وياقوتا

يا قائد الشعب لا تفسد قيادته
ولا يرى بك حبل العهد مبتوتا

ماذا اقول لقوم بيننا نقضوا
عهدا رأيناه يوم الضيق مبتوتا

واهجم على جلق واركز بساحتها
الرمح العراقي واربطها بتكريتا

لقد نشرت في أحد اعداد جريدة (الرافدين) بيتين من الشعر لناظمه (ابن الرافدين) وكان هو المرحوم الشاعر المعروف السيد محمد الهاشمي (شقيق السيد رشيد) فاهتم رجال البلاط بناظمه فاستدعاني المرحوم السيد فهمي المدرس بصورة خاصة واشار الى حديثنا لمعرفة ناظم هذا البيت ، ومن كان المقصود به فلم اخبره بما اراد الاطلاع عليه وقلت له : انه لي • وقد بيّن لي ــ المرحوم المدرس ــ ضرورة تجنب ما يستوجب القيل والقال والتأويل وكانت الابيات الشعرية هي :

قد كنت اسمع عنكم انكم نبأ
من الملائكة الغر الميامين

فلما جئتكم الفيت طائفة
ادهى واخبث من كل الشياطين

وهكذا كان لنا كل يوم شأن مع المسؤولين فيما نقول او ننشر •

جريـدة الاسـتقلال :

وضعت الحـرب العالمية الاولى اوزارهـا بـين المتحاربين واعلنت الهندنة بين المعنيين من دول الاتفاق من جهة والحكومات البريطانية والافرنسية والامريكية من جهة اخرى وما ان اعلن وقف القتال حتى اخـذت كل مـن الحكومة البريطانية والافرنسية تطلب تطبيق بنود معاهدة سايكس ــ بيكو السرية التي كانا قد عقدها سرا بعد أن خاضت الجيوش العربية ميادين القتال في سنة ١٩١٦ دون علم بقيادة هذه الجيوش وبموجب بنود هذه الاتفاقية ان تقوم بريطانيا بتولي الانتداب على العراق وتدير اموره وتتولى فرنسا الانتداب على لبنان وسوريا وقد تناست الحكومة البريطانية في غمرة انتصـاراتها في هذه الحرب الطاحنة ما كان قد تعهدت به باقامة دولة عربية في هذه البلاد التي ستنسلخ عن الدولة العثمانية والاتفاق الذي قطعه ماكماهون مع الشـريف (الملك) حسين نيابة عن الوزارة البريطانية آنذاك وقبل عقد معاهدة سايكس ــ بيكو هذه وفي خلال ذلك كانت الجيوش العربية قد وزعت قياداتها الى ابناء الشريف الملك حسين كل من جهته ومنها ما كانت بقيادة الامير فيصل قـد وصلت دمشق حالما قامت الجيوش البريطانية بهجومها على جهة فلسـطين ومعان بقيادة الجنرال (اللورد اللنبي) في شهر ايلول سنة ١٩١٨ وهو القائد العام للجيوش البريطانية في فلسطين وعند وصول القيادة العامة التي كانت في الجهة الشرقية من معان الى دمشق قبل ان تصلها الجيوش البريطانية نودي بالامير فيصل ملكا على سوريا بحدودها الطبيعية وتم تشكيل هذه الحكومة التي اعلنت استقلالها وفقا لما سـبق ان اتفق عليه بمعاهدة (ماكماهون ــ الحسين) وبعد فترة من الزمن على ذلك قام الجنرال غورو وطلب من الملك فيصل بوجوب ترك دمشق خلال مدة لا تتجاوز الاسبوعين وتسليم ادارة البلاد الى الحكومة الفرنسية وفقا لمعاهدة (سايكس ــ بيكو) فلم يجد هذا الانذار محله في نفوس رجالات الدولة العربية وتقرر ان يقوم الشـعب بمشـاركة

رجال الحكم بالدفاع عن استقلال بلادهم ولما انتهت مدة الانذار قام الجيش الزاحف الافرنسي على سوريا والتقى بالمجاهدين العرب على مشارف الشام وحدثت معركة كبيرة في منطقة (ميسلون) استشهد فيها يوسف العظمة وزير الدفاع . وعلى اثرها ترك رجال الحكم دمشق وسافر الملك فيصل الى سويسرا وفي معيته بعض رجاله ، وعاد الضباط العراقيون الذين كانوا قد ساهموا في جبهات القتال عادوا الى بغداد وقام الجنرال غورو بأسر من بقي منهم في دمشق وسوريا من مدنيين وعسكريين وارسلهم اسرى الى (جزيرة ايرواد) التي تقابل بيروت وتبعد عنها حوالي ثمانين ميلا تقريبا وقد عاد الى بغداد في هذه الفترة الضابط العهدي المرحوم عبدالغفور البدري واخذ هؤلاء يجتمعون بعضهم ببعض مع رجال الحرس السري واستقر الرأي على اصدار جريدة تساهم في نشر الوعي الوطني بين صفوف الشعب وكلف عبدالغفور للقيام بهذه المهمة ، فقد طلب الى السلطة المحتلة السماح له باصدار جريدة سياسية يومية باسم (الاستقلال) وصدر العدد الاول منها في ٢٨ ايلول سنة ١٩٢٠ في وقت اتسعت فيه الثورة العراقية الدامية في انحاء العراق واخذت الجريدة تركز على نشر المقالات التي تدعو الى استقلال العراق برئاسة احد انجال الشريف حسين استقلالا تاما حتى ضاق ذرعا رجال الاحتلال مما يكتب فيها .

اعتقال عبدالمجيد كنـة :

داهمت الشرطة في صباح يوم ١٢ آب ١٩٢٠ بيوت عـدد من زعمـاء الحركة الوطنية هم : يوسف السـويدي[٣٢] وجعفـر ابـو التمن وعلي

(٣٢) يوسف السويدي : ولد ببغداد سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م ودرس العلوم العربية والدينية على بعض علمائها الافاضل ، تولى القضاء في اقضيـة والوية عديدة وحصل رتبة من الدولة العثمانية . وقد نال عضوية مجلس الادارة في بغداد . ولما نصبت مجزرة عالي دعاه جمال باشا السفاح اليها فسجنه شهرين في لبنان . ثم نفي بعدها الى الاناضول فالاستانة . وعاد بعد عقد الهدنة الى سورية . ومنها الى بغداد .

البزركان(٣٣) والشيخ احمد الشيخ داود(٣٤) فتمكن الثلاثة الاول من الهرب والقي القبض على الشيخ احمد ونفي الى البصرة ثم ارسلته من هناك الى جزيرة هنجام .

---

(٣٣) علي البازركان : ينتسب الى عائلة عربية يرجع اصلها الى قبيلة القيسيين من الكروية الجديدة . وجده الاعلى الامير ناصر بن الامير حسن بن الامير حازم ولد في مدينة بغداد في محلة الحيدرخانة سنة ١٣٠٤هـ ـ ١٨٨٧م. وعندما بلغ الرابعة من عمره ارسله والده الى (الملا) في جامع حسن باشا على عادة أهل المدن يومها . وهناك ختم القرآن الكريم . وعندما اكمل السادسة من العمر دخل المدرسة الابتدائية وهي المدرسة الرشيدية العسكرية وعندما انهى الدراسة فيها دخل المدرسة (الاعدادي ملكي) وفي الاعدادي ملكي التقى بعدد كبير من الطلاب الذين قدر لهم فيما بعد أن يتولى حكم العراق مثل حكمت سليمان وغيره . وعندما وصل الى الصف الاخير من هذه المدرسة توفي والده ١٩٠٣ . فاضطر الى ترك المدرسة تحت وطأة الحاجة لاعالة اهله فاتجه الى الكسب الحلال واخذ يعمل في السوق مع اعمامه واصدقاء والده في التجارة ومن هنا لحق العائلة لقب (البازاركان) . وهي كلمة فاسية مكونة من مقطعين (البازار) السوق (كار) العمل . وفي هذا العمل ارتبط بصداقات عديدة مع عدد من العوائل العراقية القديمة .

وبجهوده الخاصة تعلم اللغة العربية والتركية والفرنسية والالمانية والفارسية وكان يجيد التحدث بهم .

كان متحدثا لبقا يستعمل الملح والنوادر في حديثه . رزق ولدان حسان وحامد .

(هذه المعلومات ذكرها لنا السيد حسان النجل الاكبر للمرحوم علي البزركان في لقاء معه صباح يوم الجمعة الموافق ١٩٨٤/٥/١٨ في داره في منطقة الجادرية في بغداد) .

(٣٤) ولد احمد الشيخ داود : في شهر صفر ١٢٨٨هـ ـ ١٨٧١م ودرس العلوم الدينية والدنيوية على عدة علماء افاضل منهم والده الشيخ داود النقشبندي وعبدالوهاب النائب وقد اجازه مصطفى نورالدين الواعظ في العلوم العقلية والنفسية وبعد اجازته عين مدرسا عاما في قضاء خريسان في ١٨٩٣ . وتولى وكالة القضاء الشرعي والقائمقامية في القضاء مرارا وبقي فيها حوالي خمسة عشر عاما . وبعد اعلان الدستور العثماني عين قائمقاما لقضاء خانقين فلم يبق فيها طويلا لخلاف وقع بينه وبين الوالي ناظم باشا . وبعد ان ترك وظيفته هذه زار الاستانة وكان من

كان عبدالمجيد كنة(٣٥) على اتصال دائم بجمعية الحرس بالرغم من تأسيسه (حزب الدفاع) وكان يراسل رئيس وفد الخمسة العشر عضوا الذين انتخبوا في جامع الحيدرخانة هو السيد يوسف السويدي وكان يراسله من

جملة الشاكين من ادارة ناظم باشا . ثم عين واعضا عاما في ولاية بغداد . انتخبه اهالي قضاء الجزيرة (الصويرة) لعضوية مجلس الولاية وقد ظل عضوا في هذه اللجنة الى ان احتل الانكليز بغداد فعينته السلطة المحتلة مديرا للاوقاف التي انتخبه لها علماء بغداد باغلبية ساحقة ولكنه لم يلبث ان اصطدم مع المستر كوك ناظر الاوقاف البريطاني فاستقال وعهد اليه بعد ذلك برئاسة الوظائف العلمية فبقي فيها حتى انتخبه الشعب مندوبا من الخمسة عشر . وكان من زعماء جمعية حرس الاستقلال السرية ومن اكبر مؤسسي المدرسة الاهلية (التفيض) . نفته السلطات البريطانية الى هنجام في سنة ١٩٢٠ وبقى هناك عدة اشهر . وفي كانون الثاني ١٩٢١ اطلق سراح بعض المعتقلين في جزيرة هنجام وكان من بينهم احمد الشيخ داود وجعفر الشبيبي ونوري فتاح . ونشرت جريدة العراق برقية وردتها من البصرة مؤرخة في ٣١ كانون الثاني من الشيخ احمد يقول فيها انه وصل البصرة .

غادر الشيخ احمد ورفاقه البصرة . فوصلوا بغداد في ٩ شباط . وقد صدرت جريدة الاستقلال عددا خاصا احتفاء بهم كتبت عنوانا كبيرا في صدر الجريدة تهنىء الشعب العراقي بمقدمهم وتطالب باعادة المعتقلين الاخرين .

وفي صباح يوم ٣ تموز ١٩٢١ وصل قطار البصرة وهو يحمل العائدين . وقد جرى لهم في المحطة استقبال كبير ذكرت جريدة العراق اسماءهم وهم جلال بك بابان ، حميد افندي آل كنة . عبدالغني افندي من مندلي والسيد احمد افندي والشيخ عبدالقادر آل كاكة واحمد الشيخ عريب ومحمد افندي من السليمانية . جريدة العراق : ٤ تموز ١٩٢١ .

وكان احد اعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الوطني العراقي . وقد طلبت السلطة البريطانية ان تنفيه الى هنجام للمرة الثانية لكنه اختفى عن الانظار وظل مختفيا عدة اشهر . وظهر مرة اخرى عندما سمحت الحكومة بذلك لقاء توقيعه العهد الذي وقعه المنفيون في هنجام .

(٣٥) عبدالمجيد كنة : ولد عبدالمجيد كنة سنة ١٣٠٦هـ الموافق لسنة ١٨٨٧م وكان احد اربعة انجال لابيه السيد حسن بن السيد ياسين وهم (اسماعيل ورشيد وحميد ومجيد) وقد نسبت هذه العائلة الى جدتهم

حين لاخر عارضا عليه خدماته . والحقيقة كان السويدي يتمتع بشعبية كبيرة وكانت الناس تعقد عليه كثيرا من الامال فعندما جاء الشرطة لاعتقال السويدي تصدى لها ابناء المحلة وامطروهم وابلا من الرصاص دفاع عن السويدي وكانت البيوت المجاورة لداره قد وضعت فيها متاريس اعدت لهذا الغرض الامر الذي اضطر الشرطة الى طلب النجدة ووقعت خسائر كبيرة

الكبيرة (كنة) وترجع في اصولها الى قبيلة البيات . نشأ عبدالمجيد كنة في السنوات التي اعقبت اصلاحات مدحت باشا . وقد اكمل ثقافته الاولية على يد علماء الجوامع ثم التحق بعدها في المدرسة الرشدية العسكرية في بغداد وتخرج منها بعد سنوات . وكانت العادة ان يسافر الطلاب المتخرجون من الرشيدية العسكرية بعد تخرجهم من الاعدادية الى الاستانة حيث يدخلون الكلية العسكرية الشاهانية ولكن عبدالمجيد لم يسافر وقد عمل موظفا بسيطا في العدلية ثم ترك الوظيفة وصار عضوا في جمعية الحرس . كان الرجل وطنيا ومن الد اعداء الاتحاديين تلك الفئة التي كانت تضمر السوء للعرب والوطن العربي . وكان من كره عبدالمجيد للاتحاديين ان هجم مرة على طاغيتهم يومها وهو (احمد بك) قائد الجندرمة (قائد الشرطة العامة) ببغداد وأطلق عليه رصاصات عديدة اصابته بجروح بليغة والقت الشرطة القبض عليه غير ان الجرم لم يثبت عليه فظل في التوقيف حتى قيام الحرب العالمية الاولى .
عندما احتل الانكليز البصرة ١٩١٤ هب العراقيون للدفاع عن العراق واصدر العلماء الفتاوى بالجهاد ضد المستعمر . وتشكلت في بغداد والفرات الاوسط وكربلاء والنجف اللجان لتسير المجاهدين الى جنوب العراق . وعلى اثر اعلان الجهاد المقدس تدفقت القبائل المحيطة ببغداد الى المدينة لتسهم في الجهاد واعلنت الحكومة العفو العام عن الموقوفين غير ان عبدالمجيد كنة لم يطلق سراحه . فجاءت قبيلة البيات واصر سليمان البياتي على ان يكون عبدالمجيد احد قوادها . ولما كانت هذه القبيلة كبيرة بعدد افرادها اضطر وكيل الوالي احمد بك نفسه انذاك الى المجيء الى الموقف واخرج عبدالمجيد بنفسه وسار معه ماسكا بيده . وسار عبدالمجيد الى جنوب العراق مع المجاهدين وقد ابلى في واقعة الشعيبة . وعلى الرغم مما بذلته هذه القوة العربية الا انها اندحرت وانتحر قائد الحملة (سليمان بك العسكري) وقد مارس عبدالمجيد العمل السياسي في وقت مبكر . فعندما تأسس النادي الادبي سنة ١٩١٢ على يد جماعة من المشتغلين بالحركة الوطنية ومنهم مزاحم

بالارواح من الجانبين انتقل السويدي من داره الى دار سلمان الحمامي ووالد الدكتور محمد حسن سلمان الحمامي ثم بعدها ذهب السويدي الى اليوسفية ثم الى النجف • وجرى تفتيش دار السويدي فعثر بها على مستندات سياسية ومنها رسالة كان قد ارسلها عبدالمجيد الى السويدي يخبره فيها بتصميمه على اغتيال الاشخاص الذين يتعاونون مع الانكليز ومنهم السيد طالب النقيب والقت القبض عليه وحاكمته في محكمة عسكرية في ١٦ ايلول بتهمة الاشتراك في تأليف عصابة مسلحة تسعى الى ارهاب او قتل كل من يخالف مبادىء حزبه وحكم بالاعدام شنقا ونفذ فيه فشنق ليلة ١١ محرم من سنة ١٣٣٩ الموافق ٢٥ ايلول سنة ١٩٢٠ • واصدرت الحكومة بلاغا بذلك(٣٦) •

وقال سامي خونده : وعندما كان عبدالمجيد كنة في حبسه في سجن السراي قبل تقديمه الى المحكمة العسكرية • كانت الحكومة تريد ان تعرف

الباجه جي وحمدي الباجه جي انتسب عبدالمجيد الى هذا النادي . وكان من اعضائه بهجت زينل ومبدر الفرعون وغيرهم . وكان هذا النادي مرتبطا ارتباطا وثيقا بحزب الائتلاف والحرية في البصرة وكانت جريدة (النهضة) لسان حال الحزب .

وعندما تكونت جمعية الحرس السري في العراق انتسب عبدالمجيد اليه . وعندما شبت نار الثورة في الفرات الف حزبا ضم اليه مجموعة من الشباب الذي يعتمد على وطنيتهم وشجاعتهم وسماه (حزب الدفاع) وسن له منهجا خاصا به الا انه ظل محافظا على الرابطة السياسية التي تربطه بجمعية الحرس وكانت كتبه التي وجدت في بيت السويدي من نتيجة ذلك الارتباط .

(٣٦) نص البيان (حوكم عبداجيد كنة من اهالي بغداد في محكمة عسكرية في يوم ١٦ ايلول بتهمة ارتكابه جريمة ضد السلطة العسكرية بسعيه وراء اثارة الخواطر على جيش الاحتلال وقد ثبت لدى المحكمة ثبوتا بينا من المكاتيب الموقعة منه التي وجدت في بيت يوسف السويدي بان عبدالمجيد كانت له يد دموية الى تأليف عصابة من القتلة ترمي الى ارهاب وقتل كل من لا يجاري المبادىء المتطرفة التي اتخذها حزبه . وقد ثبت عليه الحكم فحكمت عليه المحكمة بالاعدام شنقا . وشنق ليلة السبت ٢٥ ايلول .

اعضاء العصابة التي كان يقودها عبدالمجيد • فدست الى السجن معه جاسوسا اسمه (عبود زيدان الخزرجي) متهمة اياه بنفس التهمة وصار هذا الجاسوس يتظاهر امام عبدالمجيد بالوطنية ويدعي انه محبوس في سبيلها لكي يحصل من عبدالمجيد على اسـماء اعوانه • وعندما علمت بالامر تمكنت بمعونة بعض الاصدقاء من ايصال الخبر الى عبدالمجيد في السجن لتحذيره من الجاسوس وكان ذلك سببا في نجاة الكثير من الوطنيين •

وعندما نفذ حكم الاعدام بعبدالمجيد كنة في قلعة المدفعية (مقر وزارة الدفاع حاليا) اعدت السلطة حفرة واوصت أن يدفن فيها الشهيد بعد أن سألت عن مقبرة العائلة فقيل انها مقبرة الشيخ معروف مع العلم ان مقبرة عائلة كنة في جوار الشيخ جنيد البغدادي قرب النبي يوشع •

وبعد تنفيذ الاعدام تجمع اهل محلته (المهدية والفضل) والمحلات المحيطة بهما واذيع الخبر في بغداد فهلل المؤذنون على مآذن مساجد بغـداد وكبروا وقد احتشد الناس بشكل كبير وعندما تسلموا الجثة ساروا في موكب مهيب وحملت من داره قبل الظهر وسارت في الشوارع يتقدمها اهل الدفوف والاعلام وهم يهللون ويكبرون ويتبع حملة الاعلام والدفوف من الشباب وفي ايديهم الشموع تضيء • وقد القى على الصندوق رزمة نفيسة من الحرير وعلق فوق رأسه الطربوش الذي كان يلبسه في ايام الحياة • ثم بعد ذلك افواجا مـن النساء • وعندما وصل النعش الى المقبرة صلى عليه ودفن • والحقيقة ان هذا اليوم كان يوما مشهودا في تاريخ بغداد حيث طغى تشييعه على كل من عداها لفترة مـن الزمـن •

وقد القيت الخطب والقصائد على قبره وكان يوم دفنه ١١ محرم وقد ربط الشعراء والخطباء بين استشهاد الحسين واستشهاده •

وكان قد وجد في جيب الشهيد بعد شنقه بايام وصيته الى اخيه رشيد كنة يقول فيها :

اخي العــزيز :

رجائي اليك ان تتقبل اعدامي بصبر وجلد ولا تدع للحزن سبيلا الى قلبك ارجو ان يكون قبري في مقبرة الشيخ جنيد وان تشيد عليه حجرة • اكتموا خبر اعدامي فلا تعلموا الناس به سلامي الى اخواني واقبل نواظـر خليل •

عبدالمجيد

وتنفيذا لهذه الوصية وبعد مرور عام على دفنه في مقبرة الشيخ معروف قرر الوطنيون نقل رفاته الى مقبرة الشيخ جنيد في شهر ايلول سنة ١٩٢١ واعلنوا في الصحف المحلية نقله واقامة حفلة تأبينية كبرى بمناسبة مرور سنة على شنقه ونشرت هذا الخبر جريدة دجلة لصاحبها المرحوم داود السعدي وفي جريدة لسان العرب لصاحبها المرحوم ابراهيم حلمي وجريدة الفـلاح لصاحبها عبداللطيف الفلاحي وجريدتنا (الرافدين) •

وقد اجتمع اهله واصدقائه في مقبرة الشيخ معروف ليلة الجمعـة ٢٠ محرم الحرام ١٣٤٠هـ الموافق ٢٣ ايلول ١٩٢١ وسـهروا عند قبـره حتى الصباح يقرأون القرآن الكريم على روحه وفي الضحى اخرجوا رفاته وحملوها الى مقبرة الشيخ جنيد وسط التهليل والتكبير واستقبل الجثمان عدد مـن الشعراء والادباء ووضعوه في قبره •

وفي الظهر من نفس اليوم اقمنا لـه حفلة تأبينية ، تقدمت وافتتحـت الحفل بكلمة تأبينية قلت فيها :

افتتح هذه الحفلة مؤبنا فقيد الشهامة وشهيد الاباء الـذي قـدم هو واسراته العريقة خدمات جلى للوطن وضحوا من أجل خدمة البلاد والتضحيات الغالية منها فقيدنا هذا ، فهو الذي ختم تضحيات اسرته بأن ضحى بنفسه فهذا هو شهيد الوطن وأني لاتصور روح الفقيد الغالي وهي حائمة في سمائها تتطلع الينا من عليائها مرفرفة خفاقة متمنية ان ينال هذا الوطن العزيز امانيه الغالية •

اجل ، اتطلع الى تلك الروح الطاهرة التي لم ترضى بالهوان والذل ولم ترضخ لسلطة المستعمر •

وحين اودع هذه الروح النقية الوداع الحار وانظر الى هذا الحدث الطاهر بعين الاسى والحزن ارجو ان يكون فقيدنا قدوة مثلى وان تتحذى حذوه ببذل النفس والنفيس في سبيل الامة والوطن وبهذا فقط تنال البلاد استقلالها وتستنشق نسيم الحرية عذبا صافيا • رحم الله الفقيد واسكنه فسيح جناته •

والحقيقة كنت متأثرا ومنفعلا جدا وانا اقرأ كلمتي هذه وكنت أرى معظم الحاضرين يبكون وينحبون •

وبعد ان القيت الكلمة تقدم الشاعر المرحوم محمد الهاشمي والقى قصيدة عصماء بعنوان (شهيد الاستقلال) كان لها دوي شديد في الحاضرين كان مطلعها :

لولا التقى لجعلت قبرك كعبة ... للطائفين وقبلة للركع

ومنها :

لو انصفوك لاودعوك قلوبهم ... حرصا عليك ورغبة في المودع
قم وانظر الوطن الذي حاميته ... ماذا يقاسي من اسى وتفجع
انظر اليه فانه متخشع ... قلق الفؤاد لهول ذاك المصرع[37]

ثم القى الشاعر ابراهيم الرحيمي قصيدة عصماء عنوانها (صريع الشهامة) مطلعها :

اقول لعيني ما لدمعك قد جرى ... على وجنتي هل قد علمت بما جرى
انابك خطب ام دهتك ملمة ... من الدهر حتى سال دمعك احمرا
فهل ابصرت نحو الحقيقة يوم ذا ... (مجيد) غدا فوق التراب معفرا

(٣٧) القصيدة منشورة كاملة في جريدة الرافدين العدد الاول ١٩٢١ .

ويقول فيها :

فقدتم من الاسـلام حـرا مهذبـا ... فدى نفسـه للشـعب كي يتحررا
مناقبة قـد خلـدت بصـحائف ... من الفخر ذكرا يملأ الكون مفخرا
عهدناه رب المجـد من قبل موتـه ... هماما اذا ما اورد الخطب اصـدرا

ثم تقدم الشيخ (الدكتور) محمد مهدي البصير ، وكان صديقا لمجيد كنة والقى كلمة بليغة في الفقيد ارتجلها :

خاطب نعش الفقيد بعبارات مؤثرة بليغة ، ثم أبن الفقيد بجمل تأسي وعزاء ، وتعزية ذويه وطلب الصبر والسلوان • ثم بين اثر التضحية في الخلود وبقاء الامم ، وخاطب السامعين باحياء ذكرى الشهداء الوطنيين الابـرار • وكانت كلمة الشيخ البصير مؤثرة هزت الحاضرين • لم تدون لان الشـيخ لم يسـجلها بورقة •

وبعد الشيخ البصير القى الشاعر عبدالرحمن البنـاء قصـيدة فريدة مطلعهـا :

امجيد شـعبك جـاء كي يرثيكـا ... من بعـد عـام علـه يرضـيكا

وقد ارسل توفيق الفكيكي ابياتا في رثاء عبدالمجيد ارخ فيها تاريـخ شنقه سنة ١٣٣٩ هـ وقد القيت عنه بالنيابة حيث لم يكن يومها في بغداد • وعنوان القصيدة (شهيد الحرية) قال :

هـذا لعمـر العـلا قبـر ... طـاب ثـرى مـذ حوى مجيـدا
من رزئتـه الاوطـان حـرا ... يأبى بهـا غـير ان يسـودا
وكـان ذا نخـوة وبـأس ... ونجـدة تفلـق الحـديدا
لا يرتجـى اللئـام وعـدا ... وليس يخشـى منهـم وعيـدا
مضـى وابقـت لـه المعـالي ... ذكـرا على الدهـر لـن يبيـدا
قضـى شـهيدا فقلـت ارخ ... (ان مجيـدا قضـى شـهيدا)
١٣٣٩

وكذلك عبدالكريم العلاف ارخ عبدالمجيد كنة ولكن بالتاريخ الميلادي وعنوان القصيدة (تاريخ شنق الشهيد عبدالمجيد كنة) قال :

الحـر في الدنيـا كعبـد المجيـد — لا يرتضـي العيش بـذل العبيـد
العبـد يلـوي جيـده طائعـا — وهو لغـير الشـنق لم يلوي جيد
دافع عن شـعب بـه قـد نشـأ — دفاع ذي عـزم وبـأس شـديد
وبات في السـجن رهـين القضـا — مكبلا والسـجن غـاب الاسـود
قـادوه للمـوت الى سـاحة — يرسـف في اغلالـه والقيـود
مصـرعـه جـاء بيـوم بـه — قد صرع السبط الحسين الشهيدا
مـذ شـنقوه ارخـو : اسـمه — (ضـحية للشـعب عبدالمجيد)

١٩٢٠

ثم ارخ عبدالرحمن تاريخ شنق عبدالمجيد ايضا باربعة ا بيات وما زالت هذه الابيات على باب غرفته التي فيها قبره كتبت على لوحة من الرخام مع تاريخ شنقه وتعين مكان قبره قرب (القبة البيضاء) للنبي يوشع المجاورة للشيخ جنيد البغدادي يقول :

الـم تـر ان الحـر يعلو مقاومـه — فيترك ذكـرا في الزمـان حميـدا
وان هـو دون المجـد آثر موته — فما اختـار الا في الحياة خلـودا
فيمم ثـرى عبدالمجيـد فانـه — فتى عض ناب البغـي منه وريدا
وللقبة البيضـاء مـن حيث ارخو — (ففيها ثوى الحر المجيد شـهيدا)

وقد رثته بعد استشهاده شاعرة من شاعرات الرميثة بقولها :

البغـداد يطـارش تعنـه — من اسمعت باعـدام ابن كنـه
كلهـا الرميثة جذبـت ونـه — حنـت الكتلتـه فـرد حنـه
مجيـد يـا ليـث المحنـه — حيـد ويشـهد التاريخ عنه

ويشـهد للوطـن ما خييت ظنـه

السيد طالب النقيب : وزير الداخلية :

كان المرحوم السيد طالب النقيب وزيرا للداخلية في الوزرارة المؤقتة التي شكلها المرحوم السيد عبدالرحمن النقيب عندما قررت وزارة المستعمرات البريطانية في لندن اقامة حكومة مستقلة في العراق • وقد شكلت هذه الوزارة في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ تمهيدا لمولد الحكومة المقرر اقامتها •

كان السيد طالب النقيب رجلا مجبولا على حب الهيمنة والتسلط على سيرة الصحافة الحرة لا يطيق الانتقادات التي توجه اليه او الى اعماله في الوزارة وسلوكه في ادارة الامور الموكولة اليه او في الاعمال الاخرى • وهو الى ذلك كان مشهودا له بالالمعية وسداد الرأي في كثير من الاحوال •

وانه من اسرة عربية هاشمية لها تاريخ مجيد حافل بالخدمات الجليلة التي قامت بها •

لقد كانت الثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) قد اوقعت في جيش الاحتلال البريطاني ورجاله الحيرة فقررت وزارة المستعمرات اخيرا اقامة حكومة عربية في العراق يراسها احد ابناء الشريف حسين وترتبط هذه الحكومة بمعاهدة عراقية ويصادق عليها المجلس التأسيسي الذي سينظر في اعداده من بعد وعهد الامر الى السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق • وجاء الى العراق مزودا بكافة الامور من جميع جوانبها وتشكيل وزارة مؤقتة ــ كما قلنا ــ واستوزر فيها السيد طالب النقيب وزيرا للداخلية•

وفي خلال ذلك قامت الحكومة البريطانية بترشيح الامير فيصل احد انجال الشريف حسين ملكا على العراق واخذت الصحف وبعض السياسيين في البلاد بالدعوة الى ذلك •

ان ترشيح الامير فيصل ملكا على العراق قد استفز السيد طالب واصبح يتضايق منه بشكل كبير لان السيد طالب كان يعد نفسه لان يكون ملك

العراق بالنظر لما له من تاريخ حافل بالخدمات الجليلة التي اسداها لوطنه وقد سانده وايده في رغبته هذه بعض الشخصيات العراقية والبريطانية ومنهم المستر فلبي المفتش الاداري بوزارة الداخلية والميجر تيس في لواء الناصرية وكان يدور البحث حول هذه القضية في اروقة دائرة المندوب السامي البريطاني ورئاسة الوزرارة المؤقتة سرا وعلنا •

كان السيد طالب يعتبر ابعاده عن نيل الملوكية وقبوله وزارة الداخلية اهانة له لا يستطيع تحملها فوجد الوقت مناسبا في ان يرفع استقالته من الوزارة ليعمل ما يريد بحرية وكما يشاء •

ووجد من الافضل ان تتولى الدعاية له جريدة الاستقلال التي كانت تنطق بلسان الاحرار من الوطنيين • فقرر ان يجتمع بمحرريها ليسمعوا منه خبر استقالته وطلب من سكرتير وزارة الداخلية اعدادها وقرر اذاعتها في حفلة شاي يدعو اليها محررو الجريدة • ووجه اليهم الدعوة •

وفي عصر يوم لا اتذكر تاريخه حضر كل من المرحومين قاسم العلوي رئيس تحرير جريدة الاستقلال[٢٨] وسلمان الشيخ داود وعلي محمود الشيخ علي وطالب مشتاق وكاتب هذه السطور الى حديقة الوزارة (التي اصبحت الان مشغولة من قبل المشرفين في وزارة التربية) بناء على دعوة طالب النقيب وفي ساعة متأخرة حضر السيد طالب وحيانا وكان عبوس الوجه تبدو على محياه آثار التعب والارهاق وبعد ان استقر به المقام وشرب الشاي اخذ يلقي علينا توجيهاته واراءه وجهاده في خدمة الوطن منذ شبابه وطلب الينا ان نكرس اقلامنا في رعاية مصالح الوطن وخدمته بالطريقة التي يراها هو كمواطن بأوسع افق مستطاع وبالرأي السديد • وقال لنا : اني اترك الوزارة عندما اجد نفسي مقيدا لا استطيع تقديم الخدمات الحقة للبلاد • ولم يتكلم الحاضرون ولم

---

(٣٨) كان سامي خوندة يكتب في جريدة الاستقلال تحت اسم مستعار (قروي) أو (انا) .

يبدوا شيئا فظن السيد طالب ان الجماعة اقتنعوا بوجهة نظهـره وان جريدة الاستقلال ومحرريها سيخضعون لما قال . فسكت برهة وكأنه وجد كلمة قيمة يريد القاءها علينا سلفا فقال : ان الصـحف تنطق بلســان الامة عدا جريدة الاستقلال فانها لاتنطق بلسانه وهي بعيدة عن اماني الشعب ، انها تنطق بلسان شرذمة صغيرة حديثة العهد في معرفة ما تقوله تجاه البلاد . واني اعتقد ان ما ينشر فيها يخالف ما يجب نشره في صحيفة تكرس اعمالها في خدمة البلاد واني احتفظ لكم في قلبي حبا وتقديرا لتفانيكم بارواحكم واخلاقكم وسيزداد تقديري لكم عندما تكرسون العمل لما القيته عليكم من التوجيهات وبعد ان انتهى من محاضرة النصح والارشاد التي القاها علينا غادرنا مكان الدعوى بعد ان سلم علينا وعدنا الى ادارة الجريدة (وقد كانت يومها تلاصـق المحكمة الشرعية مقابل مصرف الرافدين فرع بغداد الحالي) ووجدنا المرحوم البدري صاحب الجريدة في انتظارنا واجتمعنا مدة من الزمن وقررنا الرد عليه بالصراحة التي عرفت الجريدة فيها وتولى كتابة الرد المرحوم سلمان الشيخ داود مشيرا برده الى تأييده بحرارة ملوكية العراق لاحد اولاد الشريف حسين . ونشرته الجريدة وخرج على القراء في اليوم التالي بدون توقيع بناء على رغبة صاحبها البدري المعروف بادبه وشجاعته فتأثر السيد طالب النقيب تأثرا كبيرا عندما قرأ ما كتبته الجريدة وصار يتربص بنا للتنكيل بالجريدة وصاحبها ومحرريها انتقاماً على صراحتهم في عدم تأيده لما يدعو اليه .

وفي ٩ شباط سنة ١٩٢٠ صدر العدد وفيه مقال طلبت فيه اعادة المنفيين السياسيين الى العراق من منفاهم بجزيرة هنجام والمباشرة في العمل على منح العراق استقلاله وفقا لما اتفق عليه خلال الحرب العالمية فقامت السـلطة في كبس محل ادارتها وسوق صاحبها البدري ورئيس تحريرها السيد قاسـم العلوي والمحرر فيها الشيخ (الدكتور) محمد مهـدي البصير الى محكمة الجزاء التي كان يرأسها الحاكم البريطاني (جى الكساندر) فحكمت المحكمة

على البدري بالسجن مع الاشغال الشاقة مدة سنة وعلى محمد مهدي البصير بالسجن مع الاشغال الشاقة تسعة اشهر وعلى العلوي رئيس تحريرها بالسجن ستة اشهر ومنع الجريدة من الصدور مدة سنة واحدة وزج البدري والبصير بالسجن الذي كان في وزارة الدفاع الحالية وقيدت ارجلهما بالسلاسل وزج قاسم العلوي في السجن الذي كان في باب المعظم (كلية البنات سابقا) كانت قد نشرت (جريدة العراق) في احدا اعدادها قيام السيد طالب النقيب بزيارة السجناء الثلاثة في سجنهم تشفيا وتبادل الاحاديث معهم ولم تذكر الجريدة ما دار بينهم في هذه الزيارة وفي يوم من ايام الجمع في الاسبوع الرابع من سجنهم كنا جمعا من اصدقائهم في زيارة البدري والبصير في سجنهما فسألت عن الزيارة التي نوهت عنها جريدة العراق فقال البصير :

جاءنا السيد طالب معاتبا ومشفيا لما كنا نكتبه في تأيدنا للموكية احد انجال الشريف حسين بدلا من تأييده في تتويج نفسه لعرش العراق ونعمله في الحقل الوطني واصرارنا على المضي في سياستنا القومية المعارضة للحكم المزدوج في البلاد واشرنا الى السلاسل التي قيدت فيها ارجلنا قائلين ان هذه السلاسل قد زادت من عقيدتنا لحب الوطن وزادت في التفادي في سبيل استقلال بلادنا استقلالا لا تشوبه شائبة وما زلنا نفخر بها كلما مرت ساعات السجن هنا ٠

وصل الملك فيصل الى العراق في صبيحة يوم ٢٢ شوال ١٣٣٩ اي (٢٩ حزيران ١٩٢١) وكان الشعب العراقي قد استعد لاستقباله ، ومما اذكره كنت والمرحوم مصطفى علي قد وقفنا في محل مقابل جسر مود (جسر الاحرار الحالي) في محل حافظ القاضي ننتظر مرور الموكب الاميري فوصل الموكب ، وكان الامير فيصل جالسا في سيارة زرقاء بلباسه العربي وجلس في صدرها احد الضباط بلباسه العسكري وكان يحيط بسيارة الملك موكب من الضباط

العراقيين بلباس عسكري سيرا على الاقدام • وكان الامير فيصل يرد التحايا على المستقبلين الذين يقفون على جانبي شارع الرشيد •

اتجه الموكب بعد ذلك الى القصر الذي اعد لسكناه وهو القصر المعروف باسم (قصر شعشوع) الذي يطل على نهر دجلة والذي يقع خلف البلاط الملكي السابق في منتصف طريق الاعظمية وبغداد •

وعندما حضر الامير فيصل مرشحا لعرش العراق ، لم يجد فيها سوى صحيفة واحدة هي جريدة (العراق) لصاحبها المرحوم رزوق غنام وقد صدرت بدلا عن جريدة لسان العرب التي كان يصدرها الاب انستاس الكرملي •

وفي هذه الفترة التي تبوأ بها عرش العراق بلغ مسامعه ما عملته السلطة المحتلة في اصحاب جريدة (الاستقلال) الناطقة بلسان القوميين من سجن وتوقيف اراد ان يبدأ باول عمل في العراق يقوم به وهو (امير قبل ان يكون ملكا) طلب اعفاء ما بقي من مدة محكومية اصحاب هذه الجريدة فأصدرت السلطة المختصة امرها باعفائهم كما مر ذكره غير ان السجناء الثلاثة رفضوا هذا الاعفاء وفضلوا البقاء في السجن مدة محكوميتهم فأوعزت بعض الجهات المرموقة ان يوفد لمقابلتهم واقناعهم وذهب الوفد (وكنت معهم) الى مقابلتهم في السجن فأصروا على الرفض واخيرا وافق البدري والبصير على تقبل هذا اللطف من الامير وخرجا من السجن يحيطهما رهط من الشباب القوميين •

أما العلوي فقد ذهبنا اليه وطلبنا منه الموافقة على ترك السجن فلم يوافق وقال وهو يبني غرفة من (الاجر ان هذا العمل قد علمني صناعة جديدة ولم يبق من محكومتي ما يساوي قبول اللطف) وفي اليوم الثاني ذهبنا اليه مرة اخرى وكرر علينا ما قاله قبلا الا انه بعد مرور اسبوع على ذلك اخرج من السجن في منتصف احدى الليالي دون ان يعلم احد بذلك تجنبا من حدوث تظاهرة كبيرة في استقباله •

كانت بغداد ترى للمراقبين خالية من اصوات القوميين وكان رجال حزب الحرس السري وبعض من ذوي الوجاهة قد تركوا بغداد الى الحجاز وسوريا وبقوا فيها وقتا يقارب الشهر حج بعضهم البيت الحرام حيث كان ذلك في ايام عيد الاضحى •

ثم عادوا اليها ورجال حزب العهد الموجودين في بغداد تراءى لهم لابد من المطالبة فيما يركز دعائم الاستقلال لاسيما وقد وردت بعض الصحف في بريطانيا اسم (الوازع) (حاكم) بدلا من الملك واختلفت وزارة المستعمرات في تعيين ما يؤمن لبريطانيا حقوقها دون الالتفات الى حقوق العراق وقد صدرت في بغداد في غضون ذلك صحيفتان الاولى (دجلة) وقد كانت تميل في بعض الاحيان الى الحكم الجمهوري وتدعو له (وجريدة الفلاح) تدعو الى الحكم الملكي وكان هناك فراغ لسماع اصوات القوميين الذين شاركوا رجال الثورة العراقية وكان هذا حديث المعنيين وكانوا يتشاورون بما يجب عمله في هذا الشأن لسماع اصواتهم •

وكان (كما كان ظاهرا للعيان) قيام دائرة المندوب البريطاني بوضع حجر الحكم المزدوج في البلاد مما كان يزيد في الطين بله اذ لم تشب نار الثورة الدامية في ارجاء العراق الا للمطالبة بالاستقلال التام لا تشوبه شائبة • ومن هنا جاءني صديقي صادق حبة ومعه الصديق عبدالرحمن خضر وشاب اسمه صالح الفارس السعدون (من عائلة آل السعدون) موفدا من بعض زملائنا في الكفاح وطلب الي اصدار جريدة سياسية تسد فراغ جريدة الاستقلال المحتجبة تنطق بلسان القوميين وبعد الدراسة والتفكير اجتمعنا في دار تقع (في محل صبابيغ الال) مع بعض الزملاء ذوي المكانة في الوجاهة من اعضاء الحزب الحرس السري وتقرر ان اتقدم بطلب الى وزارة الداخلية وبعد الاخذ والرد وافقت الوزارة على منحي امتيازا لاصدار الجريدة باسم (الرافدان) التي تعني نهري دجلة والفرات ولم يكن معروفا هذا الاسم عند

اكثر الاهليين من قبل وقد كنت اصرف عليها من مالي الخاص وهـذا نص كتاب الموافقة •

وزارة داخلية العراق

عدد ١٦٦٧٧

تاريخ ١٨ محرم ١٣٤٠ ــ ٢١ ــ ٢٢ سبتمبر ١٩٢١

لحضرة سامي افندي خونده المحترم •

بعد التحية • وجوابا لاستدعائكم المقدم لنا بخصـوص نشر جريدة (الرافدان) فاني امنحكم بهـذا امتيازا لاصـدار الجريدة المذكورة تحت مسؤوليتكم طبقا لقانون المطبوعات العثماني الذي عدلـه اخـيرا مجلس الوزراء • فقبل المباشرة باصدار الجريدة يجب عليكم دفع الوديعة القانونية وهي الفان روبية وابراز صورة مصدقة من شهادة تحصيلكم مع شهادة حسن حال • وفي الختام اهديكم وافر الاحترام •

وزير الداخلية

فصدر العدد الاول منها في ٢٢ ايلول / ١٩٢١ الموافق ٢٣ محـرم / ١٣٤٠هـ وكانت تساير بكتاباتها الشعور الوطني كما وكانت ادارتها ملتقى الشباب القومي الواعي واتجهت الجريدة في سياسـتها الى مكافحة الحكم المزدوج في البلاد والمطالبة بالاستقلال التام الناجز وقد تعرضت الى الغلق والاحتجاب عن الصدور مرات عديدة ، وكانت تدعو الى الوحدة العربيـة كما جاء في المقال الاول في عددها المذكور وتبث الروح الوطنية في صفوف الشعب وتحثه على المطالبة : بالاسـتقبال التـام الـذي تقـرر منحـه للعـراق باتفـاق الحكـومتين العراقيـة ــ البريطانيـة خـلال الحرب العالمية الاولى وتتساءل كثيرا عما جرى في البلاد العربية التي تقرر مصيرها في وقت قاتل فيه العرب جنبا الى جنب مع البريطانيين في سوح القتال ضـد

الدولة العثمانية٠ومن الذكريات التيكانت ومازالت تعلق في اذهاننا حتىاليوم هو حدوث المشاكل لنا في كل يوم مع وزارة الداخلية ومستشـاريها ٠ وفي كل ساعة ننتظر استدعاءنا الى المحاكم وقد تحملنا كثيرا ممن كانوا يتحدثون بالنيابة عن السلطة المحتلة والذين كانوا اكثر ملكية من الملك كان الوزير يومها يحكم بالاسم فقط ما الفعل الحقيقي فللمستشار السياسي الانكليزي الذي لا ترق له سياسـة الجريـدة الوطنية والقومية ورحـم اللـه الاسـتاذ الكبير المرحوم معروف الرصافي الذي قال مخاطبا الوزير :

الا ابلغـوا عـن الوزيـر مقالـة
لـه بينهـا لـو كان يخجـل توبيـخ
اراك بحمـام الـوزارة نـورة
امـا جنـاب المستشـار فزرنيـخ

كان الامير فيصل قد جيء به ملكا على العراق نتيجة استفتاء شعبي اجرته سلطة الاحتلال البريطاني والمستشارون البريطانيو يسـاعدهم اعوانهـم ذو الميول الانكليزية في العـراق وبما ان المرحـوم الملك فيصـل تبـوأ عرشا مستقلا ديمقرطيا مقيدا بمجلسين فقد بدأ باكورة اعماله قيامه بزيارة الوية العراق الواحد بعد الاخر وكان يتحدث في الجموع المحتشدة لاستقباله عن اعمال يقوم بها دعائم الاستقلال فكان يسـتمع اليها رهط من المؤيدين لماوكيته فحسب ٠ ولسنا الان بصدد ما ذكرته حوادث الاسـتفتاء وغيرها تفصيلا ٠

كان قد اقام المرحوم الشيخ علي السليمان رئيس قبائل الدليم مأدبه غداء في ارضي الطاشي في محافظة الرمادي للملك فيصل وكانت وليمة عربية اصيلة وضعت فيها عدة خيام واسعة حضرها جمع غفير من افراد العشـاير العراقية وشيوخها من قبائل مختلفة كانت مدعوة الى الحفل وقد ترأس الملك

الحفل بجلوسه في احدى الخيام الواسعة بلباس عربي وجلس على يسارة الشيخ فهد الهذال ابو محررت رئيس قبائل عنزة وبعد تناول الغذاء القى الملك كلمة على الحاضرين تناسب المقام ودعاهم الى الاتحاد والائتلاف وبعد ان انهى الملك كلمته القى الشيخ فهد كلمة شكر بها الحاضرين والتفت الى الملك فيصل وقال له (بلهجته البدوية) « ياولدي فيصل لا تغرك تصافيج (تصفيق) اهل بغداد تراه ما تنفعك وتسبب لك الاتعاب ونحن بايعناك لان الحكومة البريطانية قبلت بك ملكا على العراق » •

والشيخ فهد وعلي السليمان كانا مواليان للحكم البريطاني في العراق ولم يشتركا مع زملائهما من رؤساء القبائل بالثورة العراقية التي اشعل نيرانها ذووالفكر الصائب والسواعد السمر من افراد عشائرها من جوانب نهري دجلة والفرات معا •

وفي شهر تشرين الاول سنة ١٩٢١ دعيت والمرحوم ابراهيم حلمي العمر صاحب جريدة (لسان العرب) ثم جريدة (المفيد) ان نكون في ركاب الملك فيصل في سفرته من بغداد الى الناصرية وكان معنا في ركاب الملك المرحوم الحاج رمزي وزير الداخلية والمرحوم رستم حيدر سكرتير جلالة الملك والمقدم الحاج رمضان علي المرافق الاقدم وعبدالله المضايفي وما ان وصل القطار الى الرميثة شاهدنا سرية من خيالة العرب (العشاير) يتقدمها خيال ومعه اخر يحمل علما ملونا من خلفهما جمع من المشاة يرددون بعض الاهازيج العربية (هوسة) لم نفهمها كما لم يفهمها الملك ايضا فطلب الملك من المرحوم الحاج رمضان اخباره بما يقول هؤلاء في (هوساتهم) وعندما تقدم الخيال الذي كان يرأس هذا الجمع الى الملك وسلم عليه وعرفته فيما بعد بانه المرحوم الشيخ شعلان ابو الجون رئيس عشيرة الظوالم الذي اشعل نار الثورة الدامية في الرميثة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ضد المحتلين الانكليز • وكان الجمع يرددون في هوساتهم مخاطبين شيخهم شعلان بـ (يا شعيّل صحْ لو امجبعينه) اي يا شعلان هل

هذا ملك صحيح ام جاءنا بلباس (الملك) فوجم الملك ومن معه واخذتهم الحيرة في تفسير ما يقولون .

وفي الناصرية كان متصرفها الشيخ ابراهيم المزعل السعدون قد اقام مأدبة غداء في سراي الحكومة وقد حضرها اكثر من مائتي شخص وكان من بينهم المفتشان الاداريان الميجر يتس والميجر ديجبرن وبعد تناول طعام الغذاء وقف المرحوم سالم الخيون رئيس قبائل بني أسد وقال مخاطبا الملك يا جلالة فيصل بايعناك لترأس حكومة ملكية ديمقراطية ذات مجلس نيابي ولم تحقق ذلك حتى الان فهل يصح بقاء الحكومة خلافا لشروط البيعة وهكذا كان القوم بأكثريتهم لم يؤمنوا بان فيصل جاء ملكا ديمقراطيا وانما جيء به وازعا (حاكما) بريطانيا بلباس عربي كما سمته احدى الصحف البريطانية في حينه وسبب الجدل الواسع بينها التفت الى (ابراهيم العمر) وقلت ماذا تقول ونحن يجب ان نخبر العالم كله بصحفنا بما جرى وشهدناه فضحك رحمه الله وقال (دعنا نكتب ما نكتب في الاوضاع الراهنة واترك ما تريده وما اريده انا) لئلا تفتك بنا يد الاستعمار كما تشاء وليس لدينا من القوة ما يمنعها وان كان الحفل لملك البلاد .

كان المستر ديجبرن والميجر يتس مفتشين اداريين في لواء الناصرية قد دعونا انا والمرحوم (ابراهيم حلمي) عصر اليوم الثالث من وصولنا مع الركب الملكي الى دار الميجر يتس لتناول الشاي معهما وقد دار الحديث بيننا في امور شتى وقد لفت نظرنا الحاحهما بوجوب نشر كلما وجدناه وسمعناه هنا وعندما تركنا الدار سمعنا ليلتها ان وزارة الداخلية قد امرت بتعطيل جريدة (الرافدان) تعطيلا اداريا شهرا واحد وقد نقل الينا ذلك المرحوم السيد نوري القاضي الحاكم في اللواء ، حالما سمع الخبر من الميجر يتس (المفتش الاداري في اللواء) وعند عودتنا الى بغداد لم نجد من يستطيع اعلامنا باسباب تعطيل الجريدة واغلب الظن ان وزارة الداخلية اقدمت على غلق الجريدة خوفا من ان ننشر ما قاله الشيخ سالم الخيون للملك او ما جرى في الحفل .

كان قد مرت الاشهر الاولى من ايام ملوكية المرحوم فيصل لم تبد الجهة البريطانية وعلى راسها المندوب السامي التساهل في تقبل اجراء بعض ما يحقق استقلال البلاد في امور شتى وقد لازمت الازمات السياسية ادارة البلاد بشدة واعاقت كل تقدم كان يطالب به القوميون من الحكم وكان الملك فيصل يروم المباشرة في تحقيق دعائم الاستقلال ويستند بذلك على اكتاف القوميين سرا ٠

واذكر هنا في المناسبة اننا نشرنا في جريدة (الرافدان) مقالا كتبه الكاتب السياسي المرحوم علي محمود الشيخ علي عنوانه (فرنسا فرنسا) وذلك لمناسبة ذكرى يوم هجوم الجنرال غورو الافرنسي على حكومة دمشق المستقلة بعد وقوع الصدام المسلح الذي جرى بين الجيش الفرنسي والجيش العربي السوري في معركة ميسلون والذي كانت نتيجة (كما هو المعلوم) سقوط حكومة دمشق وخروج رجال الحكم منها وذهاب الملك فيصل الى سويسرا مع رجال حاشيته جاء هذا المقال مهددا اكثر مما كان معاتبا فأرسل الملك في طلبي بواسطة المرحوم الاستاذ فهمي المدرس بصفتي صاحب الجريدة ورئيس تحريرها مع كاتب المقال فذهبنا مساء الى قصر الملك وهو ما كان يسمى بـ (قصر شعشوع) المطل على نهر دجلة في طريق الاعظمية فوجدنا الرئيس توفيق الدملوجي المرافق الاول في انتضارنا فدخلنا الدار وجلسنا في البهو المعد لاستقبال الضيوف فجاءنا المرحوم الملك فيصل ببزته العسكرية وبعد اداء التحية نحوه أمرنا بالجلوس قال لنا ونحن جلوس معاتبا على نشر المقال ونعت الحكومة الفرنسية بما لا يليق بها وقال اكتبوا ما يفيد البلاد باعتدال واننا نستفيد من كتاباتكم ومن مطالبتكم التي هي مطالب الشعب وتحملوا ما تلاقون من الصعوبات والاذى في سبيل بلادكم ووطنكم وتجنبوا التهجم على فرنسا لما فعلته معنا اذ ان ذلك تكثروا في خلق الازمات السياسية

بيننا وبين الافرنسيين اذ ان ذلك يعيق بناء صرح الاستقلال الذي باشرنا في بنائه والحمد لله »[٣٦] .

الميجر يتس :

كان الميجر يتس مفتشا اداريا في المنتفك (الناصرية) وعندما انتخب الامير فيصل ملكا على العراق ، اخذ هــذا يحرض بعض وجهــاء الناصرية والبصرة من اصدقائه في تنظيم مضابط (عرائض) يطلبون فيها ابقاء ولاية البصرة والناصرية بحدودهما الادارية العثمانية في حوزة الادارة البريطانية والانفصال عن العراق وربطها بحكومة الهند ، فوصلت بعض هذه المضابط الى بغداد الى جريدة الرافدان اذ كانت الجريدة الوحيدة التي تنطق بلسان القوميين ، وذلك لان جريدة الاستقلال كان قد حكم عليها بمنعها عن الصدور لسنة واحدة كما ذكرنا سابقا فنشرنا مقالا عنيفا حادا بعنوان (.. ثم ماذا ؟) وتضمن المقال نشر بعض المضابط التي نضمها الميجر يتس بمســاعدة بعض ذوي الوجاهة في البصرة وفقرات من اعماله وعتبنا كثيرا على السيد احمد الصانع متصرف لواء البصرة على تنظيم مثل هذه المضابط في لواء يديره هو فاستدعيت على اثرها من قبل المدعي العام الذي كان يومها نشأت السنوي وكان قد استحدثت هذه الوظيفة لاول مرة في ملاك وزارة العدلية ، حيث لم تكن معروفة من قبل . وبعد اجراء التحقيق معي بخصوص المقال وما احدثه من ضجة في صفوف ابناء الشعب والاوساط السياسية الاخرى ولا ســيما المسؤولين الذين اخذوا هذا الحدث بنظر الاعتبار وبدأوا يحققون عن صحته لاهميته ،

---

(٣٩) ومن المناسب ذكره هنا ان الملك فيصل الاول كان يتصل ببعض الجرائد الفلسطينية ويدفع لها مخصصات معينة تحت عناوين مختلفة ، مثل جريــدة الدفاع وجريدة الجامعة الاسلامية وجريدة فلســطين وقــد انقطعت هذه المخصصات بعد وفاته . انظر : م . ح . و : وثائق البلاط ملف ٧٦٨ وثيقة رقم ١٠٢ .

تعطيـل الصـحف ...!

كانت الصحف المعارضة للسياسة المزدوجة في حكم البلاد تتعرض كل يوم الى حدوث مشاكل بينها وبين وزارة الداخلية التي كانت لاتتحمل اصوات الاقلام الحرة التي تسود فيها الجريدة وكانت هذه الصحف تجابه النقد اللاذع من الصحف المأجورة التي كانت تؤيد الحكم الذي خطته كما اردت وزارة المستعمرات البريطانية في لندن الذي بموجبه تم الاستفتاء العام الذي جرى في العراق ، والذي كان لدائرة المندوب السـامي البريطاني حق الاشراف عندما تعينت أدارة البلاد وكانت تضيق الوزارة ذرعا فتقرر ايقاف صدور الصحيفة المعارضة اداريا وتطلب من شرطة اللواء منع صدورها حالا دون ان تبلغ صاحب الجريدة او العاملين في طبعها وتوزيعها .. وعندما يذهب صاحب الجريدة في الصباح الى محل ادارتهـا يجد حظيرة من افراد الشرطة واقفين باسلحتهم في المدخل لا يسمحون لاحد بالدخول فيها مهما كانت صلته بها وقد يدخل بعض هؤلاء الافراد من الشرطة غرف الادارة ويعبثون في اوراقهـا وسجلاتها دون مراقب عليهم وعندما يضطر صاحب الجريدة الى مراجعـة وزارة الداخلية ومجلس الوزراء شاكيا الوضع الذي وجده في محل ادارة جريدته لا يجد من يجيب لان الوزارة اوعزت الى عمل ذلك باعتبار ان للوزارة الحق في منع صدور الصحف اداريا . وهكذا يبقى افراد الشرطـة اكثر من ثلاثة ايام في خفارة ادارة الصحيفة ثم تترك الجريدة مغلقة مدة تحددها الوزارة .

ان هذه الاعمال قد تكررت لجريدة الاستقلال وجريدة الرافدان وقد تعرضتا الى عقوبات (منع الصدور) مرات عديدة من جراء مكافحتها ازدواج الحكم في البلاد وعندما كان يفرج عن الجريدة ويتسلم صاحب الصحيفة محل ادارتها لايجد معظم سجلاتها واوراقها للعبث الذي اصابها من جراء تفتيشها اللئيم وضياع مستمسكاتها . هذا بالاضافة الى ماسبق ان حكم على هاتين الصحيفتين في المحاكم المختصة مرات عديدة .

هذا بعض ما وجدناه من الاضطهاد وقد كانت ايام الكفاح مريرة وعسيرة ولكنها حلوة تبعث في النفوس طمأنينتها كلما مرت ببالنا ذكرياتها اليوم •

واخر المطاف وبعد ان تحملنا كل ما وجدناه من الام السجن والتوقيف القت السلطة المزدوجة القبض عليّ في ٢٤ آب ١٩٢٢ ونفيت الى جزيرة هنجام مع ستة من الاحرار الكرام ومنهم رئيس حزب الوطني جعفر ابو التمن ، ورئيس حزب النهضة امين الجرجفجي وبعض اعضائهما واذكر هنا كيف كان ذلك •

وقبل ان ابحث عن النفي والابعاد ارى ان نذكر باختصار شيئا عن عقد المعاهدة بين الحكومتين العراقية والبريطانية وما اثرت تلك في نفوس العراقيين جهرا كان ذلك ام سرا •

كانت الوزارة البريطانية وعلى راسها المستر لويد جورج قد اجريت في سنة ١٩٢١ تعديلا في اعضائها فأعطت ادارة وزارة المستعمرات الى المستر شرشل الذي كان يشغل منصب وزيرا للحرب قبلها فأخذ هذا بمساعدة اعوانه الى تنصيب الامير فيصل نجل الشريف (الملك) الحسين بن علي ملكا على العراق بعد سقوط حكومة دمشق على ان تكون حكومته مرتبطة بمعاهدة تستحضرها هذه الوزارة بدلا من قيام الحكومة البريطانية بالانتداب او بالحماية عليه وعلى ان يكون الشرط الاول هو الاسراع في المغانم لبريطانيا فسبب ذلك كثيرا من التقولات في صفوف القوميين والمعارضين فاستدعت الوزارة السيد برسي كوكس من ايران الذي كان فيها ليكون مندوبا ساميا لها في العراق ليقوم بمهمة عقد المعاهدة لمعرفته السابقة ببعض رجالات العراق قبل وخلال الحرب العالمية الاولى وعندما وطئت رجلاه ارض العراق وجد ان جميع الاطراف قد اجمعت على رفض بنود المعاهدة هذه مالم يجر تبديل جوهوي في بعض بنودها وتغيرها بحيث يكون لصالح الطرفين المتعاقدين وقد اطلع بعض المسؤولين على مسودتها وعرفت بانها جاءت لتثبيت المغانم للبريطانيين

فحسب فأخذ معظم الرجال الذين كانت لهم اليد الطولى في الثورة العراقية يجاهرون بعدم جواز عقدها في حالتها هذه مطلقا كما ان الصحف المعارضة وهي (الاستقلال ودجلة والرافدان) كانت تنطق بلسان المعارضة في البلاد قد نشرت على صفحاتها طلب رفض المعاهدة وشنت هجوما على انصار المعاهدة ومؤيديها بالرغم من الدعاية التي كانت دائرة المندوب السـامي البريطاني وعملائه تبثها لصالحها ، واوفدت وزارة المستعمرات البريطانية الميجر ينغ الى العراق ايضا وهو من منتسبيها المعروفين لمساعدة المندوب السامي البريطاني في تسهيل مهمة تصديق المعاهدة العراقية البريطانية التي حمل مسودتها كما اشارت اليه جريدة العراق في حينه وما ان شاعت مهمته هذه في الاواسـط العراقية حتى اخذ المعارضون يجاهرون برفضهم عقد المعاهدة وجاهرت بذلك صحيفتا الاستقلال والرافدان مشجعة لرفضها • لقد نشرت في جريدة الرافدان في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول / ١٩٢١ مقالا عنوانه (الميجر ينغ والاقاويل) لشخصية سياسية عراقية كان لها الواقع الكبير في الاوسـاط فاستدعت من قبل المدعي العام في العراق المرحوم السيد نشأت السـنوي واجرى التحقيق معي ثم اغلق الامر لئلا يتوسع في وقت لم تكن البلاد بحاجة اليه • وكان رجال البلاط في حيرة من امر المعارضين القوميين واذكر ان المرحوم السيد رستم حيدر (سكرتير جلالة الملك) كان قد دعانا نحن الثلاثة اصحاب الصحف المعارضة الى البلاط الملكي في الاسبوع الاول من شهر تشرين الاول ١٩٢٢ والقى علينا محاضرة بحسن نوايا البريطانيين نحونا وبما جاءت به هذه المعاهدة من المغانم للحكومتين وقد دامت محاضرته هذه اكثر من ساعتين وقال لنا •••!

(ان هذه المعاهدة ستكون همزة وصل بيننا وبين بريطانيا وانها ستبدل بعض بنودها بعد الموافقة على مسودتها الحالية حسبما تعهدت الجهة المسؤلة عن البريطانيين فأجابه المرحوم داود السعدي) •

« ان اللغة العربية واسعة وفيها همزات وصل كثيرة فلتكن همزة الوصل التي تريدونها غير هذه وتختار اخرى بديلا عنها وانفض الاجتماع » .

لقد باتت السلطة البريطانية في حيرة من امرها لاسيما وقد صادف ان استقالت وزارة النقيب الثانية في ١٤ آب / ١٩٢١ لاسباب صحية ـ كما قال رئيس الوزارة الامر الذي يتعذر عليه الاستمرار في تحمل المسؤولية كان المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس يتربص الفرص ليعمل ما يريد وهو يراقب اعمال المعارضين في البلاد ليضرب ضربة قاضية حينما يحين وقتها .

كانت الوزارة قد اجازت المرحومين الحاج جعفر ابا التمن والحاج امين الجرجفجي تأسيس (الحزب الوطني العراقي) في آب ١٩٢٢ و (حزب النهضة) في ١٩ آب ١٩٢٢ وهذان الحزبان كانا قد تأسسا لينطقا بلسان الوطنيين والقوميين في العراق وقد فضلت الوزارة قبل استقالتها ان تكون الاضرابات علنية لتخلص من التكتلات والعمل السري وقد حل يوم ٢٣ آب / ١٩٢٢ وكان يصادف الاحتفال الاول لجلوس الملك فيصل على عرش العراق فوجد الحزبان فرصة مناسبة وبصورة قانونية فعقدت اجتماعا في مركز ادارة حزب النهضة في ٢١ آب ١٩٢٢ لدراسة بنود المعاهدة العراقية هذه في الحد من المغانم التي اعترفت بها الى الحكومة البريطانية ووضع الحلول القانونية لتغيير بعض بنودها وقررت الهيئة المؤسسة فيها القاء خطاب التهنئة لجلالة الملك بجلوسه على عرش العراق بمحضر منه او بمن يأمر بحضوره امام الخطباء ممثلا عنه لينقل لجلالته التهنئة والخطاب المعد من قبل الحزبين عن حالة البلاد وما تضمنت بنود هذه المعاهدة من تثبيت عبودية العراق لبريطانيا فسار الحزبان في مظاهرة كبيرة الى البلاط الملكي وهناك ندب الملك السيد فهمي المدرس كبير امنائه ممثلا عنه في سماع التهنئة والخطاب فتقدم كل من المرحوم الشيخ محمد مهدي البصير ممثلا عن الحزب

الوطني العراقي والمرحوم الحاج محمد حسن كبة ممثلا عن حزب النهضة في القاء خطابهما .

كان خطاب الحزب الوطني بعد التهنئة يحتوي على خلو البلاد (متأسفا من مجلس النواب) الذي كان يمثل الامة وذلك خلافا لما جاءت به البيعة الشرعية لملك البلاد والذي كان شرطا اساسيا فيما ابداه الشعب قبل عام حتى ولم يجتمع مجلس تأسيسي للنظر في عقد المعاهدة المطروحة امام المسؤولين المزمع عقدها مع بريطانيا وقد طلب في الخطاب من ملك البلاد تحقيق تأليف وزارة قومية من المخلصين الاكفاء والكف عن مداخلة البريطانيين في ادارة امور بلادنا وفسح المجال الى عرض المعاهدة على مجلس ينتخب لتدقيق بنودها من اعضائها قبل طلب تصديقها وبعد تقديم التهاني من قبل المهنئين الى المرحوم فهمي المدرس أخذ كل واحد محله وكنت قد وقفت على يمين المرحوم مهدي البصير لاستمع الى خطابه فاقترب مني المرحوم باقر الحسني الذي كان رئيس التشريفات في البلاط وهمس في اذني ان المندوب السامي جاء غاضبا لما حصل من الضجيج عندما صعد السلم ودخل غرفة الاستقبال فلم ارد عليه حيث كنت مشغولا في تسجيل ما يحدث في هذه الظروف فتركني وهو حائر من امره ولا يستطيع القيام بعمل يهدأ به الحاضرين وكان رحمه الله حريصا على اداء واجباته في مثل هذه الظروف . كان قد اجتمع اناس ملأوا ساحة السراي الحكومي للمشاركة في فرحتهم لمناسبة مرور سنة ، وعندما كان المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس ومس بيل ومعه بعض رجاله قد حضروا لتهنئة الملك بهذا اليوم وعندما دخل السراي اضطر الى شق الطريق بصعوبة الى ان صعد السلم من مدخل البلاط مع حاشيته وبينما هو كذلك على السلم نادى احدهم بصوت عال وجهوري (فلتسقط بريطانيا) وما ان سمع ذلك الجمهور دوى بعاصفة من التصفيق انتبه من كان حاضرا في البهو اليها فدخل المندوب السامي البهو عابس الوجه في وقت كان الشيخ محمد

مهدي البصير يلقي كلمة الحزب الوطني امام ممثل ملك البلاد السيد فهمي المدرس كبير الامناء وكنت واقفا مع الخطيب استمع الى ما يقول فوجم الحاضرون وقد ظن البعض ان هذه كلها كانت تجري حسب توقيت من قبل المعارضين •

كانت تلك صدفة غريبة عند المندوب السامي تلك الكلمات قد مست بكرامة الحكومة البريطانية بينما جاء لتهنئة ملك البلاد ممثلا عنها واعتبر الحكومة المسؤولة عن توقيت القاء خطب الحزبيين في وقت دخوله وارتقائه سلم البلاط مع حاشيته•

لقد انتهز المندوب السامي الفرصة للايقاع بالمرحوم السيد فهمي المدرس لوقوفه امام الخطيبين من تلقاء نفسه كما قال للتخلص من وجوده في البلاط خلافا للحقيقة • بينما وقف المدرس بأمر من ملك البلاد ممثلا عنه في سماع الخطيبين ومما زاد الامر سوءا ان المندوب السامي ابرق الى وزارة المستعمرات بما جرى من أمر التهنئة وما جرى فيه من تحقير لحكومته • وفي اليوم الثاني أي في ٢٤ آب ١٩٢٢ ومن المؤسف حقا انه قد شعر الملك فجأة ببعض الآم الزائدة الدودية بصورة شديدة وبعد فحص الاطباء والجراحين له قرروا اجراء عملية جراحية عاجلة له من قبل الجراحين وقد اجريت له في قصره وكانت تلك الظروف فرصة ثمينة كان ينتظرها المندوب السامي لضرب المعارضين في وقت كان قد استقالت فيه وزارة النقيب الثانية فاستلم السلطة في ادارة البلاد واصدر منشورا حالا بتوقيعه بتاريخ ٢٦ آب ١٩٢٢ ذكر فيه عدم وجود مسؤولين في البلاد لاستقالة الوزارة ولمرض الملك المفاجيء وتأمينا لسلامة البلاد وللمحافظة على الامن قرر ان يتسلم السلطة لوحده واتخاذ ما يلزم لذلك وكتب كتابا الى رئاسة الديوان الملكي بتاريخ ١٩٢٢/٨/٢٤ احتج فيه على قيام السيد فهمي المدرس كبير ألامناء لسماع الخطيبين من تلقاء نفسه (كذا) بالنيابة عن ملك البلاد (خلافا للحقيقة) واصدر منشورا عاما آخر

الى كافة الاهليين بوجوب المحافظة على الامن والاستقرار وقرر فيه اغلاق الحزبين السياسيين حزب الوطني وحزب النهضة ونفي (ابعاد) رئيسهما والقبض على صاحبي جريدتي الرافدان والمفيد ونفيهما الى جزيرة هنجام التي تقع في مدخل مضيق هرمز من جهة المحيط الهندي وارسل بعض الطائرات الى الوية الديوانية والناصرية وديالى والقت بقنابلها على بعض عشايرها ارهابا دون ان تقع فيها خسائر في الارواح وقال المنشور انه تسلم ادارة البلاد من تلقاء نفسه كما تقتضيه المصلحة العامة وبموافقة وزارة المستعمرات حتى يتجلى في العراق الموقف وتشكل فيه وزارة تتحمل مسؤولية البلاد .

كان المندوب السامي يعتقد بان الملك فيصل كان يتصل سرا بالمعارضين ويشجعهم على تخفيف بنود المعاهدة العراقية التي وصلت مسودتها بيد رجال المعارضة والاحزاب السياسية فطلب من ملك البلاد ان يكون دستوريا فحسب اي لا يتدخل مباشرة في امور لم يكن لها اساس بسلطته في ادارة البلاد فلما استعاد الملك صحته وتماثل الى الشفاء كتب الى المندوب السامي مؤيدا ما عمله ضروريا في ادارة البلاد مدة مرضه في وقت خلت البلاد من وزارة مسؤولة فيها .

فنفذ ما جاء في المنشور وامر حالا باقفال الحزبين السياسيين الوطني والنهضة وتعطيل جريدتي المفيد والرافدان والقبض على صاحبيهما ونفيهما الى جزيرة هنجام مع خمسة اخرين وقد تم ذلك ونفي كل من كاتب هذه السطور والمرحومين الحاج جعفر ابو التمن معتمد الحزب الوطني والحاج امين الجرجفجي معتمد حزب النهضة والسيد حمدي الباجه‌جي والشيخ حبيب الخيزران والشيخ مهدي البصير والحاج عبدالرسول كبة الى جزيرة هنجام ووضعوا حامية عسكرية بريطانية قوية احاطت ببغداد للمحافظة على الامن عند الحاجة الى ذلك . كما أرسل بعض الطائرات الى الواية الديوانية والناصرية وديالى كما قلنا والقت بعض الطائرات قنابلها على مقربة من مساكن العشائر .

يـوم ٢٦ آب ٠٠:

في صبيحة يوم ٢٦ آب ١٩٢٢ جاء الى داري مبكرا صديقي السيد قاسم[٣٧] عبدالعال واخبرني بانه شهد في شوارع بغداد والمحلات العامة حالة غير اعتيادية ولعلها تبنيء بوقوع أمر لا نعرفه وطلب الى التريث في ترك داري حتى ينجلي الموقف فلم اوافق على ما قاله ورجوته شاكرا (وهو صديقي) عدم اشغال باله في مثل هذه الامور واني حاضر لقبول كل ما سيحدث دون التردد فكرر عليّ الطلب وكررت عليه ما قلت وودعني عائدا الى محل سكناه في الاعظمية وفي الساعة الثامنة صباحا تقريبا تركت داري متوجها الى مطبعة دار السلام وكان يومئذ محلها مقابل مدرسة الثانوية المركزية للبنين لارى ما انجزته المطبعة في طبع العدد المثبتة فيه خطبتا حزبي (الوطني والنهضة) ووصف مراسم التهنئة بجلوس ملك البلاد ، وبينما كنت اتحدث مع مدير الجريدة (سعيد افندي) كما كان يسمى في يومها فاجأني شخص يدعى نوري علي الخضرة العاني وهو من شرطة الامن والتحقيقات الجنائية ومعه (سارجن دين) البريطاني وعدد اخر من رجال الشرطة المحليين وشخص بريطاني اخر واظن اسمه سارجن جوزيف والقوا القبض عليّ وذهبوا بي توا الى مقابلة الميجر (جرارد) البريطاني مفتش الشرطة على ما اظن وابقيت معه في غرفته وبعد برهة تركنا غرفة الميجر ونقلت في سيارة اعدت لنقلنا الى معسكر الطيران البريطاني في الهنيدي (معسكر الرشيد حاليا) وادخلت في غرفة او بهو سجينا في سجن منفرد اعد فيه مضاجع السرية دون ان يسمح لهم التكلم مع أحد وبقيت فيه حتى المساء وحيدا دون ان اخذ ما احتاجه من مآكل ومشرب بالرغم من حرارة الصيف الشديدة وفي المساء بينما كنت اتطلع على مضاجع الجنود من شباك غرفتي الصغيرة سمعت ايعازا عسكريا ثم دخل ضابط بريطاني برتبة كولونيل (عقيد) الى مضاجع الجنود لتفتيشها فناديته من شباك الغرفة بالانكليزية فانتبه وقال دعوا السجين يكلمني ولما فتحت باب الغرفة شكوت له عدم وجود من يؤمن اقامتي هنا ولست سجينا انما انا مبعد

سياسي ولما علم باني لم اتناول شيئا من الاكل والشرب طيلة هذه الساعات تأسف جدا وامر باحضار الطعام فجيء بقليل من الخبز والجبن والشاي وقليلا من الماء وهكذا بقيت ثلاثة ايام مزودا بما يؤمن عيشي في هذه الحالة وفي مساء ٢٩ آب ١٩٢٢ بلغت باني سأترك الغرفة الى جهة اخرى •

كان قد جيء بالمرحوم امين الجرجفجي صبيحة يوم ٢٨ آب وادخل في غرفة اخرى بجانبي لوحده كما سمعت منه ولم يسمح له ان يكلم احدا حتى مساء اليوم ٢٩ آب وفي مسائه عندما اخرجت وجدته قد اخرج من غرفته ايضا وقام عريف بريطاني وقيد ذراعينا (يسرى بيمنة) في سلسلة واحدة وساقتنا حضيرة من البريطانيين الى شريعة النهر كان ينتظرنا فيها زورق بخاري نقلنا به الى الجانب الايمن من نهر دجلة ووجدنا هناك قطارا (ذا اربع قاطرات) ينتظرنا في محطة عرفناها اخيرا أم العظام فخرجنا من الزورق ودخلنا القاطرة واغلقت ابوابها علينا ثم تحرك القطار بحراسة سرية بريطانية وكلما وصل القطار محطة اغلقت علينا ابواب القاطرة قبل الوصول ثم تفتح بعد ترك القطار المحطة لئلا يرانا احد وينتشر خبرنا •

وفي صبيحة يوم ٣٠ آب ١٩٢٢ وصلنا محطة ماركيل (في البصرة) ونقلنا على اثره الى السجن العسكري البريطاني فيه وادخلنا ساحة السجن فوجدنا فيه كلا من المرحومين الحاج محمد جعفر ابي التمن وحمدي الباجه‌جي والشيخ محمد مهدي البصير والمرحوم عبدالرسول كبة والمرحوم امين الجرجفي (من حزب النهضة) قد ابعدوا قبلنا وهكذا اجتمعنا سوية في غرف السجن وقد اعدت السلطات لنا طباخا هنديا مسلما يهيء لنا الطعام وقد سمح لنا مسؤول السجن البريطاني بترك الغرفة احيانا ونجلس في الفضاء امام جدرانها مساء كل يوم ترويحا للنفس وفي ٣١ آب ١٩٢٢ جيء بالمرحوم الشيخ حبيب الخيزران رئيس قبيلة العزة مبعدا مثلنا وادخل السجن كما ادخلنا وقد بلغ مجموعنا سبعة مبعدين بأمر من المندوب السامي البريطاني •

لقد امضينا ٢٧ يوما في سجن البصرة هذا وفي صبيحة يوم ١٩٢٢/٩/١ بلغنا بسفرنا بحرا الى جهة مجهولة وقد قيدت يدي الى يد المرحوم الجرجفي ولم تفك القيود الا بعد ان صعدنا على ظهر الباخرة ونقلنا في سيارة عسكرية الى ميناء البصرة حيث ركبنا الباخرة (آررا باندرا) التي كانت تستعد للسفر وبلغنا فيها باننا سنكون في الباخرة احرارا نتجول فيها كما نشاء وخصصت لنا مقصورات من الدرجة الاولى ووقف على باب مقصورتنا جندي بريطاني شاكي السلاح خفيرا كما تقتضيه الاوامر العسكرية وسمح لنا بتناول الطعام في الدرجة الاولى •

كانت النظم العسكرية المتبعة لدى الجيش البريطاني توجب اخفاء الجهة التي يرسل اليها الأسير او المبعد كيلا يعرف عنوانه او محل اقامته امعانا في التعذيب النفسي وقد عرفنا ذلك عندما امضينا مدة من الزمن في الاسر في معاقل الاسكندرية وطنطا ودمنهور في مصر وعاودتني هذه الذكريات وانا على سطح الباخرة • واردت معرفة الجهة التي نحن مساقون اليها لا سيما وقد ترسوا الباخرة التي تقلنا في بلدة (بمبابي) بعد ستة ايام ومنها ربما نساق الى محجر آخر • كما طلب زملائي ان ابذل جهدي في معرفة الجهة التي ستكون محطتنا ومنفانا الاخير من المسافرين ان امكن فصرت اتمشى في الباخرة بأمل أني سأكشف مجهولية الامر •

وفي صبيحة يوم ١٩٢٢/٩/٢ بينما انا اروح نفسي في سطح الباخرة وحيدا وقف بالقرب مني جندي بريطاني من حراسنا فابتسمت فابتسم هو لي ايضا فقلت له اننا اصدقاء ويعز علينا ان نفارقكم ولو بعد ايام وشكرته لما وجدناه منه ومن زملائه من حسن المعاملة • فقال نعم يا صديقي غدا نقول لكم (مع السلامة) حيث سنصل (بوشاية) ونستبدل بجنود هنود • ولكنني لم اعرف كلمة (بوشاية) فحاولت التعرف على مجهولية المحل فسألت ماذا تعني كلمة بوشاية فقال هذا ميناء سنصله غدا وعندئذ علمت انه يقصد (بندر بوشهر) فعدت الى زملائي واخبرتهم بالامر فقال لي المرحوم ابو التمن هذا

اول مجهول حل ونريد منك حل المجهول الثاني فضحكنا وصـرت اتربص ساعة فراقنا لهذه السرية لتتصل ببديلها لمعرفة المجهـول الثاني وفي المسـاء ودعنا عريف السرية ووصلنا (بندر بوشهر) وشهدنا ونحن نتطلع على معالم الميناء صعود سرية من الهنود تتسلق سلم الباخرة بديلا من الاولى لتحرسنا في الباخرة وتوصلنا الى المحل المختار لاقامتنا وقد ظننا خطأ انه بلاد الهند .

قلت ان السلطة الانجليزية سـتخفي عن ذوينا الجهة التي سـنصلها ونبقى فيها حسبما ذكرت آنفا لايذائنا واهلينا ففكرت محليا بالطريقة التـي سأعملها مقابل هذا الاخفاء عدت الى مقصوراتنا نتداول الحديث واصطحبت المرحوم البصير وصعدنا الى سطح الباخرة لنقضي فيه بعض الوقـت وبينما نحن كذلك ظهر لنا رجل هندي ذو لحية كثة ويدل لباسه وادبه الجم على انه من الموسرين ويقصد زيارة العراق . فأبتسمت له محييا فاقترب منا وسألني بالانجليزية عن البصير وعن زملائنا فأعلمته باننا مبعدون منفيون بأمر مـن المندوب السامي البريطاني في العراق وهذا ــ وقد اشرت بيدي الى البصير ــ رجل دين وخطيب لم ترق خطبته رجال الاحتـلال الانجليز فأرسلوه منفيا مبعدا فأسف كثيرا لما وقع وقلت له منتهزا هذه الفرصة هل في الامكان قبول رجائي في تزويدي بغلاف وورق لاكتب الى عائلتي عن صحتي وسفري هنا مع زملائي وانتم تعرفون اننا مجردون من القلم والورق والدراهم فاهتم بامرنا وجاءني بما اردت وكتبت رسالة لاخي وارسلتها بعنوان احد التجار قريب مني في ١٩٢٢/٩/٣ ، تخلصا من العثور عليها من قبل رجال التفتيش عن محتويات الرسالة التي ربما ترسل الى اقرباء المبعدين واخبرت زملائي بالامر وقـد زودني المرحوم ابو التمن والباجهجي بكلمة كتبتها لكل منهما الى ذويهما .

فوضعتها ضمن الغلاف وبعد ان وضع السيد الهندي الطوابع عليهـا وضعناها في صندوق بريد الباخرة ، وهذا نصها :

باخرة باندرا

٣ صفر الخير ١٣٤١ الموافق ٢٥ ايلول ١٩٢٢

اخي جميــل :

بعد تقديم الاحترام • اقدم كتابي هذا من باخرة (باندرا) التي نحن فيها متوجهين كتبت من البصرة كتابا وارسلته مع بريد العشار بواسطة صديق وذكرت فيه اننا سنتوجه الى الهند ولكن بعد ذلك علمنا اننا متوجهين الــى جزيرة (هنجام) في الخليج العربي المعلومة ، وسنصل اليها اليوم مساء • بحمد الله على اننا لم نحرم حتى الان شيء عدا الحرية والاستراحة • حيث انتظرنا ٢٩ يوما في العشار ، وبعد تحركنا ونحن في احسن موقع واستراحة حتى اننا مع الضباط البريطانيين في هذه الباخــرة في موقــع الاولــى • امــا حياتنا الخصوصية فنحن جميعا مع الاصدقاء مرتاحين فوالله لو تتركوا القلق ولا تفكروا فينا لكفانا من الانس والسرور •

لقد علمنا اليوم باسباب السوق وزدنا فرحا وطربا • ولنا الامل الوطيد بأننا سنرجع الى بغداد بعد ايام قلائل وسنراكم في الصحة والعافية •

عندما يصلكم كتابي هذا اجيبوني عنه ولا تقطعوا خطوطكم لانه توجد عندنا دائرة البريد ويمكن ان تصل خطوطنا في عشرة ايام •

كتبت لكم عن لزوم ارسال الفراش للمنام ولكن الان لا ترســلوه حتى اعقبه بطلب ثان • لا اعلم ماذا عملتم مع نوري افندي الراهن وهل قطعتم الديوانخانة ام لا •

اخي ـــ ارجوكم ان لا تحدثوا بينكم انزعاج على شيء • ويجــب ان لا تتركوا الوالدة تشغل فكرها بي لانني والله لا هم لي الان عدا اعتقادي بأن الوالدة وبهيجة يذكرون سفري وينزعجون • هل بدأتم ببناء دارنا المجاورة لنا وكيف الان تصرفون المصرف للبيت •

اذهب الى حضرة مدير الامن العام واهده سلامي وراجعه بخصوص استلام اثاث الادارة كلها قبل ان تضمحل في دائرة البوليس وســلم الغرف الى دائــرة الاوقــاف •

ثم أخي ، ارسل لنا جرائد العراق حيث خبر داود السعدي • ليرسل لنا مع البريد • وحالا ارسل لنا ثلاثة او اربعة كتب ، روايات عربية وقاموس انكليزي عربي صغير ضعه في البريد وارسله لنتمكن من ان نقضي اوقاتنا في القراءة حيث الاخوان الذي معي الان طلبوا من عوائلهم ايضا ، ولا بأس بارسال الكتب والجرائد والخطوط •

اهدي سلامي الى حضرة العم رضا افندي واقبل ايادي الوالدة والاخ وعيون بهيجة والصغير ، واسلم على عبدالجبار وحلمي وعلى صادق الملائكة وعلى الاحباب جميعا • اكرر كلامي بان لا تبقون في فكر ابدا وسأوافيكم بما سنلاقيه في هنجام والسلام عليكم جميعا •

الاصدقاء يهدوكم السلام

ملاحظة : ارسل جرائد التي فيها اخبار المهمة التي نشرت بعدنا مهما استطعت حيث هذا طلب الجميع وحضرة الشيخ مهدي خصوصا •

كانت سرية الهنود التي جاءت الباخرة بأمرة ضابط هندي برتبة (جمدار) أي ملازم وهو شاب من السيخ لطيف المعشر يعرف بعض الكلمات الانجليزية ولا يستطيع التحدث بها دون الاشارة بيده وعينيه وفي صبيحة اليوم الثاني كنت في سطح الباخرة وحدي اتطلع الى بعض الموانىء الظاهرة تقرب مني الضابط هذا وحياني بأبتسامة رقيقة فرددت له التحية وقدمت له سيكارة من علبة احملها من نوع (دن فريد المذهبة) وسألته عن الجهة التي تنتهي فيها حراستهم فقال بعد غد نصل جزيرة هنجام وهناك سنبقى معكم فيها ، اذن قد قمت بحل المجهول الثاني كما اراد الحاج جعفر جلبي واخبرت زملائي بالامر لئلا يشغل بالهم امرها •

وفي يوم ١٩٢٢/٩/٤ رست الباخرة في جزيرة هنجام التي تقع في مضيق هرمز اقرب الى المحيط الهندي وبلغنا بان سيكون في هذه الجزيرة مقامنا

بحماية السرية الهندية فتركنا الباخرة وصعدنا الجزيرة ووجدنا قد اعدت سبع غرف فيها لاقامتنا ما عدا غرفة الاكل والجلوس والحمام فجاءنا شخص ايراني يظهر على وجهه علامة الوجاهة وقال (انا السيد ابراهيم الگله داري) من اهالي بندر عباس متعهد الارزاق والخدمة اليكم ارجو ان تتقبلوا خدماتي فشكرناه وهكذا بدأنا حياة جديدة في هذه الجزيرة النائية والقاحلة .

كما قد خصص لنا اثنان من الهنود يقومان بتنظيف الغرف صباح كل يوم ويقدما لنا الطعام من النوع الجيد جدا وكان المتعهد يواصل زيارته لنا دوما سائلا عن احتياجاتنا ويشرف على راحتنا .

الحيـاة في هنجـام :

كانت جزيرة هنجام جزيرة قاحلة صغيرة المساحة لا يسكنها سوى شخص واحد اسمه (الشيخ احمد وهو عربي) (كما قال) من بني كعب مع عائلته المكونة من زوجته وابنه الصغير في العاشرة من عمره يشتغل فيها لنقل الماء المر الينا من بئر تلاصق محل سكناه ويسمى ماؤه (آبجاه) أي الماء المر نستعمله لغسل الاواني والالبسة وغيرها اما ماء الشرب (الحلو المذاق) فكان يؤتي به لنا من مضخة ماء وضعت في محل ملاصق لساحل البحر وتقطر لنا الماء العذب (الحلو) من ماء البحر لاستعماله للشرب فقط والحق كان ماء عذبا وقد اوصينا بحسن استعماله دون تبذير فيه .

وفي الجزيرة دائرة برق (لاسلكي) يديرها موظف بريطاني اسمه (المستر بري) وهو شاب اسكتلاندي لطيف المعشر ومعه موظفان هنديان وكانت الجزيرة هذه قد اشغلت من قبل في سوق الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الاولى واتخذت مركزا لتجمع الفحم الحجري فيه بالاضافة الى تأمين راحة الجنود من الاحتياط الذين جندتهم القيادة العامة في الهند من مختلفي الامم . كان المسؤول عنا القنصل البريطاني العام في بندر عباس

كما اسلفت وكان يتردد علينا بين آونة واخرى سـائلا عن احتياجاتنا وتأمين راحتنا فيها ولا اذكر ان طلبنا منه في يوم ما شيئا يتعلق بالاكل او الشرب وقد طلب القنصل هذا من موظف اللاسلكي المستر بري ان يقوم مقامه في هـذه المهمة . كنا نوصي باحضار ما نحتاج اليه من بمباي (الهند) من الحاجيات المسموح بها لنا بواسطةالمستر بري الذي يقوم بشرائها منحسابنا الخاصحيث كنا نعطيه اثمانها مقدما كانت تمر بنا الباخرة التي تتجه الى بمباي من البصرة كل يوم احد وتمر الباخرة التي تأتي من بمباي الى البصرة كل يوم ثلاثاء على انه ما كان يسمح به لشراءه كان محددا لا يتجاوز المأكل من الفواكه الكثيرة والمشرب (المياه الغازية) والملبس من الثياب ولا يسمح لنا بشراء الكتـب والجرائـد والورق وغيرها .

واذكر اني طلبت من المستر بري احضار قاموس عصري (انجليزي ـ عربي) من مكتبات بمباي فراجع بذلك القنصل العام واحضره بعد ان وافق هذا على شرائه . كان المستر بري لطيفا في معشره يحب النكتة متفائل في حياته لا يهتم بكل ما يحدث له من الامور المزعجة يضحك كثيرا ويسلينا بنكـاته وامضى سنة ونيف وهو في هذه الجزيرة ولقد شكرناه كثيرا عندما فارقناه عائدين الى العـراق .

في الجزيرة اربعة رؤوس من النخيل لا تحمل تمرا لعدم وجود من يلقحها ولكن ترحم من يستظل بظلالها من حرارة الشمس اذا اريد وشجرة واحدة من السـدر (النبك) .

ان الشيخ احمد يشتغل في صيد الاسماك بطريقة بدائية ويؤمن عيشه مما يصطاد اذ يرسل ما يزيد عن حاجته الى بندر عباس للبيع وهو متيسر دوما ويتقاضى راتبا شهريا ضئيلا من المتعهد .

كانت الاوقات التي كنا نقظيها في الجزيرة مملوءة بالنكات والمرح ولقد قص كل واحد منا احسن قصصه التي يذكرها على الاخر حتى لم يبق لدينا

قصة غير مسموعة وكنا نضحك كلما اعاد احدنا قصة في تاريخ حياته سبق ان سمعناها منه وفي المساء كنا نجتمع لمطاردة الشعر الرقيق لقضاء وقت بعد العشاء (انا والباجهجي) وقد سمح لكل من المرحومين الباجهجي والشيخ حبيب ان يشتركان في المطاردة الشعرية بابيات شعبية دون التقيد بالقافية والوزن وكان هذا مجلسنا من المجالس المرحة والمؤنسة كنا ننسى فيه غربتنا وكربتنا علما انه لم يشترك معنا في المطاردة الشعرية كل من المرحومين الشيخ الجرجفجي وكبة وانما كنا نسمع منهما ما يؤنسنا من الحوادث التي مرت بهما في شبابهما وكهولتهما وشيخوختهما .

وكان المرحوم جعفر ابو التمن وهو من بيت رفيع خدم العراق في السراء والضراء بالنفس والنفيس وكانت له اليد الطولى في ثورة العشرين الدامية وقدم لثوارها كلما استطاع من مال ورأي . اذ كان فيها يتنقل من محل لاخر ويجتمع بهذا وذاك شريكا بما يخططه قادتها دون كلل وملل مؤنسا في احاديثه كثير التجارب في حياته متفائلا بكل ما يجده ويراه وكان جهوري الحديث عندما يحدثك بلغة تقارب اللغة الفصحى التي اعتادها ويمتاز بقوة حاسة الشم التي يملكها .

اجتمعنا حول مائدة الفطور في صبيحة يوم من الاسبوع الاول الذي مر بنا وبينما نحن نتناول الفطور الجاهز ترك الحاج جعفر مائدة الطعام فجأة دون ان يقول لنا شيئا عن ما حدث .

ولما سألناه بعد الانتهاء من الفطور قال انه شم رائحة السمك في الحليب الذي جهزه لنا المتعهد ولم استطع تناوله مطلقا وفي اليوم الثاني تكررت هذه الحالة فاودع لي امر التحقيق عنه فطلبت وكيل المتعهد واخبرته بما لقيناه قال ضاحكا :

ان غذاء الابقار هنا السمك الجاف الذي نصطاده وليس في استطاعتنا تجهيز الحشائش لها ، لم اكتف بهذا القدر فرفعت الامر الى المستر بري ونقل

هذا الى القنصل العام حيث اجبر المتعهد على احضار انواع الحشائش كغذاء الى الابقار حسبما نرتضيه فكان لنا ما اردنا •

واعتقد انه ليس من المستطاع ذكر ما مرت بنا من حوادث الدهر في منفانا كنت في احد الايام أسير على انفراد على ساحل البحر اتطلع الى ما وهب الله الطبيعة من حسن وجمال وكنت اردد بيتا من الشعر في نغمات :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة

فقالت كيف لا ابكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

فتقرب مني المرحوم الشيخ حبيب الخيزران وسألني بم تغني مرحا فقلت له بهذا البيت وقرأته عليه فقال بصوته الجهوري :

« لا أخي ••• لو لم تكن المروءة لما جئنا الى هنجام » رحم الله ابا فيصل ما اقواه واشده على تحمل المصائب ، كان شهما عربيا لا يبالي بكل ما حدث • ولا يضمر سوءا ، ضاحكا ، لا تفارق الابتسامة شفتيه •

كان معنا في المنفى الاستاذ السيد حمدى الباجهجي وهو سياسي محنك واستاذ الاقتصاد في مدرسة (كلية الحقوق) وعهدي الاتجاه منذ ان درس في استامبول وتأسس حزب العهد هناك في سنة ١٩١١م • كان الرجل متصفا بعمق ارائه السياسية وباعتزازه برأيه يحدثك بصوت خافت دون ان يرتفع مهما طال الحديث وهو بالاضافة الى ذلك من عائلة موسرة ومعروفة بثقافة ابنائها يسمعك بعض نغماته احيانا ترويحا للنفس تقرأ تاريخا قديما مر عليها • ويعيد نغماته هذه بعض المقامات العراقية يحفظ كثيرا من الاشعار الشعبية (الزهيري) كما كان اسمها ويقص عليك كثيرا من قصص سمعها من معمري ابنائه واجداده وكان مؤنسا في كل ما يقول افنى زهرة شبابه فيما اداه من الخدمات لوطنه وبلاده رحمه الله •

كنت قد قمت بمساعدة الشيخ البصير بكل ما احتاج اليه تنفيذا لما قيل (خادم القوم صغيرهم) وكنت لا افارقه طيلة النهار نتجاذب اطراف الحديث الشيق ونقرأ الشعر وعروضه ولقد احببت ان اسئله في يوم من الايام عما اذا كان ابعاده هذا عن اهله وذويه قد اثر في نفسيته كثيرا فقال اسمع يا أخي :

قالوا سجنت لرأي كنت تلزمه فهل يعوقك ما عانيت من غصص
فقلت هيهات سجني لا يغيرني ان الهزار يشد وهو في القفص

بهذا تحمل النفي والابعاد بالرغم من انه (بصير) رحمه الله . كنا في بعض الاوقات عصرا نذهب الى قبر (احمد سالم) العراقي وقد توفى في هنجام بالسكتة القلبية وهو تل صغير ارشدنا اليه احد سقاة الماء الذي كان يزودنا بالماء .

من عادة الانجليز (كما هي العادة المألوفة عند المسيحيين) ان يحتفلوا بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام اينما كانوا ، وفي منتصف ليلة ٢٥ كانون الاول ١٩٢٢ سمعنا بعض الاصوات المزعجة المزوجة بترديد بعض النغمات الاوربية من اناس لم يسبق ان عرفنا بوجودهم معنا في الجزيرة ولما حل الصباح شهدنا باخرة صغيرة تسمى (منور) بيضاء راسية في الجزيرة وفيها جنود بريطانيون لا يزيد عددهم على العشرين مع ضابطهم مروا بالجزيرة ليلا واخذوا قسطا من الراحة واحتفلوا بعيد الميلاد فيها واقاموا وليمة ساهرة بعضهم مع البعض حتى الصباح وفي ظهر اليوم الثاني تحركت الباخرة وولت وجهها شطر ساحل بندر عباس الايراني وفي المساء ذهبنا كعادتنا للتنزه على ساحل البحر فوجدنا بعض القصصات من جريدة (انجليزية ممزقة بالقرب من ساحل البحر) وقد رفعت قصاصة صغيرة فوقع نظري على خبر هام وهو سقوط وزارة (لويد جورج) واستيزار وزارة (بولدوين) فناديت الزملاء وقرأت عليهم هذا الخبر فقال الباجه‌جي ــ رحمه الله ــ كان لابد من تغيير

الوزارة في لندن بغيرها لتتولى ادارة البلاد بعد ان ادت وزارة الحرب واجباتها لتغير الاتجاهات في امور البلاد التي تستعمرها فأجابه المرحوم عبدالرسول كبة وهو سليل عائلة معروفة في بغداد وعم السيد محمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال العراقي بصوت جهوري ممزوج بقليل من الحدة ، يا مهدي بك العقلية واحدة والاتجاه واحد ، والكفر ملة واحدة وكيف ننتظر من هؤلاء الظالمين تخفيف احكامهم في البلاد وسكت وعدنا الى غرفنا وقصاصة الجريدة في يدي لنطرحها في المساء على مائدة التشريح .

اما المرحوم الجرجفجي فكان لاهيا عن هذه الامور فهو دائم التفكير بولديه المرحومين محمد وجميل وبطير « هزار » كان قد رباه منذ اربع سنوات (كما قال) ويذكر نغماته الحلوة بنغمات صوته حينما يتغنى صبيحة كل يوم ويكرر اسمه (عبود) وهو لا ينساه . وكان رحمه الله رجلا مؤمنا . وكان يحدثنا دوما عما راه او سمعه في تاريخ الاولين وما كسبه من هذه الحكايات التي جعلته يتعظ باحداثها وعبرها .

وفي المساء كان حديثنا هذا حديث السهرة بعد تناول العشاء وناقشنا فيها التطورات السياسية المترتبة وعسى ان تتغير الاوضاع وغيرها بتغيير الوزارة هذه وابدى كل واحد منا رأيه كمن جلس في مجلس العموم فضحكنا وانفضت الجلسة .

زيارة القنصل البريطاني :

يقول سامي خوندة :

جاءنا القنصل البريطاني العام في احد الايام من الاسبوع الاول من شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٢ وبصحبته مترجم ايراني يعرف اللغة العربية ويتحدث بها بصعوبة ، متفقدا صحتنا وراحتنا وفي خلال الاحاديث سألنا قائلا (من منكم كتب الى اهله في بغداد رسالة اخبرهم بها بانكم متجهون

الى جزيرة هنجام بدون علم منا وبماذا سنجيب المسؤولين في بغداد ؟) فخاطبت زملائي بما قاله القنصل فاجابوا بعدم علمهم بما يقوله فقلت له ذلك، فسكت وسكتنا • وبعد هذه المقابلة بيومين وصلنا البريد من بغداد وفيه كتاب مرسل لي من احد اقاربي ومن والدتي يتمنون فيه طيب الاقامة في جزيرة هنجام ويرجون الله ان نعود اليهم بصحة وعافية ومن هذا ظهر ان الكتاب الذي ارسلته اليهم من الباخرة بمساعدة الرجل الهندي الذي تفضل علينا بتسهيل ارساله قد وصلهم واطمئنوا على صحتنا وسكننا حيث كان اهلونا قلقين وحريصين على معرفة الاتجاه الذي رسم لنا في الابعاد • وهذا نص الرسالة :

بغداد ١٩٢٢/١١/٢١

حضرة الاديب الكامل المتحلي باكمل الفضائل

بعد اهداء سلام من قلب ملأه حب وحنان فقد تناولت بيد الرحب كتابكم البديع وسرني صحتكم للغاية وشكرت الله على ذلك كما ادعوان يحقق امالنا بكم الا وهو التلاقي اياكم بوقف فقد علمنا ان الادارة السياسية والحكومة العربية قد يهتمان بارجاع المبعدين حيث المعاهدة وقع عليها •

لا تبقى بفكر من خصوص العائلة فانهم بكمال الصحة مرتاحين • طالما كانوا يتشوشون قبلا لعدم معرفتهم مقركم فلكن كتابكم المؤرخ في ٣ صفر قد ورد وبشرنا الجميع بالارتياح وصرنا على علم بانكم الان في (هنجام) انزلكم الله فيها مع الصحة وجعلها ــ بلدة طيبة ــ لكم ولمن حولكم آمين •

فانت لا تفتكر بالعائلة فانا افتش عليهم وعلى صحتهم دائما ــ وهي واجباتي ــ ويظهر لي انهم مستديمين الراحة والصحة • فكن مطئنا بذلك كما اطمأننت انا • عبدالجبار وصلاح يقبلون ايديكم ودمتم بحفظه من السالمين •

التوقيع : عمك •

كانت الكتب التي تصلنا من ذوينا مقطوعة ومقصوصة منها الكلمات او الجملة التي لا يراها الرقيب في دائرة المندوب السامي البريطاني مسموحا في قراءتها من قبلنا وكان هذا الوضع يجري في مقص يستعمل في هذه الحالات وقد لا تفهم مما جاء فيها احيانا ما كان يهمنا الاطلاع عليه .

لقد طلبنا ارسال بعض الملابس وغيرها من الضروريات وراجع اخي الميجر جرار البريطاني ومفتش الشرطة في بغداد فلم يسمح له فراجع دائرة المندوب السامي البريطاني بطلب قدمه الى الشعبة الشرقية التي ترأسها (المس بيل)

الى حضرة ارملة المرحوم عبدالله افندي خونده

من سكنة جديد حسن باشا ــ بغداد

بعد التحية والاكرام .

جوابا على استدعائك تاريخ ٣١ كانون اول سنة ١٩٢٢ برسم فخامة المعتمد السياسي قد اوعز الي بان اخبرك انه قد ارسلت الكفالة الى سامي خونده ليوقع عليها بامضائه وحالما يتم ذلك يسمح له بالعودة الى بغداد .

هذا ما لزم ودمتم . سكرتير فخامة المعتمد السامي
في العراق

زيارة المندوب السامي البريطاني :

يقول سامي خوندة :

كان قد عقد مؤتمر في العقير على ظهر احدى البواخر البحرية في النظر في تثبيت الحدود بين العراق ونجد لمنع تجاوز العشائر السعودية على العراق والرجوع الى معاهدة المحمرة الموقعة من قبل ابن السعود والعراق وانكلترا : بتاريخ ٥ مايس سنة ١٩٢٢ . وقد حضر اجتماع العقير هذا من العراق كل من السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق والمرحوم صبيح

نشأت وزير الموصلات ، وعند الانتهاء من الاجتماع عاد المندوبون المذكورون الى العراق في باخرة صغيرة اسمها (منور) من بواخر الخليج وخلال ساعات عودتها عرج المندوب السامي على الجزيرة (هنجام) لزيارة المنفيين فيها دون علمهم بزيارته المفاجأة هذه غير ان هذا الامر لم يبق سرا كما ارد ففي مساء يوم الاثنين الموافق ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ • جاء الى غرفتي الهندي واسمه كما اتذكر (ريشينا) الموكول اليه تنظيف غرفتنا فقلت له لم جئت اليوم مبكرا اجابني بـ (كب صاحب ايكله) وفهمت منها ان الصاحب الكبير ات الى الجزيرة وبعد الانتهاء من مهمته دعوت الزملاء الى الاجتماع حول مائدتنا واخبرتهم بالامر وطلب مني المرحوم الحاج جعفر ان اتتبع ما قاله هذا الجندي من الاشخاص الاخرين لمعرفة حقيقة الخبر ، فتناولت برتقالة وعلبة سكاير (وانْ فريد المذهبة) ومررت بامر الحضيرة الجمدار يمستك واعطيتها له وبعد الاحاديث الودية بيننا قال (كوكس •••• كوكس ابيكه) فحلت المشكلة وناديت الاخوان واخبرتهم بالامر فعقدنا جلسة وتداولنا فيها وقررنا الا نتكلم معه عن المأكل والمشرب وغيرها من الامور الخاصة ونستقبله ونحن في جلستنا المعتادة ورق اللعب انا والمرحوم الباجهجي كأن لم نكن نعلم بمجيئه الينا مطلقا •

واتفقنا على ان تكون اجابتنا على ما سيقوله مقتضبة وخولنا على اجابته المرحومين جعفر ابو التمن وحمدي الباجهجي •

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ تراءت لنا في الافق باخرة صغيرة بيضاء (منور) الباخرة الصغيرة البيضاء ما ان وصلت الى ساحل الجزيرة سمعنا ايعازا عسكريا بالتحية لمن ظهر منها وقد كان السيربرسي كوكس وجاء وحيدا وقصد مجلسنا فوجدنا جالسين حول مائدة الفطور جلسة عادية • فقمنا ورحبنا به وبعد المصافحة والاحاديث الودية قال : (ان الحكومة العراقية تطلب عودتكم) غير اننا (كما قال) نود ان يؤذن لخمسة

منكم بالعودة الى بغداد ويترك لكل من الحاج جعفر جلبي وحمدي بك الباجهجي اختيار محل يرسلان اليه ليبقيا فيه احرارا لوقت قصير محدود فأرجو ان تعلموني بالجهة التي ترغبان البقاء فيها •

فقال له ان مصر خير محل نهوى الذهاب اليها فرد عليهما كوكس بان الهند اقرب من مصر لو تفضلتما بالذهاب الى اي بلد اخر اولى لكم ولنا ، فلم يوافقا على ذلك كما وان بريطانيا (كما ظهر اخيرا) لم توافق على ذهاب زعيمين عراقيين الى مصر ليقضيا وقتا لان ثورة ١٩١٩ ما زالت مستعمرة بشدة بزعامة المرحوم سعد زغلول ، فسكت وغير مجرى الحديث حتى هاج المرحوم عبدالرسول كبة وقال : يا كوكس الم تستحي بريطانيا من شيخوختي عندما قررت ابعادي ونفي الى هذه الجزيرة وقد تجاوزت السبعين من العمر فلم يجبه كوكس •

وسأل هل تمر بكم البواخر عندما تتجه الى بومباي ، اجاب الحاج جعفر بان الباخرة التي تتجه الى بمباي تمر بنا كل يوم احد والتي تأتي من بمباي الى البصرة تمر بنا كل يوم ثلاثاء وقد امضى في مجالستنا حوالي ساعة من الزمن وودعنا عائدا الى باخرته • وعندما عدنا الى بغداد شهدنا ان جريدة العراق قد كتبت عن هذه الزيارة في حينه دون ان تذكر بقاء وزير المواصلات في الباخرة منتظرا عودة المندوب السامي اليه :

انتظرنا طويلا من الزمن وقلنا ان المندوب السامي قد نوه بأحاديثه عن قرب عودتنا الى بغداد وسأل عن حركة البواخر التي تمر بنا فهذه اشارة الى قرب العودة الى العراق ؟

وفي ٢ كانون الثاني / ١٩٢٣ زارنا القنصل البريطاني العام في بندر عباس الموكول اليه الاشراف على احوالنا ومعه اوراق قال انه وصلته من بغداد ليوقعها كل من السيد عبدالرسول كبة والسيد امين الجرجفجي والشيخ

حبيب الخيزران والشيخ محمد مهدي البصير وأنا ليعيدها الى دائرة المندوب السامي في بغداد ليطلق سراحهم على ان سينظر في بقاء او سفر الحاج ابي التمن والسيد حمدي الباجه‌جي بعد ذلك . كانت الاوراق التي حملها القنصل البريطاني وهي اوراق تعهد كتب فيها (اقسم بالله ان اتبع سياسة حكومة ملك العراق واتحاشى كل حركة تخل بالامن العام وتهييج الافكار ضد الحكومة) وطلب ان يوقع على كل واحدة منها شخص واحد .

لقد وقع التعهد كل من الجرجفجي وكبة وحبيب الخيزران وكاتب هذه الحروف ورفض الشيخ محمد مهدي البصير التوقيع عليها ثم وقعها بعد ان الح عليه الزملاء الحاحا شديدا وترك امر عودة المرحومين ابي التمن والباجه‌جي الى طلب آخر سيصل اليهما .

انتظرنا مدة تقارب الشهرين في الجزيرة وبعد ذلك تقرر ان نعود الى بغداد في ١٠ شباط ١٩٢٣ وبناء على استمرار طلب الوزارة من دائرة المندوب السامي البريطاني بعودة الاخرين اللذين بقيا في جزيرة هنجام وافق على عودة المرحوم الباجه‌جي الى بغداد في الاسبوع الاول من شهر آذار ١٩٢٣ وابقاء المرحوم الحاج محمد جعفر ابو التمن في جزيرة هنجام وحده .. كان المندوب السامي البريطاني متشددا في قضيته واصراره على عدم عودته الى بغداد والبقاء في هنجام او الموافقة على ذهابه الى الهند لقضاء فترة اخرى فيها حتى تعود الامور الى مجاريها غير ان الوزارة القائمة حينذاك قد اهتمت بالامر واستعانت بطلب المواطنين جميعهم بضرورة عودته الى بغداد .

كنا نحن الخمسة في باخرة (بانكورا) عائدين من هنجام وقد ودعنا السرية الهندية التي قامت بحراستنا وشكرنا ضابطها (يمسبتك) على حسن معاملتهم لنا واخذنا محلنا في الدرجة الاولى من الباخرة بعد ان استلمنا ما لنا من النقود واللوازم من الموظف البريطاني في دائرة اللاسلكي في الجزيرة فابرقت برقية الى اخي (جميل) من الباخرة اخبرته فيها بعودتنا في شباط

١٩٢٣ وفي اليوم الثالث وقفت بنا الباخرة مقابل ميناء الكويت وقد شهدنا فيه سفنا بحرية كثيرة العدد تدعى بـ (البوم) تحمل الاموال التجارية في حركـة دائبة وبينما نحن كذلك ظهر لنا من خلال هذه السـفن زورق بخاري يحمل علما احمر (علم الكويت) قد اتجه الى الباخرة يحمل رجلين تركاها عندمـا رست في جنب الباخرة وصعدا السلم وكان هذان الرجلان كما ظهر لنا مـن موظفي الكمرك قاما بوظيفتهما وخلال مدة وقوف الباخرة وصلها بعد برهة من وصول الزورق هذا زورق آخر ظهر منه رجل كهل على وجهه علامة الوجاهة والوقار اقبل علينا وبعد السلام قال (حينما سمعنا بوجودكم هنا امرت ان اتشرف بكم مسلما عليكم وانتم اهلنا واخواننا) ثم احضر لنا القوة العربية التي كان قد احضرها رجل من عمان ليستعملها هو في محله بالباخرة وقـد حضر هذا مسرعا مع معين (خادم) له حاملا القهوة العربية بفناجينها الكبيرة واثنتي عشر علبة من (حلاوة مسقط) الشهيرة قدمها لنا هدية فشـكرناهما شكرا لا مزيد عليـه •

سألنا كثيرا عن الشخص الكويتي الذي اسرع لمقابلتنا في الباخرة قيل لنا ان هذا محافظ الميناء وعندما بلغه وجودنا في الباخرة جاء ليؤدي ما عليه من الواجب في الترحيب الاخوى وقد اعتذر لعدم امكانه من استضافته لنـا واكتفى بتحميلنا اجمل تحياته الى العراق واهله فشكرناه كثيرا وكررنا لـه امتناننا واهداء احترامنا لاهل الكويت كافة •

وصلنا البصرة في ١٩٢٣/٢/٩ وقد ظهر لنا وجود بعض افـراد مـن الشرطة في الميناء وعندما رست الباخرة تقدم الينا رجل بريطاني بلباس الشرطة ومعه السيد سعيد عبدالواحد وكان معاونا لمديرها فيه وابلغنا باننا متجهون توا الى محطة القطار حيث ينتظرنا لينقلنا الى بغداد اما محمد مهدي البصير فقد يتأخر هنا ضيفا علينا بضعة ايام وقد هيأنا له المحل واسباب الراحة التامة

فتقبل المرحوم البصير هذا الامر ضاحكا وقال : لم هذه الاوامر كلها هل عمت على دائرة المندوب السامي سحب من الخوف من رجل بصير اعزل •

نقلنا الى محطة القطار نحن الاربعة امين الجرجفجي وعبدالرسول كبة والشيخ حبيب الخيزران وكاتب هذه السطور واشاروا الينا ان نأخذ محلنا في قاطرات الدرجة الثالثة فلم نوافق مطلقا وبعد جدال استمر بعض الوقت خصصت لنا قاطرة من الدرجة الاولى وقد رافقنا شرطيان من التحقيقات الجنائية (الامن) كما كان اسمها لمراقبتنا وهي في الدرجة الثالثة الملاصقة لقاطرتنا وفي صباح يوم ١٠/٢/١٩٢٣ وصلنا بغداد وجاء رجل من هذه الدائرة اسمه (شوكت) يسلم علينا ويحصي عددنا الذي وصل بغداد ولسبق معرفتي بهذا الرجل كما كان معروفا عند اكثر الاهليين قلت له يا شوكت اكتب تقريرا بذلك بسرعة وقد تركنا زميلنا البصير في البصرة حسبما امرته دائرة المندوب السامي •

وجدنا في محطة القطار جمعا من الشباب بما فيهم اهلنا وذوونا وتركنا المحطة الى دورنا بصحة وعافية •

بقي الشيخ محمد مهدي البصير في البصرة شهرا واحدا ثم اعيد الى بغداد والشيء بالشيء يذكر وبعد سنوات عديدة التقيت بمدير شرطة البصرة السابق (سعيد عبدالواحد) وكان يومها نائبا في المجلس النيابي في دار صهره السيد مكي جميل واخذنا نعيد ذكرياتنا القديمة عندما التقينا في البصرة سنة ١٩٢٣ فقال : لم أر طيلة حياتي في وظيفة الشرطة اصلب عودا واشد صبرا وجلدا من الشيخ محمد مهدي البصير حيث بقي محجوزا هناك شهرا كاملا لم الحظ عليه يوما انه ضجر او تبرم من حالته ووحدانيته الموحشة •

كنت في جلسة خاصة مع الاصدقاء العلوي والبدري وكان معنا المرحومان صادق حبة وانور النقشلي نتجاذب اطراف الاحاديث الهزلية

ترويحا للنفس فجاءنا احد المستخدمين في البلاط الملكي واخبرني بطلب كبير الامناء لي لمقابلته فقال الجلساء خيرا انشاء الله ربما يسمح لك باصدار الجريدة وضحكنا وفي صبيحة اليوم الثاني ذهبت الى البلاط وقابلت كبير الامناء فنوه لي بوجوب تنظيم حشد من الشباب لمقابلة ملك البلاد مطالبين بعودة الحاج جعفر ابو التمن الى العراق حيث لا توجد مروءة تقضي ببقاء هذه الشخصية الكريمة وحيدا في جزيرة قاحلة نائية لوحده فعدت بهذا الخبر الذي كان ينبأنا بقبول هذا الطلب منا وعرضه الى السدة الملكية فقمنا بتنظيم هذا الحشد وفي اليوم الثالث كنا في البلاط نطالب بعودة جعفر ابو التمن الى العراق فرفع كبير الامناء هذا الطلب الى الملك وسمح لمقابلة بعضنا وكان المرحوم العلوي والبدري وكاتب هذه الحروف والحاج محمد حسن كبة وصادق حبة وانور النقشلي قد اتفقوا على عرض هذا الامر على ملك البلاد فتمت مقابلتنا له . وعرضنا عليه السماح بعودة زعيم الوطنيين في البلاد ابي التمن الى بغداد كما يقتضيه العدل والمروءة . وكان لنا ما رجوناه فقررت الوزارة برئاسة عبدالمحسن السعدون عودته الى بغداد حرا طليقا فغادر جزيرة هنجام ووصل بغداد في ١٠ مايس ١٩٢٣ وقد استقبل بتظاهرة حاشدة من قبل شباب الحي اعاد فيهم حب خدمة البلاد روحا وجسدا .

لقد عانينا كثيرا من الغصص والسجن والنفي والابعاد خلال فترة من العمر عندما كنا في غمرة النضال ضد احتلال البلاد من قبل الانجليز وكانت ايامها تذكرنا بما لقيناه وما جابهناه من اوامر المسؤولين بالحكم المزدوج في البلاد وتحملنا كل ما حدث فيها فكانت حلوة اكثر من مرارتها فمن المشاركة في القتال في جبهات القتال في ثورة العشرين الى الصحافة الى جزيرة هنجام محلنا في النفي والابعاد .

وكنا في طبعنا وفي كل اعمالنا (لا نريد جزاء ولا شكورا) رحمه الله زملائنا وامطرهم شآبيب رحماته الواسعة .

كانت تربطني بالمرحوم مهدي البصير صداقة حميمة ظلت متصلة حتى وفاته فهو شخص ممتاز قلما يجود الزمن ببصير مثله واحتفظ له بذكرياته كثيرة وطيبة . كان يرتجل الشعر في بعض الاحيان فطلبت منه ذات يوم ان يقول شعرا مرتجلا فقال لي بعض الابيات الغزلية منها :

امـردد النغمـات وهي شـجية   هيجت في القلب الشجي غراما
فأضرب على وتـر الفؤاد فأنـه   يحيي الغـرام ويبعث الآلامـا

ثم قال سامي : فأخذت اغني هذه الابيات على العود ، وكثيرا ما كـان يطلب مني ان اسمعه شيئا من الشعر المغنى على العود عندما كان يزورني في داري في اخريات ايامه . وكان يطرب اشد الطرب ولم اجد البصير قد تأثـر من نغمات الموسيقى بشكل انفعالي الا مرة واحـدة وذلك عندما زارني في احد الايام في محلة جديد حسن باشا وقد تناول طعام الغذاء وبعده طلب الي ان اسمعه شيئا من نغمات العود التي طالما كان يسمعها مني وقد رافقت هذه النغمات الاغنية الشعبية :

متعـــذب بدنيــــاي   جــي مالـــي والـــي
لعبـــوا بحـــــالي   لعبـــوا بحــــــالي

وعندها لاحظت دموعه بدأت تتساقط من عينيه ، وقال لي : (لا تعتقد ان من لم يكن لها والي او معين تجابه في الحياة اصعب ساعاته واشد نكباته في جميع انحـاء العـالم) .

في حين لم أجد البصـير يوما ما باكيا في احلك الظروف واقســـاها واضيق الســاعات .

لما عدنا من النفي في جزيرة هنجام طالبت بالموافقة على اعادة اصــدار جريدتي (الرافدين) فلم توافق وزارة الداخلية على ذلك • وتخلصا مــن مضايقة المراقبة السـرية والمتابعة التي فرضــتها علينا التحقيقات الجنائيــة (الامن) دعتني الهيئة الادارية لمدرسة الجعفرية الى التدريس في المدرســة فوافقت على ذلك وقمت بتدريس مادة الجغرافية وتاريخ العصر الحــديث (القرن التاسع عشر) عصر الانقلابات والثورات كما كان يسمونها •

وقد تولى عدد من طلابي الاعزاء مناصب عليا في الدولة كما حصلوا على شهادات عالية فصار منهم محامون واطباء وغيرهم ومنهم :

١ ـ الدكتور صادق علاوي

٢ ـ الدكتور توفيق علاوي

٣ ـ السيد عبدالمجيد محمود

٤ ـ عبدالجليل جــواد

٥ ـ الدكتور علي البير

٦ ـ عبدالرحمن القطــان

٧ ـ الدكتور محمد حسن سلمان الحمامي

وفي شهر ايلول ١٩٢٣ دعاني مدير المعارف العام المرحوم ساطع الحصري وطلب مني الموافقة على اشغال بعض الوظائف الادارية في المدارس الحكومية فوافقت على ذلك وعملت في ادارة بعض المدارس في بغداد وخارجها لمــدة خمس سنوات ، منها سنتين في ادارة مدرسة الكاظمية ومن طلابي في هــذه المدرسة الذين اذكرهم :

عبدالرسول الخالصي ، وحسن الخالصي ، ومحمد علي جلبي وغيرهم •

وقد زاملني في مهنة التدريس هنا : محمد فهمي الجراح وعوني بكر صدقي •

وفي سنة ١٩٢٤ توليت ادارة مدرسة تطبيقات دار المعلمين الابتدائية ومن طلابي في هذه المدرسة • الدكتور احمد حميم الصفار • الدكتور صالح عبدالمنعم والمحامي عبدالكريم جواد والمحامي حكمت السعدي وعبدالرحمن الخضير وغيرهم •

في شهر ايلول سنة ١٩٢٩ (وبعد انتحار عبدالمحسن السعدون رئيس الوزراء) طلبني المرحوم ياسين الهاشمي وكان يومها وزيرا للمالية طلبني الى وزارته ونقلت مفتش مالي اليها بعد ان قضيت في التعليم خمس سنوات التي اسسها حديثا في وزارته كشعبة مهمة واسند رئاستها الى المرحوم (اوسقان بك) الذي كان وزيرا للبرق والبريد في العهد العثماني وقد استدعي من اسطنبول من قبل وزير المالية الاسبق ساسون حسقيل لتشكيل التفتيش المالي حيث شكل بقانون خاص وهناك وجدت ستة مفتشين ماليين كانوا زملائي في المدرسة منهم المرحوم رؤوف البحراني وهاشم مجيد وخلف شوقي الداودي ، وقد بقيت في هذه الوظيفة ثمان سنوات بما فيها مفتش واردات •

ثم نقلت خدماتي الى وزارة المالية فنسبت الى دائرة التفتيش المالي • دبعدها نقلت الى لواء ديالى فعملت محاسبا في المتصرفية وبقيت اشغل هذه الوظيفة حوالي سنة ونصف السنة نقلت بعدها محاسبا الى متصرفية كربلاء وبقيت هناك حوالي ٣ اشهر عاصرت فيها المتصرف صالح جبر • نقلت بعدها الى بغداد بناء على طلبي حينما كان رؤوف البحراني وزيرا للمالية • وكانت تربطني به صداقة قديمة تعود الى ايام الدراسة في المدرسة الاعدادي ملكي • وتزاملنا كذلك في دائرة التفتيش المالي قبل استيزاره وهكذا • عدت الى المالية مرة اخرى سنة ١٩٣٥ •

وفي سنة ١٩٣٧ نقلت الى وزارة العدلية الى دائرة تسوية حقوق الاراضي •

وبعدها اعيرت خدماتي الى وزارة التموين ثم الغيت تشكيلات هذه الوزارة وعدت الى وزارة المالية بوظيفتي السابقة (مفتش مالي) .

وفي سنة ١٩٣٨ نقلت الى معاون رئيس اللجنة الخامسة لتسوية حقوق الاراضي في لواء ديالى ولواء الكوت . ثم عدة الى وزارة المالية بوظيفة مفتش مالـي .

ومنها نقلت الى وزارة الداخليـة مديرا لحسابات الوزارة . ثم مفتشا اداريا في سنة ١٩٥٧ وفي شهر آب ١٩٥٨ احلت على التقاعد بناء على بلوغي السن القانونية .

جريـدة الرافـدان :ـ

كانت وزارة الداخلية العراقية قد عطلت جريدة الاستقلال سنة واحدة واصبح القوميون بلا صوت يسمع وفي احد الايام اجتمعنا في ادارة جريدة الاستقلال المعطلة وقررنا ان اتنازل عن ملكية امتياز جريدة (الرافدين) الى علي محمود الشيخ علي وفقا لقانون الصحافة العثماني الذي كان معمولا به يومها والتي تقول احد مواده (تكون ملكية الجريدة لاصحابها لمدة ١٥ سنة وان وقفت الجريدة عن الصدور) فرفعت عريضة الى وزارة الداخلية طلبت فيهـا تنازلي عن ملكية الجريدة الى الاخ علي محمود الشـيخ علي ولما كانـت الحكومة غير راضية على نهج جريدة الاستقلال القومي التي عطلتها الحكومة ولاعتقاد وزارة الداخلية بان (الرافدين) ستكون بديلا لجريدة الاسـتقلال المعارضة ، عاتب وزير الداخلية المرحوم ناجي شوكت المرحوم ياسين الهاشمي وزير المالية بخصوص هذا الطلب باعتباري احد موظفي وزارة المالية دون اخذ الاستئذان من المراجع المختصة لذلك طلبني الهاشمي للمواجهة فذهبت اليه. وقد بادرني بالسؤال عن كيفية تنازلي عن امتياز جريدة (الرافدين) الـى علي محمود الشيخ علي وهو من المعارضين الى الحكومة . ثم قال : ان وزير

الداخلية عاتبني على تنازلك عن الامتياز باعتبارك موظف في وزارة المالية .
ثم قال ايضا : انني احببت ان اخبرك بالامر ربما تسئل عنه في وقت آخر .

وعلى الرغم من تنازلي عن امتياز الجريدة الا ان طيلة حياتي الوظيفية الطويلة على اتصال دائم ووثيق مع الصحافة لم تنقطع يوما واحدا وكان الصحفيون يتصلون بي دائما وكنت قد نشرت العديد من المقالات باسم مستعار مثل (قروي) و (أنا) لان الدولة يومها كانت لا تسمح للموظفين نشر مقالاتهم في الجريدة .

اهدى سامي خوندة مكتبته الخاصة الى المكتبة المركزية لجامعة بغداد وهي مكتبة قيمة ضمت امهات المراجع العربية والاجنبية لانه لم يكن له احد من اولاده من ينتفع بها حيث أن ولديه (سهاد وسرمد) طبيبان وقد اهديت بتاريخ ١٩٦٨/٨/١٥ وقد ختمت الكتب بختم اهداء .

---

(٤٠) قاسم عبدالعال : من عائلة تسكن الكرخ ويشتغل بعض افرادها بالتجارة وكان هو يزاول مهنة التجارة وقد انتقل الى الاعظمية فسكن فيها .

الاغتيــالات الســياسية

لقد اغتيل عدد من الاشـخاص في العـراق في هـذه الفترة وكـان جميع اسبابها سياسية كان قد عاصرها سامي خوندة وهي :

١ ـ اغتيال سـلمان روبين :

قال سامي خوندة : كان هذا مفوض شرطة في مركز شرطة سراي بغداد وكان سيء السلوك والسمعة شرس الطباع يسيىء معاملة المراجعين العراقيين وكان يتقصد الاساءة اليهم وقد اثار امتعاض ونقمة الناس عليه لا سيما وجهاء بغداد لم ير العراقيون عميلا شغل منصبا كهذا لان منصبه هذا اتاح له ان يستخدمه بالشكل الذي يريده ويحلو له وقد عمل على توقيف واعتقال العديد من الوطنيين العراقيين ومنهم المرحوم عبدالمجيد كنة .

وعلى هذا كان لابد من التخلص من هذا الشرير فأوعز الى شخص يدعى عبدالامير .. ان يغتاله . فكمن له خلف (دنكة) ملاصقة الى جامع آل جميل في محلة تحت التكية واطلق عليه النار فأرداه قتيلا .

ونشرت جريدة الاستقلال في عددها ٢٨ الصادر في ٢٩ كانون اول ص٣. الاعلان التالي :

مكافأة خمسة الاف روبية

تعطى مكافأة قدرها خمسة الاف روبيـة لمن يعطي خبرا ينتج بتوقف ومعاقبة الشخص او الاشخاص الذين اشتركوا باغتيال مفتش البوليس سلمان روبين حية (المختص لبوليس لواء بغـداد) الذي قتل رميا بالرصاص نحو الساعة السبعة عشرة ونصف (اي نصـف ساعة بعد الغروب) في مساء يوم الجمعة ٢٤ كانون الاول في طريق تحت التكية بجانب ميـدان جامع مرجان ببغـداد .

نائب مدير البوليس
بغـداد

٢ ـ اغتيال السيد حامد محمود السامرائي متصرف الموصل :

يقول سامي خوندة حول اغتيال السيد حامد السامرائي[١] كنت يومها في زيارة لمدينة الموصل • وقد علمت باغتيال متصرف الموصل السيد حامد عندما كان في دار رئيس البلدية (امين المفتي) بعد طعام العشاء مباشرة في غرفة الاستقبال وكان معه طفله (صفاءالدين) وقيل جاءه شرطي الشبانه واطلق عليه النار من الشباك الذي يقع خلف المتصرف في الغرفة • وكان اسم القاتل (عرموط) وهرب بعد اطلاق النار واختفى عن الاعين ويقال : ان الانكليز كانوا وراء قتله ، وقد اشتركت في تشيع جثمانه •

وقد تطرق علي محمود الشيخ علي في مذكراته الى هذه الحادثة بشيء من التفصيل فقال :

ان الحكومة التي اعلنها السر برسي كوكس في ٢٧ تشرين اول ١٩٢٠ برئاسة النقيب وتحت اشرافه هو قد ساعدت على ادخال عناصر عراقية في الوظائف الحكومية وهيأت لهم فرصة اشتراكهم في ادارة البلاد ، على ان السلطات الرئيسية بقيت في ايدي الموظفين الانكليز فالفائدة التي نتجت من هذا التطور ان قسما من العراقيين بدأوا يستفيدون من خزينة الدولة حيث خصصت لهم رواتب ضخمة • الا ان مرد الاوامر في كل مؤسسة من المؤسسات الحكومية او مصلحة من مصالحها كان الى الضباط الانكليز فيها لقد جعلوا لكل وزارة مستشارا بريطانيا وقسموا البلاد الى ثلاثة عشر لواء وشبه لواء وهو اربيل،وعينوا لكل لواءمتصرفا وطنيا بجانبهمشاورا اداريا بريطانيا•ومدير شرطة وطني في حذائه مفتش شرطة بريطاني في الاساس كان في كل لواء من هذه الالوية حكام سياسيون بريطانيون ومدراء شرطة بريطانيون • فالوضع لم يتغير بشيء الا باضافة المتصرفين ومدراء الشرطة الوطنيين اليهم والمدراء

---

(١) هو والد الدكتور صفاءالدين حامد الطبيب النفساني وعم المجبر الفني جلال شاكر •

العامون كلهم لا القليل منهم كانوا ضباطا بريطانيين ولم تترك مصلحة من المصالح الفرعية الاخرى الا وراسها ضابط انكليزي .

ثم قال علي محمود : فالسلطة التنفيذية وان كانت قد اودعت اليهم في الشكل الظاهر ولكن السلطة الحقيقية بقيت في ايدي الضباط البريطانيين وكان اكثر هؤلاء الضباط ذا نشأة عسكرية جافة تابى ان ترق اوان تلين حتى ان المفتش الادري في الموصل (نولدر)[٢] لم يقبل ان يعمل مع متصرف وطني . وان اول متصرف وطني بعث به الى الموصل كان مصيره القتل في اول ليلة قضاها في محل وظيفته . وقد تواترت الادلة على ان مدبر قتله كان الانكليزي المنوه عنه وقد ظلت الموصل من دون متصرف مدة غير يسيرة الى ان تم نقل (نولدر) .

والحقيقة ان الحكومة لم تهتم بالامر ولم تكشف الاسباب التي دعت الى ارتكاب هذه الجريمة .

ومن السياسيين الذين تناولوا هذا الحادث في مذكراتهم المرحوم عبدالعزيز القصاب وكان له فضل السبق في الاشارة والتنويه به فقال :

بعد اغتيال حامد السامرائي[٣] متصرف الموصل نقلت من متصرف الكوت الى متصرف الموصل ولما جئت الى بغداد فيها تحققت من ان المرحوم السيد حامد اغتيل في يوم وصوله بالذات الى الموصل من قبل شخص مجهول بينما كان جالسا في بيت آل المفتي في محلة باب سنجار وان الحكومة لم تهتم بالامر ولم تكشف الاسباب لارتكاب هذه الجريمة . فقابلت وزير الداخلية يومها توفيق الخالدي وبعده قابلت رئيس الحكومة السيد عبدالرحمن النقيب واستفسرت منها عن السر في هذا الحادث ، فلم يتمكنا من اجابتي عن السبب .

---

(٢) عين نولدر حاكما سياسيا في الموصل في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٩ خلفا للمستر بيل الحاكم السياسي الذي اغتيل في منطقة بيراكدا .

(٣) اغتيل في مساء يوم الاحد المصادف ١٢ جمادي الثاني ١٣٣٩هـ ٢٠ شباط ١٩٢١ وهو اليوم الذي وصل فيه الموصل .

وقال لي السيد النقيب ان التحقيقات جارية في الموضوع ولم يظهر للان شيء. فقلت له : انا لا اتمكن من الذهاب الى الموصل قبل ان اعلم الاسباب التي ادت الى اغتيال هذا المتصرف . وهل حدث هذا من قبل اهل الموصل لعدم رغبته فيه ؟ ام انه ناشيء عن عدم قبول السلطة الانكليزية بالموصل لحاكم عربي ؟ ولذلك فانا معذور لعدم قبولي لهذه المتصرفية . فاخذ المرحوم يرغبني بقبول هــذا المنصب فاجبته بعدم امكاني ذلــك . وانهيت الحديث معه وخرجت. وراجعت الدكتور حنا خياط وطلبت منه تقريرا طبيا يؤيد ابتلائي بالروماتيزم وبما ان مناخ الموصل بارد ورطب فلا يمكنني تحمله فاعطاني تقريرا بذلك ، وعلى الاثر قدمت طلبا لوزارة الداخلية بقبول استقالتي من متصرفية الموصل استنادا الى التقرير الطبي المذكور . فارسل اليّ وزير الداخلية ومستشاره كورنواليس وكلماني في موضوع سحب الاستقالة فلم اوافقهما وعندما عجزوا عن اقناعي حاولت الوزارة تعيين غيري لهذه المتصرفية فانتخب لهذا المنصب القائمقام العسكري المتقاعد عبدالوهاب وهبي [٤] ولكنه لــم تطل اقامته في الموصل من خمسة شهور لانه لم يساير الكولونيل الانكليزي (نولدر) الحاكم السياسي في الموصل في سياسته كما انه لم يكن مرغوبا من بعض الرؤوس من اهل الموصل الذين كانوا يتطلعون الى منصبه فنقل الى لواء ديالى وتوفي بعد ذلك . كان شيخا وقورا متواضعا تقيا ورعا محبا للخير ويعمل الى ما يرضي الضمير[٥] .

٣ ــ مقتل توفيق الخالــدي :

استقالت الوزارة السعدونية في ١٩٢٣/١١/٢٢ واعقبتها وزارة جعفر العسكري الاولى بتاريخ ١٩٢٣/١١/٢٢ . ودخل فيها نوري السعيد لاول

---

(٤) عبدالعزيز القصاب : من مذكراتي من ٢١٢ــ٢١٣ . وهو : وهبي ابــن امين بن عبداللطيف بن عبدالوهاب الخزرجي (والد الشاعرة الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي) .

(٥) عبدالمنعم الغلامي : الانساب والاسر حـ١ ص١٢٦ .

مرة وزيرا للدفاع وقد افتتحت اعمالها بالمباشرة في انتخابات المجلس التأسيسي وبينما كانت عملية الانتخابات جارية اغتيل توفيق الخالدي وزير الداخلية الاسبق ٠

كان توفيق الخالدي انسانا مثقفا وذكيا وكان جمهوري النزعة(٦) ارتبط بصداقة متينة مع المندوب السامي البريطاني المستر (هنري دوبس) منذ ان كان وزيرا لاهم وزارة في البلاد وهي وزارة الداخلية ٠ كان الخالدي في الوقت نفسه معادي للملك فيصل وللملكية بشكل عنيف وقد وقف موقف المعارضة

---

(٦) ذكر الاستاذ حسين الرحال انه عندما كان طالبا في الجامعة في المانيا في اواخر الحرب العالمية الاولى كان توفيق الخالدي يجتمع به وبالطلاب العراقيين الاخرين ويحدثهم عن مستقبل العراق ويدعو الى تفضيل النظام الجمهوري ويحدثهم عن مزاياه وفوائده وعن مساوىء النظام الملكي وانهم عندما كانوا يحدثونه عن صعوبة اتفاق العراقيين على رئيس الجمهورية كان يقول لهم ان هذه الصعوبة مؤقتة وان بالامكان اختيار السيد طالب النقيب الذي تتفق عليه الكلمة في الوقت الحاضر كأول رئيس للجمهورية ولكن اعتقال طالب النقيب ونفيه الى خارج العراق كانت ضربة قاضية لدعاة الجمهورية (حسين جميل : بداية فكرة الجمهورية في العراق . مجلة الهلال : العدد ٦ لسنة ٧٣ كانون الثاني ١٩٦٥ ص٩٤) . والحقيقة ان فكرة اقامة نظام جمهوري في العراق كانت تراود اذهان عدد كبير من العراقيين تظهر كلما اصابت البلاد أزمة سياسية . فمثلا في سنة ١٩١٨ عندما انعقد الاجتماع في النجف في كانون الاول وشارك فيه جميع العناصر الوطنية في النجف وابي صخير والشامية للبحث في موضوع استفتاء الشعب حول نظام الحكم الذي تختاره عرض على المجتمعين اقتراح باقامة النظام الجمهوري ولكن هذا الاقتراح لم يكتب له النجاح وربما كان لموقف الشيخ عبدالواحد سكر رئيس عشيرة الفتلة في الاجتماع اثر في ذلك . وقد قال : (لسنا ايها السادة اكفاء للجمهورية حتى نختار حكومة جمهورية ولسنا فرسا او تركا او انكليز فنختار اميرا فارسيا او تركيا او انكليزيا وانما نحن عرب فيجب ان نختار اميرا عربيا) .

وبرزت فكرة الدعوة الى الجمهورية مرة أخرى عندما قامت حركة ١٩٤١ وهروب الوصي عبدالاله حيث اقترح ناجي شوكت الغاء النظام الملكي واعلان الجمهورية ولكن هذا الراي لم يحظ بالتأييد واختير الشريف شرف وصيا على عرش العراق .

الشديدة من انتخاب الملك فيصل ملكا على العراق ٠ وكان الملك فيصل ينظر اليه نظرة الريبة والشك بحكم نزعته الجمهورية وكان المندوب السامي يكره الملك فيصل كرها شديدا وكان الملك فيصل يعرف مشاعر دوبس العدائية نحوه وربما كان كرههما للملك فيصل سببا في توطيد الصداقة بينهما ٠

كان توفيق الخالدي يملك مزرعة في منطقة الدورة اسمها (العكابية) وكان قد جعلها مكانا للراحة والاستجمام وكان يقيم فيها الولائم والدعوات الخاصة لاصدقائه ومعارفه ٠ وفي احد الايام اقام الخالدي وليمة غذاء في مزرعته هذه على شرف المستر دوبس حضرها عدد من المدعوين ٠ وبعد انتهاء الوليمة خرج المدعون فدعى المندوب السامي دوبس توفيق الخالدي الى الركوب معه في سيارته واخذ يطوف به في شوارع بغداد والخالدي جالس الى جانبه ٠ وعندما علم الملك فيصل بذلك استاء استياءا كبيرا واعتبر هذا العمل مدبرا ضده وانها بداية لخطر حقيقي سيحيق به ٠ واعتقد ان الانكليز الذين صاروا يتضايقون منه هذه الايام اخذوا يهيئون الخالدي بديلا عنه في حكم العراق في وقت تدهورت فيه العلاقة بين الملك فيصل والانكليز عنه في شكل خطير وسافر حتى انتقل هذا الخلاف والصراع على صفحات الصحف العراقية التي اخذت هي الاخرى تعمق هوة الخلاف وتوسيع شقة العداء بينهما ٠

وعلى هذا قرر الملك التخلص من الخالدي وتصفيته في اقرب فرصة قبل استفحال الخطر وقد عهد الى نوري السعيد القيام بهذه المهمة فقام بها ونفذها ليلا ٠

يقول سامي خوندة :

اتصل نوري السعيد (بشاكر القرهغولي وعبدالله سرية) وطلب منهما تنفيذ المهمة وكان الخالدي يومها يسكن في محلة جديد حسن باشا في الدار

المرقمة ٦ / ١٩ ، وفي الترقيم ٢٤ خلف جامع السراي الذي يقع اليوم مقابل محافظة بغداد وكان (عبدالحميد كنة) قد استأجر دارا صغيرة يسكنها وحده حيث كان يومهـا اعزب والدار قريبة من دار الخالدي(*) وتبعد عنها مسافة قصيرة اعدها لقضاء سـهراته الليلية فيها او كما تسـمى (الليالي الحمراء) وكانت ازقة هذه المحلة ضـيقة ومتعرجة وكان عبدالحميد كنة يومها ملتزما لحراسة منطقة جديد حسن باشا فطلب منه نوري السعيد ان يتعاون معهم في هذا الامر وان يقدم لهم التسـهيلات اللازمة لذلك . فجعل عبدالحميد من داره مكمنا يكمن فيه القرەغولي وسرية يراقبان الخالدي في غدوه ورواحه وظلا يتربصان به حتى ظفرا به في ليلة ٢٤ شباط ١٩٢٤ عندما كان عائدا من زيارة للمرحوم عبدالرحمن النقيب رئيس الوزراء الاسبق وتقدم شاكر واخذ مكانه في رأس الزقاق الذي يقع فيه بيت الخالدي وعندما لاح الخالدي قادما الى داره فاجأه عبدالله سرية باطلاق ثلاث طلقات عليه من الخلف في باب داره عندما كان يطرق باب الدار فارداه قتيلا يتخبط بدمه ببدلته البيضاء بينما وقف شاكر القرەغولي يراقب الطريق وبعد ان نفذ عبدالله سرية جريمته اسرع فدخل دار عبدالحميد كنة الذي كان على علم مسبق بالموضوع واختبأ فيها ليلتها حتى اليوم الثاني اما شاكر القرەغولي فقد ذهب الى مقهى مقابل جامع الحيدرخانة والتي تسمى اليوم مقهى البرلمان . وكأنه لم يكن له علم بالحادث .

وعندما هرعت الشرطة الى مكان الحادث لم تعثر على احد وسجل الحادث ضد مجهول(٧).

---

(٧) نشرت جريدة الاستقلال لصاحبها عبدالغفور البـدري في ٢٥ شـباط ١٩٢٤ الخبر التالي : اغتيال الخالدي : بينما كـان معالي توفيق بـك الخالدي خارجا من داره في محلة جديد حسـن باشـا وقت العشاء اذا اطلق عليه شخص طلقة من مسدس اصابته في ظهـره وطلقتين اخريين اصابتاه في صدره . والظاهر من التقرير الطبي ان سبب الموت هو جرح الطلقات النارية التي في صدره والتي ضربت الاوعية الدموية المهمة .

ان عبدالحميد كنه هو عم (خليل كنه) وكانت تربطني به صداقة ابناء محلة نسكن جميعا محلة جديد حسن باشا وكنا نمر عليه صباحا في اغلب الايام لقضاء بعض الوقت • وفي اليوم الثاني لمقتل الخالدي ذهبت كعادتي الى داره فوجدته جالسا يقلب اوراق التزام حراسة سوق السراي حيث كان قد التزم حراسته من بلدية العاصمة حسب الطريقة التي كانت تجرى يومها وكان عنده المرحوم صديقه حسن شكره العزاوي (من محلة المهدية) فسألته عن حادث اغتيال الخالدي الذي وقع في محلتنا قرب داره فأجابني (لا •• لااعرف) وسكت • وسألته من جاءك من اصدقائنا بالامس فقال لم اكن هنا في البيت ولم يأت احد •

وهنا يتساءل المرء : ملتزم حراسة المحلة وتقع داره على بعد امتار من دار الخالدي القتيل • وقتل وزير سابق • هل يعقل الانسان ان ملتزم الطرف لايعرف بمقتله ؟ •

كان نوري السعيد قد وعد عبدالحميد ان يعطيه التزام حراسة سوق (الكتبجية وسوق المغايز) الذي كان يبدأ من المحاكم وينتهي عند مقهى المصبغة وهو سوق السراي مع سوق الجسر • اذا ماتعاون معه في قتل الخالدي وفعلا اعطاه التزام السوق بعد تنفيذ عملية الاغتيال •

وكانت هذه الحادثة هي بداية لصداقة وطيدة بين نوري السعيد وعائلة آل كنة •

وقد ظهر الخبر نفسه في جريدة العراق لصاحبها رزوق غنام تحت عنوان . فاجعة اليمة : بينما كان معالي توفيق بك الخالدي وزير الداخلية السابق عائدا الى بيته اول من امس اذ بيد اثيمة اطلقت عليه اربع عيارات نارية فاردته قتيلا لساعته وهرب الجاني حالا فاسرعت الشرطة بعد الواقعة ببضع دقائق ولكن رأت ان الرجل قد قضى وهرب الجاني . وقد تبين من الكشف ان العيارات هي من مسدس من نوع (البرونيك) وان الرصاصات اجتازت من ظهره الى قلبه حيث توفي حالا.

قال محمود شبيب[٨] (جمعت المعتقلات التي اقامها الانكليز في الكوت والعمارة والفاو وغيرها من العراق اعقاب فشل حركة مايس ١٩٤١ ، افواجا من الناس وكان من بينهم عبدالله سرية واعترف الى احد اصدقائه انه هو الذي قتل توفيق الخالدي وان شـاكر القرةغولي كان شريكا له في القتل وانه كان عضـوا في جمعيه سـرية هدفها الفتك بمن يتعاون مع الانكليز وان توفيق الخالدي كان احد هؤلاء المتعاونين) .

كافأ نوري السعيد قتلة توفيق الخالدي عبدالله سرية وشاكر القرةغولي على عملهم فقد وظف شاكر القرةغولي مديرا للتصليح في معمل الجيش الذي كان يقع في وزارة الدفاع القديمة . وعندما احيل على التقاعد تزوج من ارملة من بيت الكواز في بغداد وكانت تملك بعض الاملاك وكان لهـا مزرعة في بعقوبة قتل فيها شاكر القرةغولي .

اما عبدالله سـرية تمكن عن طريق نوري السعيد ادخال ابن اخته الى المدرسة العسـكرية وتخرج فيها . وكان دائما يفاخر بان خاله عبدالله سرية قاتل العملاء .

ان توفيق[٨] لم يكن في الجبهـة الوطنية كما انـه لم يكن من مؤيدي (ملوكية) فيصل على العراق فهو في سياسته انما كان يمثل الاخلاص العميق للسياسـة البريطانية على ان تكون رياسـة الدولة العراقية في بيت عراقي

(٨) حكايات تاريخية عراقية ، ص١٣٦ .

* تقع في هذا الزقاق بيوت عديدة لعوائل معروفة منها : بيت الزهـاوي ، وبيت باقر ، وبيت حسن افندي ، وبيت برنوطي ، وبيت هيلة ، وبيت السعيدي بيت بكداش ، وبيت البغـدادي ، وبيـت المتولي ، وبيـت النقشلي ، وبيت القاضي وغيرهم . وسكن في دار الخالدي فيما بعد عدد من المدرسين العرب الذين استقدمتهم الحكومة العراقية ليسـاهموا في تدريس الطلاب العراقيين وهم :

١ ــ انيس النصولي وهو من بيروت يدرس التاريخ الاسلامي .
٢ ــ درويش المقدادي : وهو من طولكرم يدرس التاريخ الاوربي .
٣ ــ جلال رزيق ، من اللاذقية يدرس الرياضيات .
٤ ــ عبدالله شنوق .

فالخالدي اذن لم يكن في الجبهة الوطنية ليتأثر بمصرعه الرأي العام الوطني ولا هو في جبهة الملك ليهتم بشـأنه مليك البلاد ولا رجال حكومته فاكثرية العراق الساحقة اذن لم تحزن لفقده ولم تشعر بخسارته ولكن اغتياله برغم كل هذا قد سبب لغطا كبيرا في الاوساط السياسـية والبيئات الاجتماعية لا اهتماما بشأنه ـ كما قلت ـ وانما اهتمام الامن العام وخوفا من تكرار مثل هذا الحادث • فكأن هـذه الاوسـاط السياسية والبيئات الاجتماعية قد ادركت لاول لحظـة ان الحكومة او على الاقل لرجال فيصـل ضلعا في هذا الاغتيال •• صحيح ان من الذين اشـتركوا في اغتيال الخالدي كان يعتقد بخطره على الوطن العراقي وانه انما يقوم بواجب وطني حين يساهم بازالته من الوجود • ولكن الذي حرض وهو احد رجال الدولة المسـؤولين الجدد كان يدفع بالقتلة لغرض لاصلة له بصالح الوطن العراقي ولا علاقة له بالغيرة على القومية العربية • ولما كان الامر كذلك فانه من الطبيعي ايضـا ان تمحى معالم الجريمة وتطمس اثارها وان تختم التحقيقات بعدم الاشتباه باحد وكيف تشتبه الحكومة باحد وبتدبيرها قد تم الامر وبرايها وقعت الواقعة •

قال سـامي خوندة : لقد اعقب حادثة الخالدي حوادث واعتـداءات عديدة قام بها عبدالله سرية فقد اطلق النار على الحاج محمود الشابندر وسبب هذا الحادث : ان عبدالله سرية طلب مسـاعدة مالية من الشابندر فلم يعطيه وطرده بكلمات خشنة فهجم سـرية على الشابندر واطلق عليه عدة طلقات في الخان المسمى بخان الشابندر المجاور للمحكمة الشرعية في شارع النهر مقابل مصرف الرافدين اليوم ولكن هذه الطلقات قد طاشت ولم تصبه وفر هاربا • وقد القي عليه القبض وسجن •

٣ ـ محاولة اغتيال عداي الجريان وسلمان البراك :

عندما تكون الحكم الملكي في العراق حاولت بريطانيا عقد معاهدة معه• وكانت الاسس التي قامت عليها هذه المعاهدة هي عبارة عن (شروط)الانتداب صيغت من جديد في شكل معاهدة) •

وقد نوقشت هذه المعاهدة مناقشة عميقة سواء في الصحافة أم في الخطب التي القيت في الاجتماعات العامة ولاسيما في اجتماع سينما رويال الذي ضم الصفوة السياسية في البلد يومها • وقد تركزت هذه الصفوة في المحامين الشباب وعندما انتهت انتخابات المجلس التأسيسي ، اجتمع المجلس اول اجتماع له في ٢٧ آذار ١٩٢٤ م وفي هذا الاجتماع قدمت اليه فورا المعاهدة المعقودة عام ١٩٢٢ وملاحقها الاربعة المتممة لها ، الموقع عليها في عهد وزارة العسكري الجديدة •

وبينما كانت لجنة المعاهدة منهمكة في تدقيقاتها كانت طبقات الشعب قلقة على مصير البلاد تقيم الاجتماعات الصاخبة والمظاهرات في هذا الوقت انطلقت عيارات نارية قاتلة على عضوين من اعضاء المجلس التأسيسي عرفا بميولهما البريطانية « وهما عداي الجريان شيخ قبيلة البو سلطان في الحلة وسلمان البراك مندوب الحلة ايضا وقد اطلق عليهما الرصاص شاكر القرةغولي وعبدالله سرية،يوم ٢٠ نيسان ١٩٢٤ وقد ضرباهما في عگد الصخر في محلة جديد حسن باشا » •

وقد وقع هذا الحادث بعد الاحتفال الكبير الذي عقده المحامون في سينما رويال الذي عقد خصيصا لمناقشة المعاهدة وبيان آرائهم حولها ، في حضور اعضاء المجلس التأسيسي ومن غرائب الصدف ايضا ان المجني عليهما كانا من جملة الاعضاء الذين لم تصلهم رقاع الدعوة التي كانت قد وزعتها لجنة تنظيم الاحتفال على اعضاء المجلس من دون تمييز بين ميولهم وآرائهم وقد اتخذت الحكومة من ذلك ذريعة لملاحقة الشباب الذين هيأوا لهذا الاحتفال ومنهم : داود السعدي ، وشفيق نوري ، ورشيد رشدي ، وفخري الطبقجلي ونصرت الفارسي ، وقاسم العلوي رئيس تحرير جريدة الاستقلال ومحمود عبدالحسين صاحب جريدة الشعب وعوني النقشلي وغيرهم •

وقد اتهم في هذا الحادث عدد كبير من الوطنيين منهم علي محمود الشيخ علي بصفته فاعلا اصـليا في الوقت الذي لايعرف فيه كيف يستعمل السلاح الناري على اختلافه وفي الوقت الذي كانوا يسعون لاحباط ابرام المعاهدة بالطرق القانونية وبالوسائل الاقناعية ، وقد القي القبض على زمرة كبيرة من المحامين ورجال القانون ، بعضهم شركاء في الجريمة عن طريق التحريض وقد بلغ عدد هؤلاء الثلاثة والعشـرين وكانت التهمة تحوم بالدرجة الثانية حول المحامي عوني النقشلي ولقد بوشر باجراء التحقيق مع الموقوفين .

قامت الحكومة بعملية تشخيص وانتقلت اللجنة التحقيقية الى المستشفى المجيدية (مستشفى الملكي : مدينة الطب) الذي كان يرقد فيه عداي الجريان. وكانت اللجنة مكونة من الحاكم عبدالعزيز الخياط وحاكم اخر ، وكذلك حضر التحقيق جعفر العسـكري في ساعات التشـخيص ومدير الشرطة . واخذت اللجنة تعرض المتهمين واحدا واحدا على الشيخ عداي الجريان ، وكان من بينهم علي محمود وعوني النقشلي ، ولما عرض علي محمود عليه قال : ليس هذا . ولما عرض عوني النقشلي على عداي شك فيه وقال : يمكن والله هذا لان النقشلي كان بدينا ويبدو ان الفاعل الاصلي كان بدينا ايضا .

ويقول سامي خوندة : ـ

وبعد ايام اطلق سراح الموقوفين وبقي علي محمود وحده موقوفا الى انتهاء المحاكمة التي انتهت بالافراج عنه وعن زميلـه عوني النقشـلي ، اما الاخرون فلم يحاكموا لانه ثبت بطلان الاتهام من اساسه ولم يكن الافراج عن علي محمود وعن عوني النقشلي وسد القضية ميسـورا لو لم تقف في وجه الوزارة الروح الوطنية التي كانت تتوثب في الصدور ، ولو لم يتقدم المغفور له عبدالمحسن السعدون بشهادة قوية نقضت الاتهام وهدته هدا ، ولو لم يكن هناك الملك فيصل الذي اذا هو سمح لرجال حكومته ان يضغطوا على الاحرار فانما السـماح هذا كان يقدره جلالته بقدر معين لايعدوه وان جلالته لاريب

كان عالما ببراءة من اتهـم في هذا الاعتداء لان الموحي به والمحرض عليه هو احد اركان الحكومة التي كان يعتمد عليها ، فليس يسيرا ان يوافق على القضاء على حياة شاب بريء في فجر حياته لم يكن له من ذنب سوى انه عمل ماكان يحتمه عليـه واجبه الوطني بالطرق القانونيـة وان كان هذا العمل لايلتئم والسياسة التي اختطها جلالته للبلاد .

ثم يقول سامي خوندة : ـ

« فالقائمون بالتحقيق فشلوا في تلفيق الشهادات وتزويرها لان الجو كان (متكهربا) والشعب كانت تجتاحه روح وطنية قوية عنيفة وشهود الزور في مثل هذه الحالة لايتجرأون على الاقدام على عمل يعجل في نهايتهم ويعرض حياتهم الى الخطر المريع » .

« وفخامة عبدالمحسن السعدون بصفته رئيسا للمجلس التأسيسي ومن اعظم الشخصيات السياسية في العراق قد طلب مدير الشرطة وادى بشهادة فياضة بالنبل والشهامة وزاخرة بايات الصدق والحق ، بينما المحققون قد بنوا الاتهام على افادة سـلمان البراك احد المجنى عليهما واعوانه التي تنص على انهم رأوا عليا وشـخصا اخر اطلق العيارات النارية وان هذه الافادة اعطيت فور وقوع الحادث لتضـفي على التحقيق رداء الصدق والطمأنينة فان عبد المحسن السـعدون قد جرح هذه الافادة الباطلة بقوله : انه قد زار المجنى عليهما في المستشـفى وطلب اليهما ان يبينا الشـخص او الاشخاص الذين يشتبهون به او بهم ليعقب القضـية بصفته رئيسـا لهما . وانهما اوضحا له بانهما لايستطيعان ان يشـتبها باحد لانهم لم يتمكنا من تشخيص المعتدين عليهما وان هذه الافادة كانت قاطعة بكذب الافادات التي سبق للتحقيق ان دونها والتي كانت تدل على ان مسحة التلفيق والتزوير جلية واضحة فيها ... لابعاد الشبهات عن الفاعلين الحقيقيين . لقد اختير الشيخ عداي الجريان هدفا للاعتداء لانه كان بريطاني الهوى والرأي ، وكان في الوقت نفسه من الطائفة

غير المحبذة (للموكيـة) فيصل ، وقد اراد مدبر هـذا الاعتـداء ان يضرب عصفورين بحجر واحد • اراد ان يتخلص من شخصية ذات نفوذ في قبيلته وفي اوساط عشائرية اخرى لم تكن تميل الى فيصل ، وان يضرب الجبهة الوطنية التي كانت تعمل في بغداد ضد المعاهدة باسناد هذا الاعتداء بها ، ينقض بوقت واحد على خصمين خطريه » •

ثم ربط سامي خوندة بين حادثـة الشيخ عداي الجريان ومقتل توفيق الخالدي فقال :

« ان الجبهة التي دبرت مقتل توفيق الخالدي هـي عينها التي دبرت الاعتداء على حياة الشـيخ عداي الجريان وسلمان البراك • وكان المقصود الشيخ عداي ، اما سلمان البراك فلحقه رشاش الاعتداء لانه كان يرافق صاحبه ويسايره لا اقل ولا اكثر » •

ثم يتساءل سامي خوندة فيقول : ـــ

« هل ان جعفر باشا كان عالما بهذه المؤامرة » فيجيب سامي نفسه على هذا السؤال فيقول : « اني لا اعتقد لان جعفر باشا رجل خير ولم يعرف عنه الا العمل الطيب من الناحية الشخصية ومن المستبعد جدا ان يكون عالما بهذا او موافقا عليه • اما الملك فيصل فاني لا استطيع ان اقول شيئا عما اذا كان يعلم بهذا التدبير ام لا • ولكنه على كل حال كان يرى في علي محمود الشيخ علي وفي زملائي الذين شملهم الاتهام ، البراءة والطهارة ونقاوة الذيل وكان قد عمل بقد ما تسمح له مقامه في انهاء القضية لصالح علي محمود وجماعته » •

بعد عودتي من المنفى من جزيرة هنجـام دعتني الهيئة العليا لمدرسـة الجعفرية لادرس مادة التاريخ العام في الصفوف الثانوية فالتحقت بها • في اواخر سنة ١٩٢٣ ، غير ان رجال التحقيقات الجنائيـة استمروا في ملاحقتي ومضايقتي بشدة فاشار عليّ بعض الاصدقاء ان التحق في احدى الوظائف

الحكومية تخلصا من هــذه الملاحقات فقبلت ذلك ، وقد وجدت ان وزارة المعارف هي انسب الوزارات التي اعمل فيهــا فتقدمت اليها طالبا العمل فيها عينت في ادارة احد المدارس الابتدائية لعدم وجود مدرسة ثانوية في بغداد سوى واحدة •

قال سامي خوندة : ودارت الايام دورتها واذا بي اسمع بنبأ مقتل شاكر القرەغولي بعد مرور سنتين على مقتله • كنت في احد الايام من شهر تشرين الاول سنة ١٩٦٢ في زيارة لصديق لي هو عيدان محمد الربيعي احد ملاكي ابو صيدا في داره وبينما كنا نتبادل الاحاديث في امور عامة تخص البساتين والاملاك جرنــا الحديث الى المشاكل التي يعانيهــا المزارعين وقــام احد الحاضرين يحدثنا عما وقع في قرية الوجيهية قبل سنتين ومنها مقتل شــاكر القرەغولي • وخلاصة القصة :

هو ان شــاكر القرەغولي كان يملك بعض الحصص في قطعــة ارض وبستان تقع في قرية الوجيهية التابعــة لناحية ابي صيدا قضاء المقدادية في محافظة ديالى ــ مع ابناء عمه • وكان القرەغولي يتردد على هذه القرية بين الحين والحين • وفي مساء يوم من ايام شهر تموز ١٩٥٩ ذهب الى هذه القرية مع عائلته واولاده حسب العادة ليلتقي باولاد عمه وشركائه بالارض وبينما كان يتناول طعام العشاء على سطح دار احد اقاربه فاجأه شخص كان يتربص له على ما يبدو فأطلق النار عليه من الخلف فأصابت الطلقات رأسه ومات في الحال • ويظهر ان هذه الحادثة حصلت بسبب نزاع على واردات البستان •

واخيرا استميح القارىء العذر لعدم استطاعتي ذكر اكثر مما مر لقدم عهد حدوثها • وقد مر عليها اكثر من ستين عاما • ومن الله العفو ومن القارىء الكريم السماح(٩) •

---

(٩) انتهى الاستاذ سامي خوندة من كتابة ذكرياته هذه يوم الخميس المصادف ١٩٨٢/٧/٨ الموافق ١٦ رمضان سنة ١٤٠٣هـ •

ملحق رقم (١)

١ ـ حسون محمد العثمان : الملقب (ابو الجبن) :

ولد في عنه سنة ١٩١٤ • ثم انتقلت العائلة الى بغداد حوالي سنة ١٩٢٠ وسكنت بجانب الكرخ في محلة سوق حمادة •

عمل رب الاسرة محمد العثمان ببيع الجبن واتخذ له دكانا في مدخل سوق البزازين من جهة الجسر بجانب جامع الاصفية الملاصق للمدرسة المستنصرية وكان حسون يعمل مع والده عصرا عندما يخرج من المدرسة ، وكان يومها في المدرسة الابتدائية (الفيصلية) وقد نجح حسون في المدرسة الابتدائية والتحق بثانوية الكرخ •

وفي هذه الفترة بعد ان اخمدت ثورة العشرين بقوة السلاح الانكليزي تعرض الثوار الى السجن والاعتقال والنفي خارج البلاد • وقد نفت السلطات البريطانية محمد العثمان مع عشرة الى سمربور في الهند لاشتراكه في الثورة مع عشائر الدليم •

وعندما نفي والد حسون تسلم حسون الدكان مع شريك والده الذي كان كان يقاسمه الدكان وعلق على واجهة الدكان لافتة كتب فيها (حانوت الاشتراك) وقد استقدمته السلطة مستفسرة اسباب تسميته باسم حانوت الاشتراك فقال سميته بذلك لان فيه معنا شريك آخر •

---

(١) يقول الدكتور عبدالمجيد القصاب : كان حسون ابو الجبن يتردد على نادي المثنى ولم يكن عضوا فيه •

بقي محمد العثمان منفيا في سمربور حوالي سنة ثم صدر عنهم العفو ١٩٢١ فرجع مع من رجع الى بغداد ورجع الى دكانه لبيع الجبن •

وذكر لي (المقدم المتقاعد) احمد محمد ابو الجبن : قصة طريفة عن تسمية العائلة بعائلة (ابو الجبن) فقال : جاء مزاحم الباجه‌جي ذات يوم لشراء الجبن وكان له علاقة شخصية مع والدي ومع اخي حسون لانه كان احد اعضاء نادي المثنى الذي كان حسون قد انتسب اليه[1] وقال لوالدي : لماذا لم تلقب نفسك (بابي الجبن) فانت ترى كثيرين في بغداد يحملون لقب المهنة مثل جعفر ابو التمن وابو تراب وغيرهم •

فأقتنع والدي بهذا الرأي واطلق على نفسه محمد ابو الجبن ومنذ ذلك اليوم اخذنا هذا اللقب •

وفي سنة ١٩٢٢ قرر الحزبان الوطنيان الوطني والنهضة المجيء بتظاهرة لتهنئة الملك فيصل الاول بمناسبة مرور سنة على اعلائه عرش العراق وبينما كان المتظاهرون مجتمعون في ساحة القشلة والشيخ محمد مهدي البصير يخطب جاء المستر كوكس والمس بيل للتهنئة ايضا وبينما كان يصعدان السلم الى غرفة الملك هتف حسون ابو الجبن بسقوط الاستعمار وقد سبب هذا العمل ازمة سياسية كبيرة كما هو مفصل في الكتاب الذي بين ايدينا •

وفي سنة ١٩٣٢ اعتقلت السلطات العراقية حسون ابو الجبن وارسلته سجينا الى معتقل الفاو •

كان ذلك بسبب خروجه في مظاهرة لنصرة فلسطين ، وقد لبس فيها الكفن وكتب عليه بالدم :

((وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) لبيك ••• لبيك فلسطين الشهيدة اما الموت وهذا الكفن •• واما بقاؤك للعرب ، وكان يساهم

في جميع التبرعات المالية والسلاح وارســاله الى عرب فلسطين • وبقي في السجن حوالي سنة واحدة •

وفي سنة ١٩٣٣ اعتقل حسون ونفي الى السليمانية عندما اعلنوا الاضراب على شركة الكهرباء الانكليزية في بغداد •

حيث كانت في بغداد شركة اجنبية لتوزيع الكهرباء حصلت على امتياز اعمالها منذ زمن بعيد وقد شعرت بقلة ارباحها ولا سيما بعد ان مدت الحكومة خط الترامواي فتنصلت منه ردحا من الزمن وبقيت اعمالها مقتصرة على التنوير فقط وصارت تستوفي ٢٨ فلسا عن كل وحدة كهربائية •

وكان العالم قد تعرض في اواخر عام ١٩٣٣ الى ازمة اقتصادية عنيفة كان العراق من جملة من تعرض لهذه الازمة فقد انتشرت البطالة فيه وانخفضت اسعار المحصولات الزراعية هبوطا كبيرا ، واضطرب الوضع المالي في البلاد اضطرابا مخيفا اضطرت الحكومات المتعاقبــة فيه الى تنزيل بعض الرسوم وتخفيف الكثير من الضرائب عن كاهل المواطنين لتخفيف آثار تلك الازمــة الخانقة •

وقد شعر الناس في بغداد بفداحة اجور الكهرباء التي تستوفيها الشركة فقرروا مقاطعة الشركة مقاطعة تامة حتى تخفض الاجــور الى الحد المناسب ومهد لهذه المقاطعة بمفاوضات مع رجال الشركة بدأت ايام الوزارة الكيلانية فلم تسفر المفاوضات عن شيء فلما جاءت الوزارة المدفعية الاولى في اواخر سنة ١٩٣٣ تبنت جمعيات العمال فكرة الاضراب[٢] وسعت الى تكوين رأي عام يسندها بمؤازرة وتأييد الصحف الوطنية •

فشرع مجلس النقابة يدعو مختاري محلات بغــداد وارباب المصالح لتأليف لجان فرعية تقوم بالدعاية لهذه الفكرة ووزع المجلس في يوم ٤ تشرين الثاني ١٩٣٣ م منشورات تحث الاهليين على الاستعداد والتهيؤ للمقاطعة •

---

(٢) الحسني : عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية حـ٤ ص٧ •

ساهمت الصحافة في ترويج فكرة المقاطعة ومساندتها بشدة وفي مقدمتها جريدة الاستقلال التي اعتبرت مقاطعة الكهرباء واجبا وطنيا واعتبرت ذلك حق من حقوق الشعب لان يثأر لكرامته ومصلحته من شركة الكهرباء التي امتصت دماءه وهزأت منه ودعت الشعب لتحديد بدء المقاطعة(٣) .

وكذلك جريدة الاهالي حيث قالت في احدى افتتاحياتها : لقد ظهرت النتائج السيئة لاعطاء المشاريع ذات النفع العام الى الشركات ، ومثال ذلك شركة الكهرباء الاجنبية التي تقوم بتنوير بغداد . فقد كثر الاستياء من فداحة ماتستوفيه من اجور على وحدات الكهرباء ولم تفعل الحكومة شيئا الى ان تماشي هذه الشركة الازمة الاقتصادية . واعتبرت الجريدة تهاون الحكومة هو الذي دفع الشركة الى عدم الاهتمام بمطاليب جمعيات العمال(٤) .

استجاب الشعب العراقي لهذه الدعوة وكان جعفر ابو التمن في مقدمة المستجيبين فقد قاطع الكهرباء قبل ان تعلن النقابة المقاطعة ، فارسل كتابا الى مدير شركة التنوير والكهرباء لمدينة بغداد ، اعلن فيه استياءه من اصرار الشركة على عدم النزول عند رغبة المستهلكين للقوة الكهربائية في تخفيض سعر الوحدة المستهلكة الى مايماثلها في البلاد الاخرى . وطلب الاستغناء عن الكهرباء في داره ومحله التجاري الى ان ترضخ الشركة لرغبة المستهلكين(٥) .

وكان لعمل جعفر ابو التمن هذا اثر كبير فقد اقتدى به كثير من المواطنين لما له من منزلة اجتماعية في نفوسهم وما يعتقدونه من اخلاصه . وقد نشرت الصحف برقيات عديدة يذكر فيها مرسلوها انهم قرروا مقاطعة شركة الكهرباء الاجنبية اقتداء بجعفر ابي التمن وتنفيذا لقرارات المجلس الاعلى لنقابة اتحاد العمال(٦) .

---

(٣) جريدة الاهالي . العدد ٦٠٤ بتاريخ ٨ كانون الاول ١٩٦٠ .
(٤) جريدة الاستقلال : ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٣ .
(٥) جريدة الاهالي : ٥ تشرين الثاني ١٩٣٣ .
(٦) جريدة الاستقلال : ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ .

وقد اجابت الشركة جعفر ابو التمن بكتاب جاء فيه (ان الشركة تأسف على قيامكم بهذا العمل الذي افسحتم به مجال المقاطعة وما كانت تظن انكم ستقومون بمثل هذه الاعمال[٧] وقد حذت عدد من المؤسسات حذو جعفر ابي التمن فاعلنت مقاطعتها الكهرباء قبل اعلان نقابة العمال لها .

وقد حاولت حكومة المدفعي الاولى ان تفسد دعوة الاضراب باصدار بيان تقول فيه :

« ان اسعار الكهرباء في بغداد ارخص مما هي عليه في الاقطار المجاورة» ورد اتحاد العمال بعدم صحة ذلك البيان . وقد حدد بدء المقاطعة في يوم ٥ كانون الاول ١٩٣٣ . وقد استعد الاهلون للاستعاضة عن الكهرباء بالشموع والزيوت والمصابيح اللوكس[٨] . وايدت الصحف الدعوة ونشرت عنها الصحف العالمية واصدرت الحكومة بعد يومين من بدء المقاطعة بيانا اعلنت فيه اتفاقها مع الشركة على تخفيض سعر الوحدة من ٢٨ فلسا الى ٢٦ فلسا . فعارضه المجلس الاعلى لنقابة اتحاد العمال قائلا « ان التخفيض بسيط » واستمرت حركة المقاطعة واستدعت الحكومة حينذاك الصحفيين وابلغتهم ان الحكومة تعتبر التطرق الى المقاطعة اخلالا بالامن وانذرتها بوجوب الكف عن حث الناس على المضي في هذه الحركة وفي الوقت نفسه اوعزت الى امانة العاصمة بانارة الطرق والشوارع التي كانت لاتزال تضاء بالزيوت انارتها بالكهرباء[٩] ، وعطلت الحكومة جريدة الاهالي .

وفي الساعة السادسة من صباح يوم ١٧ كانون الاول سنة ١٩٣٣ القت الشرطة[١٠] القبض على اعضاء المجلس الاعلى لاتحاد نقابة العمال ومجموعة

---

(٧) جريدة الاهالي : ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٣ .
(٨) جريدة الاهالي : ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٣ .
(٩) الحسني : عبدالرزاق : الوزارات العراقية حـ٤ ص٩ .
(١٠) كان متصرف بغداد يومها : عبدالرزاق حلمي ومدير الشرطة فيها يونس الموصلي .

من طلاب كلية الحقوق ومجموعة اخرى من ارباب الصناعات المختلفة ، منهم : محمد صالح القزاز وعبدالله البدري ومحمود سراحي ، وتوفيق حسن الصفو ومكي الاشتري وياس الحلاق .. وحسون ابو الجبن ومحمد علي أبو هاني ومهدي السيد علي البير ، واحالتهم الى محكمة جزاء بغداد فقررت بعد محاكمة سرية في ٢٥ كانون الاول ١٩٣٣ الافراج عن محمد علي ابو هاني ومهدي السيد علي البير وهما ليسا عضوين في النقابة ووضع البقية تحت مراقبة الشرطة لمدة ٦ اشهر بموجب المادتين ٧٨ و٩٠ من الاصول . وما ان خرج اعضاء النقابة من قاعة المحكمة حتى حشرتهم الشرطة في لوريات كانت معدة بانتظارهم ونقلتهم في ذلك البرد القارص الى السليمانية كمقر اختارته السلطة محلا لاقامتهم واردفت هذا الاجراء بغلق جمعيات العمال والمطابع والميكانيك وغيرها . وتوقيف بعض الشباب لتوزيعهم منشورات تنتصر للمقاطعة كما اعلنت من جهة اخرى تأليف لجنة للاشراف على حسابات شركة الكهرباء للاطلاع على ارباحها وتحديد الاجور بنسبة الارباح بغية تهدئة الرأي العام .

وقد اثارت هذه الاجراءات ضجة واسعة في صفوف الشعب فعبر الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي عن الاستياء الذي عم الاوساط بقصيدة شعبية تناقلتها الالسن كما قام بعض نواب حزب الاخاء[11] وغيرهم ومنهم :

محمد زكي وضياء يونس وصادق حبة وصادق البصام وكمال السنوي بحملة برلمانية واسعة ودارت في الجلسة المنعقدة في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٤ مناقشة شديدة بينهم وبين وزير الداخلية ناجي شوكت حول ابعاد محمد صالح القزاز ورفاقه .

وقال محمد زكي في معرض الرد على وزير الداخلية (ناجي شوكت) ان المحكمة طبقت المادة ٩٠ من الاصول بحق المبعدين ولكن الحكومة قررت

---

(١١) كان رشيد عالي الكيلاني يتزعم الحزب .

تطبيق المادة ٢٩ من قانون العقوبات في حين ان التطبيق لم يكن من حق الحكومة وانما هذا الحق للمحكمة وحدها .

واستعرض محمد زكي تاريخ المادة ٩٠ فقال انها وضعت في سنة ١٩٢٠ لما كانت الاجتماعات تعقد في جامع الحيدرخانة للمطالبة بانهاء الاحتلال وتأسيس الحكم الوطني ولهذا اوجدت هذه المادة اخمادا لهذه الروح . ويؤسفني ان الحكومة تسوق رؤساء نقابات العمال الى المحكمة وتطلب فيها ان تحاكمهم بموجب هذه المادة بينما كنا نعلم ان هؤلاء المبعدين لم يتحركوا الا لغاية شريفة .. ولولا حركتهم هذه لما خفضت الشركة فلسين عن الوحدة ولو شجعوا على الاستمرار لكان التخفيض اكثر .

ووقف وزير الداخلية (ناجي شوكت) يرد قائلا : استمرت المقاطعة ثلاثة اشهر والحكومة لم تعمل شيء ولكن اخيرا سعى هؤلاء المبعدون لتشويق الناس على المقاطعة وهيجوا الناس بالاكراه مما ادى الى سلب حريات الجمهور وقال : ان المقاطعة بدأت قبل ان تستلم وزارتنا الحكم وان التخفيض جرى في زمن وزارتنا ـ مشيرا بذلك الى وزارة الكيلاني الثانية التي كان فيها محمد زكي وزيرا للعدلية وقال : اود ان اقول انه كان في لائحة قانون العمال فصل يخص العمال وقد شطب في زمن محمد زكي بك عندما كان وزيرا للعدلية .

فقاطعه محمد زكي بقوله : صحيح ان المقاطعة حصلت في زمن وزارتنا ولكن الابعاد جاء في زمن هذه الوزارة ، وانني لم اكن الوزير المختص انما وزارة الداخلية ، وقد سألت العدلية حول اللائحة فابديت الرأي بتأييد حقوق العمال ولدي نسخة من ذلك سأتكلم عنها .

وقال ضياء يونس :

يقول السيد ناجي شوكت وزير الداخلية ان المادة ٢٩ من قانون العقوبات لاتعني النفي الى مكان معين بل معناها ان يمنع الشخص من الاقامة في جهات

معينة ويخير بالاقامة فيما سواها . اما قرار الادارة فانه صدر بالابعاد والنفي وحمل المتهمين على الاقامة في لواء واحد ومنهم في الاقامة في ١٣ لواء .

ان المبعدين قاموا بحسن نية في اعمال يعتقدون انها مفيدة للبلاد كما جاء ذلك في تقرير الشرطة . وقد اطلعت عليه بصفتي محاميا عنهم . وان كل سياسي في البلاد يحتاج الى الرجوع للرأي العام لتقوية جهة الكفاح . وبهذه المناسبة اذكر وزير الداخلية ببعض المسائل التي طرقت سمعي وتحدث عنها الناس في مجالسهم وهي ان وزارة الداخلية ابرقت الى متصرفية لواء السليمانية لتهيء محلات اقامة لهؤلاء المبعدين قبل صدور قرار المحكمة بيومين .

واجاب وزير الداخلية (ناجي شوكت) قائلا :

ان ماسمعه النائب المحترم لاصحة له ، وان عشرة اشخاص لايمكن لاي رجل سياسي ان يعبر عنهم انهم رأي عام ولا احد يعرف الرأي العام ويتمكن ان يعبر عنه الا المجلس وان المبعدين ليست لهم كتلة اجتماعية وهم قد استحصلوا على اجازة باسم جمعية العمال ثم قلبوها الى اتحاد العمال ، وهكذا خرجوا على حدود صلاحيات الجمعيات[١٢] .

ان هذه الاجراءات التعسفية التي قامت بها السلطة لم تمنع اصناف العمال الاخرى كالحلاقين والصفارين وغيرهم من انتهاز فرصة عيد الفطر في ١٧ كانون الثاني ١٩٣٤ وتقديم المضابط الى الملك غازي يطالبون فيها بعودة المبعدين وفتح النقابات المغلقة وفي الوقت الذي كانت فيه السلطات تلاحق الشباب في بغداد والموصل وتحيلهم الى المحاكم لارسالهم برقيات احتجاج على ابعاد محمد صالح القزاز ورفاقه وغلق النقابات[١٣] وتتيجة لذلك اصدرت محكمة تمييز العراق قرارها في ١٠ شباط ١٩٣٤ الذي قضى بتنزيل مدة

---

(١٢) محاضرة جلسات المجلس النيابي لسنة ١٩٣٤ .

(١٣) الحسني : عبدالرزاق : الوزارات العراقية حـ٤ ص٨ .

المراقبة الى ٣ اشهر بدلا من ٦ اشهر وقد وضعت حيثيات الحكم الوزارة في موضع الحرج حين فسرت معنى المراقبة على نحو يخالف مفهوم الحكومة فقالت : لما كان معنى المادة المذكورة ٢٩ من قانون العقوبات البغدادي لايرمي الى نفي الاشخاص مباشرة وانما يرمي لتقرير حق الحكومة بتعيين اماكن تمنع الاشخاص الموضوعين تحت المراقبة في الاقامة وابقاء حق الاشخاص في حرية التنقل من مكان الى اخر ضمن القيود الواردة في المادة ٢٩ فيما عدا ذلك من الامكنة(١٤) •

وفي ١٢ شباط ١٩٣٤ قدمت وزارة جميل المدفعي استقالتها ، وليس من شك في ان المقاطعة الشعبية وموجة السخط التي عمت البلاد كانت من الاسباب التي عجلت في مصيرها ووسعت من شقة الخلاف الذي دب بين وزير المالية والداخلية من جهة ووزير الاقتصاد والمواصلات والمعارف من جهة اخرى حول اعلان مشروع الغراف ، مما ادى الى فقدان التضامن الوزاري وبالتالي استقالتها • ثم اعيد تأليفها من قبل المدفعي وقد استبعد وزير الاقتصاد والموصلات ووزير الداخلية ووزير الخارجية •

وفي اواخر شباط ١٩٣٤ اختار المبعدون ــ بعقوبة ــ محلا لاقامتهم بعد ان اكرهوا على الاقامة في لواء السليمانية خلافا للقوانين حتى اذا ما اكملوا ما تبقى عليهم عادوا الى بغداد في الاسبوع الاخير من اذار في وسط مظاهر الترحيب والاحتفال(١٥) •

---

(١٤) سلمان بيات : القضاء الجنائي العراقي : حـ١ ص٥٤ •
(١٥) جريدة الاهالي : ٦٠٤ بتاريخ كانون الاول ١٩٦٠ •

ملحق رقم (٢)

ابراهيم بن عبدكه

وزارة الاعــلام

مديرية الاثار العامة (دفتر الخدمة)

١ ــ مراقب سري للاثار من ١٦/٨/٣٣ــ٣١/١٠/١٩٣٣
الراتب ــ ر٤ : بموجب الامر المرقم ٩٣٠ والمؤرخ ٢٠/٨/١٩٣٣
٢ ــ مراقب اثار : ١/١١/١٩٣٣ــ٢٣/١١/١٩٤٢ •
الراتب ٥٠٠ر٥ الامر ١٢٣٦ ــ ٧/١١/١٩٣٣
٣ ــ مراقب الاثار القديمة في الحلة : ٢٤/١١/١٩٤٢ــ١٧/١١/١٩٤٢
الراتب ــ ر٦ ترفيع ١٣٧٦ تاريخ ٢٤/١١/١٩٤٢
الراتب ــ ر٨ تعديل راتب ٨٠٢ تاريخ ١٨/٧/١٩٤٤
الراتب ــ ر١٠ تعديل راتب
الراتب ــ ر١٢ تعديل ٢٦٥٦ تاريخ ٨/١١/١٩٥١
اخر الراتب ــ ر١٥ تعديل راتب ٣٣٩٥ تاريخ ٢٤/١٢/١٩٥٢

الملاحظات :

١ ــ استخدام الموما اليه مراقبا سريا للاثار القديمة بصورة مؤقتة في بغــداد وبمخصصــات شهرية قدرهــا اربعــة دنانير اعتبارا من صبيحة يوم ١٦/٨/١٩٣٣ على ان تكون هذه المخصصات خاضعة للتخفيض وتصرف

خصسا على المادة (٧) فصل ٨٣ من الميزانية وان الخدمات المذكورة كانت على الملاك المؤقت •

٢ ـ لم يتمتع الموما اليه باية اجازة سواء بنصف راتب او بدون راتب خلال كافة خدماته اعلاه •

٣ ـ توفي الموما اليه ورقن قيده اعتبارا من ١٩٥٦/٩/٦ بموجب الامر الاداري المرقم ٢٦٧٦ في ١٩٥٤/٩/١٣ •

التوقيـع
ع/مدير الاثار العام
حسن توفيق حسن

دون في ملف ابراهيم بن عبدكة الموجود في مديرية الاثار ما يلي : ـ

١ ـ قدمت صبرية ابراهيم بنت ابراهيم عبدكة الوريثة الوحيدة الشرعية طلبا تطلب فيه منحها الراتب التقاعدي عن والدها الموما اليه • وبما ان ابنته متزوجة وزوجها على قيد الحياة فلا يمكن منحا الراتب التقاعدي •

٢ ـ ايد براءة ذمته من اموال الدولة والقاصرين ومصرف الرهون وسائر الديون الاخرى •

٣ ـ عمل ابراهيم حسن عبدكه مراقب اثار في مديرية الاثار العامة من ١٩٣٣/٨/١٦ ولغاية ١٩٥٤/٩/٥ •

٤ ـ اعتقد اول الامر انه مراقب سري للاثار العامة على ملاك الامن العامة ولكنه في الحقيقة على ملاك الاثار •

٥ ـ من مواليد محافظة ديالى ناحية ابي صيدا قرية ذيابة •

٦ ـ قتل في ليلة ١٩٥٤/٦/٥ اثناء قيامه بواجبه الرسمي من قبل المتهم سهيل ابن نجم من اهالي بغداد محلة العزة والقي القبض على القاتل •

٧ ـ توفي ابراهيم قبل خضوع المستخدمين لقانون التقاعد في عام ١٩٥٨ •

٨ ـ صرف مكافأة تقاعدية الى ورثة المومأ اليه البالغة (ـ ر١٣٥) دينار خدم خدمة فعلية لمدة عشرون عاما تقريبا •

٩ ـ الاسم : ابراهيم حسن عبدكه •

اسم الام وابيها : يسرى حاتم

الدين : مسلم

١١ـ كان القاتل من اهالي ديالى ويدعى بانه كان ابراهيم قد قتل والده •

١٢ـ قتل في عهد المرحوم ناجي الاصيل مدير الاثار العام •

المراجـــع

١ ـ ايرلاند ، فليب : العراق ، القاهرة ١٩٤٩ دار الكشاف .
٢ ـ بصري : مير : اعلام اليقضة الفكرية في العراق الحديث . بغداد مطبعة الجمهورية .
٣ ـ البصير ، محمد مهدي : القضية العراقية ، ١٩٢٤ ، بغداد ، مطبعة الفلاح.
٤ ـ بطي ، روفائيل : الصحافة العراقية ، ميلادها ١٩٦١ ، بغداد مطبعة البلاد.
٥ ـ بيات ، سلمان : القضاء المدني العراقي ، ١٩٦٢ ، بغداد .
٦ ـ الحسني ، عبدالرزاق : تاريخ الوزارات العراقية . بيروت ، ١٩٨٢ .
٧ ـ الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، صيدا ١٩٣٥ .
٨ ـ الحصري ، ساطع : مذكراتي في العراق حـ١ ـ ٢ ، ١٩٦٩ ، بيروت دار الطليعة .
٩ ـ الحلي ، حيدر ، ديوان : من منشورات دار البيان ط ١٩٥٠ .
١٠ـ الدروبي ، ابراهيم : البغداديون اخبارهم ومجالسهم ، ١٩٥٨ ، بغداد ، مطبعة الرابطة .
١١ـ الرافعي ، عبدالرحمن : في اعقاب الثورة المصرية .
١٢ـ الرصافي ، معروف : ديوان . ط السادسة ، بغداد ، ١٩٥٩ .
١٣ـ الريحاني ، امين : فيصل الاول ، ١٩٣٤ بيروت ، مطبعة صادر
١٤ـ سلمان ، محمد حسن : مذكرات ، بيروت ، ١٩٨٥ .
١٥ـ صالح ، زكي : مقدمة في دراسة العراق المعاصر . بغداد ، ١٩٥٣ .
١٦ـ العمر ، فاروق صالح : الاحزاب السياسية ١٩٧٨ بغداد ، مطبعةالارشاد.
١٧ـ عزالدين ، يوسف : شعراء العراق ، ١٩٦٩ بغداد مطبعة اسعد .
١٨ـ علي ، محمود الشيخ علي : مذكرات ، بغداد ، ١٩٨٥ .
١٩ـ عبدالهادي عوني : اوراق خاصة .
٢٠ـ الفلامي ، عبدالمنعم : الانساب والاسر ، ١٩٥٠ مطبعة شفيق ، بغداد .

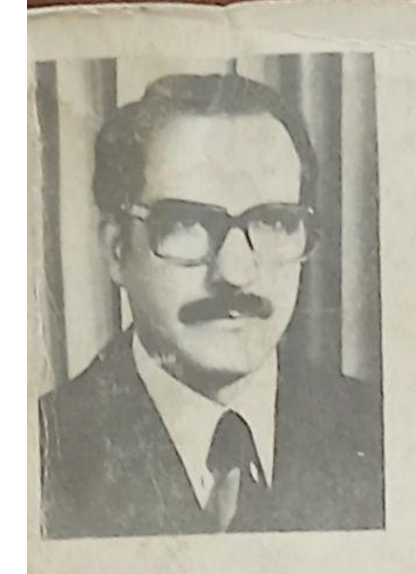
٢١- الفرعون ، فريق مزهر : الحقائق الناصعة عن الثورة العراقية .
٢٢- فيضي ، سلمان : في غمرة النضـــال . بغداد ، ١٩٥٢ .
٢٣- القصاب ، عبدالعزيز : مذكراتي . بغداد ، ١٩٦٢ .
٢٤- الكركوش ، يوسف : تاريخ الحلة . ١٩٦٥ ، الحيدرية ، النجف .
كمال الدين ، الشيخ محمد علي : الثورة العراقية الكبرى ١٩٧٠ .
٢٥- لوريمر : دليل الخليج العربي . الترجمة العربية ط١ ، قطر .
٢٦- مذكرات المجلس التأسيسي العراقي .
٢٧- شبيب ، محمود : حكايات تاريخية عراقية .
٢٧- مجلة المجمع العلمي العراقي .
الشيخلي : رؤوف طه : مراحل الحياة . ١٩٧٢ بغداد .
٢٨- محاضر جلسات مجلس النواب .
٢٩- مس بيل : رســائل . بغــداد ، ١٩٧٧ .
٣٠- الوردي ، علي : لمحات اجتماعية حـ٥ . بغداد ، ١٩٧٨ .
٣١- الوائلي : ابراهيم : ثورة العشرين في الشعر العراقي ، النجف ، ١٩٥١، ١٩٥٣ .
٣٢- سندرسن : الف ليلة وليلة ـ الطبعة الانكليزية .
٣٣- الخاقاني : علي : شعراء الحلة ، ط ١ النجف ـ سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣.
الاعظمي : احمد عزت : القضية العربية ، بغداد ، ١٩٤٥ .

الجرائـد والوثائق

١ ـ جريدة الفلاح : ١٩٢١ .
٢ ـ جريدة الاستقلال ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ و ١٩٢٣
٣ ـ جريـدة الاهالـي .
٤ ـ جريدة دجلـة ١٩٢٠ .
٥ ـ جريدة الرافدين ١٩٢١ .
٦ ـ جريدة المفيـد .
٧ ـ جريدة العراق : ١٩٢٠ ، ١٩٢١ .
٨ ـ جريدة لسان العرب ١٩٢٠ .
ـ م . ح . و : البلاط الملكي رقم الملفة ح/٢/ج
ـ م . ح . و : ملفات البلاط الملكي : مطاليب الاحزاب السياسية . ورقم ١ .
ـ محاضر جلسات مجلس الوزراء : سنة ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ .
ـ مجلة المجمع العلمي العراقي . حـ١ بغداد ، ١٩٥٤ .
ـ مجلة الهلال : مصر ، ١٩٦٥ .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد
(٣٤١) لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م



المؤلف في سطور

- ولد في بابل (الحلة) سنة ١٩٣٠
- اكمل الدراسة الابتدائية في مدرستي السفينة وتطبيقات دار المعلمين الابتدائية في الاعظمية - بغداد.
- تخرج في دار المعلمين العالية، سنة ١٩٥٨.
- حصل على شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي من كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٤.
- حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي - بمرتبة الشرف الاولى. من كلية الاداب بجامعة القاهرة ١٩٦٨
- حصل على سهادة الدكتوراه في تاريخ العراق المعاصر، بمرتبة الشرف الثانية من كلية الاداب بجامعة القاهرة ١٩٧٤.
- عمل مدرساً ومديراً في المدارس الثانوية في بابل (الحلة)
- عمل مدرساً في كلية التربية بجامعة بغداد
- عمل خبيراً في الادارة الثقافية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية في القاهرة.
- عمل باحثا في المؤسسة العامة للاثار والتراث - بغداد
- يعمل الان مدرساً لمادة (تاريخ العراق المعاصر) في كلية الاداب بجامعة بغداد.

تصميم الغلاف : عمار حسن مهدي

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

دار الحرية للطباعة